

الكتبة وجاهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 9 - Issue 103 - August 2007

مجلة شهرية، العدد المائة وثلاثون، السنة التاسعة، أغسطس ٢٠٠٧، الثمن عشرة جنيهات

القاهرة: ٢٠٥٠

دعوة للحوار..

مدينة

«المدن المغلقة»

في ذكراء الأولى:

هل كان محفوظ حقاً

«بلزك العرب»

حماس..

هل تعلم الغرب

الدرس؟

أمريكا

والإسلاميون:

القيم مقابل

المصالح

مزالي وبورقية:

دسائس القصر

نازك الملائكة:

أوراق لم تنشر

حرية

المعلومات:

الفريضة الغائبة

حزب التوتى ٢٠٥٧



عراقنا

العراق



تونس



باكستان

Djezz

الجزائر



بنجلاديش

موبينيل

مصر



زيمبابوي

Syncom

حول وجه الكرة الأرضية: نختار الوجود والاتصالات والأجاسي وسعي جاهدتين لجعل جميع الأفراد في مختلف الدول متواصلين لأنهم يستحقون أن

تسمعون ويسمعوا ويتحدثون ويتحدثوا معنا أن نجعل هذا التواصل متواجدا دائما.

أوراسكوم تليكوم تتحرك .. ونعمل ليل نهار لجعل هذا التواصل دائما موجودا ومستمر. بناه شبكات الاتصالات هو ما تقف عليه أوراسكوم تليكوم في

سبع دول: العراق (جاذي) ومصر (موبينيل) وباكستان (موبيليت) والعراق (عراقنا) وبنجلاديش (بنجلالينك) وتونس (تونيترانس) وزيمبابوي (تيليسيل زيمبابوي).

أوراسكوم تليكوم دائما تبحث عن التطوير المستمر في عمليات ال GSM لتوفر أفضل مستويات الجودة في عالم الاتصالات وتقديم أحدث تكنولوجيا الاتصالات. خدمات

أوراسكوم تليكوم تغطي 50 مليون مشترك وتجعله متواصلين مع بعضهم البعض وتجعلهم يتحدثون عن آمانيهم ومخاوفهم وطموحاتهم المختلفة ومن خلال الشركة

الأم Weather Investments استطاعوا أن يحققوا التواصل بين أكثر من 15 مليون مشترك في إيطاليا فقط.

أوراسكوم تليكوم يعمل بها أكثر من 40 ألف موظف يعملون يوميا ليتأكدوا أن العالم متواصل مع بعضهم البعض ويسمع كل منهم الآخر ونعدكم بأننا لن نترخي أي جهد

لجعل العالم أجمع بأفضل خدمات في عالم الاتصالات.

نعطى العالم صوتنا





كتاب العدد :

- إيريك ديفيس.. باحث جغرافي في المركز الوطني للبحث العلمي في باريس له مؤلفات حول الحياة الاجتماعية لسكان القاهرة والتطور الحضاري فيها .
- اليستر كروك.. ضابط معابر بريطاني سابق ومستشار خافيير سولانا المنسق الأعلى الأوروبي حول الشرق الأوسط .
- جمال محمد غيطاس.. صحفي .
- حلمي محمد القاعود.. أستاذ الأدب والفن بجامعة طنطا .
- نالبا توفيق سموي.. مدرس اللغويات الفرنسية والترجمة بكلية الآداب جامعة عين شمس .
- رافيل بالتسبا.. باحث في جامعة سابيا الإسبانية .
- عاطف أبو سيف.. باحث فلسطيني متخصص في العلوم السياسية والاجتماعية .
- محمد الغالي.. أستاذ العلوم السياسية - جامعة القاضي عياض - كلية الحقوق مراكش .
- محمد الهدي.. مستشار دار الأئمان الإسلامية بالكويت .
- محمد مزالي.. الوزير الأول للجمهورية التونسية الأسبق .
- محمود الزواوي.. أستاذ علم الاجتماع - جامعة تونس .
- محمود عبد الوهاب.. صحفي .

رسوم العدد للفنانين

محمد حجي - سعد الدين شحاته



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها، بغير إذن كتابي مسبق من الناشر .



المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والسوي
٣ ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت : ٤٩٠-٤٩٠ / ٢٣٩٢-٤٩٢ / ٢٣٩٢-٤٩٢ فاكس : ٢٣٩٢-٤٩٨ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@alkotob.com e-mail :
٢٤ - ٢٤٣٩٩ - ٢٤ فاكس : ٢٤٣٩٩ - ٢٤

الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشهر عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري -
اتحاد بردي عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا
وكندا : ٨٠ دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي .
إدارة الاشتراكات : شارع سيبيه المصري - ص. ب. : ٢٢ البانوارا - مدينة نصر
٢٤ - ٢٤٣٩٩ - ٢٤ فاكس : ٢٤٣٩٩ - ٢٤ subscription@weghatnazar.com

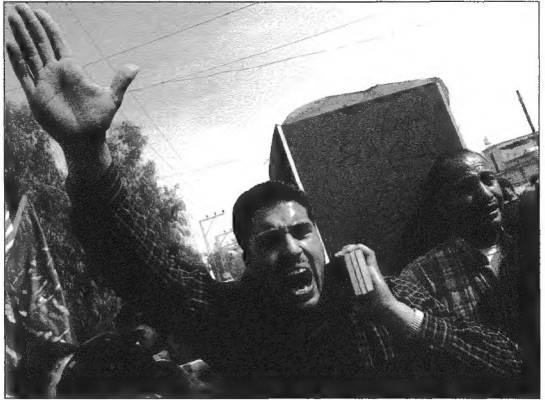
من النسخة :

في مصر ١٠ جنيهات مصرية - السعودية ١٥ ريالاً - الكويت ١٠٠ دينار - الإمارات
١٥ درهما - مملكة البحرين ١٠٠ دينار - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان ١٠٠ ريال - لبنان
٥٠٠٠ ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ديناراً ونصف - ليبيا ديناراً - الجزائر ٣٠٠ دينار
- المغرب ٣٠ درهماً - تونس : ديناراً - اليمن ٣٠٠ ريال - فلسطين ٢ دولارات -
Austria, France, Germany and Italy: EURO ١٠ - United Kingdom £ ١٠ - USA \$ ٥ .

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٤ - اليستر كروك
« لم نتعلم الدرس »
١ - Hamas: Unwritten Chapters, تأليف: عزام تميمي .
٢ - Where Now for Palestine: The Demise of the Two-State Solution, تأليف: جميل هلال .
٣ - Failing Peace: Gaza and the Palestinian-Israeli Conflict, تأليف: سارة روي .
٨ - عاطف أبو سيف
« القيم مقابل المصالح .. أمريكا والإسلاميون »
١٢ - محمد الغالي
« المشهد على الجبهة المغربية »
١٦ - محمد مزالي
« دسائس القصر »
تصميم من الحقيقة .. وزير أول في رئاسة بورقيبة يشهد
تأليف: محمد مزالي
٢٢ - حلمي محمد القاعود
« نازك الملائكة: أوراق لم تنشر »
٢٨ - محمد الهدي
« عالم كلوت بك »
٣٤ - محمود عبد الوهاب
« كل هذا الطرب »
٣٨ - رافيل بالتسبا
« بين الكلمة والصيف .. حوار ابن خلدون وتيمور لنك »
٤٤ - أحمد المغربي
محاضرات: « كل الخيارات مفتوحة »
٥٠ - إيريك ديفيس
« مدينة الدن المغلقة »
فصل من كتاب: Cairo Cosmopolitan, تحرير: ديانا سنجرمان ويانول عامر
٥٦ - جمال محمد غيطاس
« حرية المعلومات .. الفريضة الغائبة »
٦٢ - محمود الزواوي
« عرب الرموز »
٦٦ - نالبا توفيق سموي
« بلزك العرب؟ »
٧٢ - إصدارات جديدة
٨٠ - رسائل



لنم نتملكم الدرس!

أليس تركك روك

كمنسق خاص
للأمم المتحدة لعملية
السلام في الشرق الأوسط،
كتب الفارو دي سوتو يقول من
الواضح أن الولايات المتحدة
دفعنا باتجاه مواجهة
بين فتح وحماس

الدولية طالبت به أيضا أن ينتزع السلطات من الحكومة الجديدة ويضمها إلى صلاحيات الرئاسة؛ فالحلوليات المالية تنتزع من وزارة المالية، ومزقيات مسؤولي الحكومة ستدفع من مكتب الرئيس. وكل القرارات الأمنية الرئيسية سوف تحدد بقرار رئاسي. كان يجب ترك الحكومة بلا قوة أو سلطة. وكما يكتب عزام التميمي في (حماس): صفحات لم تكتب: «لم تعد تحت إمرة حكومة حماس قوة شرعية، ولم يكن لديها سلطة على عبور الحدود».

في نفس الوقت فرض الغرب عقوبات مالية وعزلة سياسية على الحكومة مصيرين على التعامل التجاري وتحول التمويل حصريا من خلال عباس. باختصار، بدلا من مساعدة فتح خلال الانتقال وتدعيم الوحدة الفلسطينية - والاستفادة من التغيير الحقيقي لاحتواء حماس وهي منظمة إسلامية معتدلة - تبني المجتمع الدولي سياسة عدوانية للتقسيم الداخلي حيث رسخوا ظروفها شهيد للعنف الأخير في غزة. ربما يقتصر الأوروبيون الآن أياديهم لما يروونه على شاشات التلفزيون ولكن السياسة الأوروبية، بالتشجيع مع الولايات

العدد المائة وثلاثة، أغسطس ٢٠٠٧ م

حماس الكاسح في الانتخابات البرلمانية في يناير ٢٠٠٦. فقد كانت فتح، وهي منظمة ياسر عرفات، ترى نفسها المؤسس للسلطة الفلسطينية. هي تعتقد أنها الحزب الطبيعي للحكومة وقد ناضت طويلا مع الجيران العرب لترسخ نفسها كمرادف لمنظمة التحرير الفلسطينية. ولذلك، فهي «الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني». ولم يستطع البعض من داخل فتح الإقرار بقضائهم السلطة أو التسليم بالزعيم، على أساس نتائج الانتخابات، إن الشعب الفلسطيني اختار حزبا إسلاميا ليمثله. وفي هذه المرحلة الحرجة، تدخلت الرعاية الدولية، ضغطوا على الرئيس عباس ليتمسك بالسلطة وألا يخضع لحماس، واعيد بدعاه إذا تمكن من ذلك.

ولم يكن على عباس أن يمتنع عن تسليم السيطرة الأمنية للحكومة (حكومة حماس) ووزير داخليتها كما يتطلب الدستور، فقط، ولكن الرعاية

الطريق والقتلة والإرهابيين والفقر واليأس.. هذا كان رد فعل افرام سنيح نائب وزير الدفاع الإسرائيلي على سيطرة حماس على عدد من المؤسسات الأمنية المهمة في غزة في الأيام السابقة على ١٤ يوليو حين حل محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية وقائد فتح، حكومة الوحدة الوطنية. ولكن رغم كل ما قالته وسائل الإعلام، فإن هذه ليست حربا أهلية، وحماس لا تتكون من (عضيات خارجة عن سيطرة قادتها). لقد كان إجراء حماس يهدف إلى إزالة تأثير أحد أجهزة الأمن التابعة لفتح، وهي الميليشيا التي يقودها محمد دحلان، مستشار الأمن القومي لعباس. لقد أصرت حماس أن هذا ليس صراعا شاملا مع فتح وكان من الملاحظ أن العنف الأخير لم يستهدف قوات الأمن الفلسطينية - أي «الجيش» الفلسطيني - ولا الشرطة في غزة. يكمن أساس تصرف حماس في غزة، في رد فعل المجتمع الدولي وفتح لنصر

«الوضع في غزة خطير، والخطر هو أن تستولي حماس على غزة وتحوّلها إلى (حماس) أي مملكة لقطاع

Hamas: Unwritten Chapters
(حماس: صفحات لم تكتب بعد)
Azzam Tamimi
Hurst, 344pp., £14.95

Where Now for Palestine: The
Demise of the Two-State Solution
(فلسطين إلى أين: انتهاء حل إقامة
الدولتين)

Jamil Hilal
Zed, 260PP., £17.99

Failing Peace: Gaza and the
Palestinian-Israeli Conflict
(السلام الفاشل.. غزة والصراع
الفلسطيني - الإسرائيلي)

Sara Roy
Pluto, 379PP., £16.99

ترتيب مع:
London Review of Books

ترجمة: بثينة الناصري

لم يكن على عباس أن يمتنع عن تسليم السيطرة الأمنية للحكومة (حكومة حماس) ووزير داخليتها كما يتطلب الدستور، فقط، ولكن الرابعية الدولية مطالبته أيضاً أن ينتزع السلطات من الحكومة الجديدة ويضمنها إلى صلاحيات الرئاسة



والأوروبيين لتحييلات البنوك حرمان الحكومة الفلسطينية من الوصول إلى أموالها - بضمتها ما يأتيها من الدول المسلمة - ومن شأن هذا أن يفجر قلاقل واضطرابات جديدة خطيرة في المنطقة. مازال المعلقون الغربيون - بدافع من الموالين لفتح - يميلون إلى رؤية نتيجة الانتخابات ٢٠٠٦ أنها ليست سوى لطمة قوية على وجه فتح التي كانت حتى ذلك الحين الهيمنة على السلطة، وجهها النخبون المصابون من الفساد وسوء الإدارة. منذ ١٩٩٣ كان الفلسطينيون يعيشون تحت نظام الحزب الواحد: الرماية والوظائف والحكومة كانت كلها محالاً فتح وقد وزعت المزايا على أعضائها. ولكن مع ذلك فلم تكن نتيجة الانتخابات أساساً بسبب فساد فتح مع أهمية هذا العنصر. أتذكر قول قائد في معسكر لأجئين في لبنان، "سوف تدرى، فصر حماس هذا يسبب الانكسار الأخير لإيمان الفلسطينيين بالمجتمع الدولي، لم نعد نصدق بأنه يمكن الاعتماد على الأمريكيين أو الأوروبيين ليعمل ما فيه صالحنا. علينا أن نتمدّد على أنفسنا الآن.."

لقد لا حظت حماس لبعض الوقت بأن النخب الفلسطينية الذي منح فتح احتكار السلطة والقوات المسلحة في ١٩٩٣ بعد اتفاقيات أوسلو لم يعد هو نفسه الآن. فبإبادة هذا اليوم فلسطينيا يؤمن بأن (السلوك الجيد) الفلسطينيين - كما وعدت فتح إسرائيل - سوف يحسن الولايات المتحدة على تجاهل اللوبي الإسرائيلي لديها وممارسة ضغط على إسرائيل لنسحاب من الأراضي المحتلة في ١٩٦٧. ويقول التمسى في كتابه، كان توقع حماس دائما هو إسرائيل، لن تلزم بالصفقة، وأنها تستخدم عملية السلام من أجل الاستيلاء على المزيد من الأراضي.."

لقد ناقش الفلسطينيون دولتهم الناشئة في الضفة الغربية وهي تقطع شرائح مثل البمطرمة بالزبد من المستوطنات وتكتات الجيش والمناطق العسكرية والأحواز والطرق التي يحظر على الفلسطينيين السير فيها وهي تقطع أشلاء المنطقة التي تحتجز فلسطينيين ونصف المليون من الفلسطينيين محبوبي الحركة. وقد نشر مكتب

لأى تحول في التدبير السياسي الذي يخططون له. ما يريدونه، ويظنون متسكين به، هو العودة إلى الوضع القائم قبل أوسلو. رغم أنه لم يعد موضع قبول الآن. ولكن في محاولة لضمان بقاء فتح في السلطة، يخاطرون بأحداث الفتنة والعنف المتجدد وفتحت الوحدة السياسية الفلسطينية لسنوات قادمة.



إن السلام مع إسرائيل، إذ قدر له أن يكون، لا يمكن أن يبنى على تقسّيت الوحدة الفلسطينية والصراع الداخلي.

وقد ساهمت أفعال اللوبيين الأمريكيين السابقين مثل الجنرال ريتس وجورج تينيت - في تفاقم الضربة. لم يتعلموا الدرس. إن ما فعله الرئيس عباس من حل للحكومة في ١٤ يونيو وإعلانه قراراتاً مثقوك - وهو قراران مثقوك في شرعيتهم - قد قضى على ما تبقى من السوحسة

الفلسطينية. وقد فعل ذلك في لحظة كانت حماس، مثل الحركات الإسلامية المعتدلة في المنطقة، تحاول التعامل مع في محاولة دفعها إلى المتطرف مع انتشار الجدل حول قيمة المشاركة في الانتقابات.

لم يكن ممكناً للغرب أن يختار وقتاً أسوأ من هذا لإظهار فتح على أنها عميل يعتمد على التمويل الغربي والتواطؤ الإسرائيلي للتعوّض عن الدعم الشعبي الذي تفقده. كتبت أوسع صحيفة عبرية وهي يديعوت أحرونتوت ١٤ يونيو بأنه: "في نابلس وجنين والخليل ورام الله تسيطر الوبئة فتح الأقصى بفضل أجهزة الأمن الإسرائيلية التي كانت تعمل كل من تشم في راحة حماس ولو من بعيد.. وبالحكم من خلال تصريحاتهم العلنية، يتجاهل صناعوا السياسة الأوروبيون التوتر المتصاعد في المنطقة. إن عدم الاستقرار يولد عدم الاستقرار وقد كان من شأن تجميد الأمريكيان

مدينون، وكان مبرره هو: أنها تعنى رفض الفلسطينيين الآخرين لحماس، هذا الوضع هو الذي دفع حماس إلى إجراء وقائي. ومع رفض فتح المفاوضة على سلطة الحكومة على الأجهزة الأمنية بموجب الدستور، ومع بناء ميليشيا مدخلان، تحركت الذراع العسكرية لحماس للاستيلاء على كل المواقع المهمة المرتبطة بمدخلان ورافقة في غزة. وبعد الهيمنة الكاملة، أصبحت الحكومة المثقفة الآن في وضع يتيح لها توفير الأمن في غزة.

هناك ثمن لا بد من دفعه بطبيعة الحال، ولكن لا علاقة له بالأضرار بما يسمى (توقعات السلام) إذ لم يكن هناك عملية سلمية. وفي رأي معظم الفلسطينيين، هناك أمل ضئيل في السلام.

على العكس من ذلك، تنهيا قيادة حماس - مثل رفاقهم في حزب الله - لصيف طويل ساخن من صراع إقليمي محتوم. الثمن الحقيقي لجسارة حماس العسكرية ضد ميليشيا مدخلان هي إضعاف فصيل مهم من فصائل فتح، كان لبعض الوقت، لا يشعر

بالراحة من التحيزا مدخلان وفتح للمصالح الأمريكية والإسرائيلية وكان - حتى الآن - يدعو إلى تعاون حقيق بين فتح وحماس. ولكن الآن بعد أن تعرض فتح للإذلال، فإن أصحاب هذا الفصيل لن يكونوا بمزاج يساعدهم على دعم من يتدحّن عن شرادة قاعلة مع حماس، على ينظر إليك أحوالك الفلسطينيين على أنك عميل غربي شيء سيئ. ولكن أن تعتبر عميلاً غريباً فائلاً هو شيء أسوأ. من المبرر جدا الحكم، ولكن من الممكن أن يعتبر المسلمون خارج فلسطين تصرف حماس حدثاً مهما بأهمية نتيجة حرب إسرائيل - حزب الله في يوليو الماضي. وقد درى في الأسابيع القليلة القادمة بدايات جهود لولامة من قبل دول عربية أخرى، في محاولة لتشكيل حكومة وطنية جديدة في فلسطين. إذا حدث هذا، فإن قضية الأمن قد تقترن فعلاً، قد درست قضية الحقائق على الأرض. ولكن يمكن توقع استمرار مقاومة الأمريكيان والأوروبيين

المتحدة، لتحمل صبه جزء كبير من مسئولية ما حدث.

كما اختارت الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية منها بريطانيا، تمويل وتدريب وتسليح جهاز أمن يهوده محمد دحلان، الذي يشك الكثير من الفلسطينيين، بحق، أنه يهيا ليكون (الرجل القوي) الذي سوف يصل إلى الرئاسة ويعيد فتح إلى السلطة. كان الهدف الأقصى من بناء ميليشيا فتح بقيادة دحلان هو مواجهة حماس عسكرياً والفوز. وكان المسلمون الأمريكيان ياملون في هذه الأثناء بتكوين فتح من الإطاحة بحماس من السلطة. بكلمات أخرى، تشجيع انقلاب سلس ضد الحكومة. وقد جاء في وثيقة استراتيجيتها اعتدتها إحدى الدول العربية المعتدلة في التحالف الأمريكي وقد وزعت على الفلسطينيين في مارس ٢٠٠٧، إن هدف الولايات المتحدة هو أن يحل محل حماس حكومة حماس في أغسطس. وكانت الرابعية الدولية قد صادقت على هذه الخطط، مبدلياً، إن الدعم الذي يقدمه الأمريكيان والأوروبيون لفتح كبير ويصل إليها بعدة طرق: من خلال المنظمات غير الحكومية وكالات التنمية، ومن خلال مبادرات الإصلاح التي تملتها فتح، من خلال برامج تطوير الشباب، ومن خلال مشاريع الإعلام والأهم من ذلك من خلال برنامج واسع يهدف إلى تجديد وتدريب وتسليح وتمويل الكوادر الأمنية لفتح. ويتسدر جهاز دحلان هذه الكوادر، بالإضافة إلى أن كل عقد مع منظمة غير حكومية كان يتضمن مادة إضافية الوكالة الأمريكية للتنمية (USAID) تتطلب من المنظمة أن تتعهد بعدم المشاركة في أنشطة مع جماعات تعتبر إرهابية.

في تقريره النقدي القاسي الذي كتبه قبل استقالته في مايو كمستق خاص للأمم المتحدة لعملية السلام في الشرق الأوسط، كتب البارو دي ستو يقول من الواضح أن الولايات المتحدة دفعت باتجاه مواجهة فتح وحماس، إلى حد، إنه أسبوع من اتفاق مكة - حيث التقى الفلسطينين في فبراير وبحث رعاية الملك عبد الله والاتفا على حكومة وحدة - عبر الموقف الأمريكي مرتين في اجتماع الموفدين في واشنطن عن "حبه لئلا العنصر،" شبراً إلى ذلك لتفجر حرب أهلية في غزة سوف يقتل ويصاب فيها



هناك شمن لا يد من دفعه بطبيعة الحال، ولكن لا علاقة له بالأضرار بما يسمى (توقعات السلام) إذ لم تكن هناك عملية سلمية. وفي رأى معظم الفلسطينيين، هـناك أمل ضئيل في السلام



الانتخابية بأن فتح لن تجني من وعدها لإسرائيل بإنهاء العنف، سوى الاحتقار الإسرائيلي لما سيعتبرونه (ضعفا) لأوسطينيا، وحسب رؤية حماس، لن يأتي الحل العادل إلا بعد أن تحترق إسرائيل أعداءها. في هذه الأثناء فإن توسل فتح لأن تكون شريك إسرائيل في السلام سوف يساهم بشكل مباشر في تضخم طموحات الهيمنة الإسرائيلية. ولهذا تعالّب حماس بال مقاومة المستمرة وبالعامل عكس مبدأ عرفات القاتل بعدم بناء المؤسسات الفلسطينية حتى تقام دولة. حيث تؤمن حماس بأن الإدارة الجيدة الآن مع تحقيق الوحدة الوطنية تشدهما هما الطريق لإقامة دولة فلسطينية، ويسجلها المؤثر والنظيف خلال إدارتها المحلية، كانت حماس تتطلع لتطبيق هذا النهج على المستوى القومي والأل يمكن أن تكون هذه فرصتها في غزة.



المشكلة بالنسبة لحماس هي أن عموم ناخبها والحركة الإسلامية عموماً يعيشون مرحلة من رجعة، ما هو الظاهر - ويمكن تأكيد هذا من عدة من المواقع الإسلامية على الإنترنت - هو أن الأستراتيجية الإسلامية السائدة للانخراط في الطريق الانتخابي للإصلاح أصبحت موضع شك، وسوف يكون لهذا تأثير أبعاد من فلسطين. خاصة في مصر والأردن، وقد شجعت ثلاثة أحداث هذا التوجس: القوات التي فرضت على حكومة حماس، الحرب المدعومة أمريكياً على حزب الله في لبنان في الصيف الفائت، واضطهاد الإخوان المسلمين في مصر، وكل هذه لم تترأى احتجاج من قبل الأوروبيين. إن استمرار العداء الغربي لسكك الإسلامية حتى المحدثين منهم، قد دفعت تنامي الإحساس بالمرارة لدى الجماهير الإسلامية في كل مكان. في مؤتمر عقد في بيروت في أبريل، انتقد فتحى بكن زعيم الجماعة الإسلامية في لبنان، ممثل حماس الرسمى الحاضر أمامه حماس بسبب المشاركة في الانتخابات أصلاً. وأشار بكن إلى الإخفاق - الذى جريه الإسلاميون

ضد ٣٠٪ لحماس، في ديسمبر قبل شهر واحد من الانتخابات، أعطى فتح ٥٠٪ وحماس ٣٢٪. في الانتخابات فازت حماس بعدد ٧٤ مقعداً برلمانياً وفتح بعدد ٤٥ مقعداً فى برلمان يتكون من ١٣٢ عضواً. وكانت حماس تتوقع فى نوفمبر ٢٠٠٥ الفوز بـ ٨٠-٧٠ مقعداً.

من الصعب معرفة إذا كان الفلسطينى الأوروبى والأمريكى للاعتراف بتغيير المزاج لفلسطين كما ظهر من نتيجة الانتخابات، هو الذى أشرف على أفعال بعض قادة فتح بعد الانتخابات، أو ما إذا كان أصدقاء أوروبا

فى فتح مثل دحلان، الذى يدعى قدرته على التعامل مع حماس، هو الذى أفتح الأوروبين لإغماض عيونهم عن ثورة التغيير الفلسطينية. وتقول صحفية الأهرام ويكلى مؤرخاً بأن دحلان يعترف بيلاقة بأنه وراء الكثير من حالة انعدام القانون والفوضى فى غزة. أنا استخدم سيارتين نوع جيب فقط، وقد يقول الناس إن غزة نوع جيب فقط، وقد أضف الفضائل الفلسطينية، إنهم يشكون ويتذمرون. حمناً، عليهم أن يعانوا المزيد من اللغات حتى جدهم السابع.

مهما يكون السبب، فإن الأوروبيين قد ارتكبوا واحدة من أكبر غلطاتهم السياسية فى المنطقة - لا يسبقها إلا دعمهم لغزو العراق - بإصرارهم الحثيث لعزل حماس ومحاولة إرجاع فتح إلى السلطة.

لقد جادلت حماس خلال الحملة

ومتعدد الثقافات وفوق كل شيء يتضمن المساواة الكاملة لكل المواطنين والمقيمين، وبهذا لن تكون إسرائيل دولة يهودية حصرياً أو حتى دولة

تستطيع منح امتيازات خاصة لمواطنيها اليهود.

أحد أسباب هزيمة فتح فى الانتخابات كان فشلها فى الإقرار بأن إدارة يوش تختلف عن إدارة كلينتون. أصرت فتح على افتراض أن إدارة يوش، فى جوهرها، تشارك فى الرؤية الفاشلة بإقامة دولة فلسطينية تعتمد على انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة فى ١٩٦٧.

استمرت القيادة فى افتراض بأنها إذا استطاعت إرضاء الولايات المتحدة فإنها سوف تكافأ فى النهاية بالضغط على إسرائيل لقبول دولة فلسطينية فاعلة. وقد أصبح واضحاً لمعظم الفلسطينيين منذ زمن بعيد، بمضمون الكثير فى فتح، بأن رؤية يوش لا تتفق مع رؤية فتح وإنما مع تل أبيب، والتي ترى بقاء إسرائيل فى الضفة الغربية إلى الأبد. قام خليل شقافى من المركز الفلسطينى للسياسة وبحوث المسح وهو مؤسسة شمولها حكومات أجنبية لتنفيذ مسوحات للراى فى فلسطين، بإجراء ثلاثة استفتاءات مهمة أشرت على رؤية واشنطن وفى بداية يونيو وسبتمبر وديسمبر ٢٠٠٥. وقد بينت كلها بأن فتح تتقدم على حماس بنسبة مريحة. فى يونيو أوضح شقافى بأن فتح تتقدم بـ ٤٤٪ إلى ٣٣٪ لحماس، فى سبتمبر صعد رصيده فتح إلى ٤٧٪



الأمم المتحدة لتنسيق الشئون الإنسانية مؤخرًا خارقة للطفة الغربية يتضح فيها أن نظام المستوطنات الإسرائيلية والبنى التحتية المحمية تسببت فى حظر ٤٠ بالمائة من الضفة الغربية على الفلسطينيين. وقد رأى الفلسطينيون امتناع الولايات الأمريكية وأوروبا عن فعل أى شيء بهذا الخصوص. ويدفع الأمريكان والأوروبيون بأن السبب هو العنف الفلسطينى. ولكن الفلسطينيين يقولون إن الأوقات الهائلة فى التى يستولى فيها الإسرائيليون على المزيد من أراضيهم، ومع ذلك يظل المجتمع الدولى صامتاً. وبحلول ٢٠٠٦ حين صوت الفلسطينيون لحماس، كان قد تلاثى أى أمل ضئيل من أوسلو. لم يعد هناك، معسكر سلام، يؤمن بالتقدم التدريجى نحو إقامة دولة فلسطينية. على خلفية هذا الإحباط، فإن المشاركين فى كتاب جميل هلال (فلسطين إلى أين الآن؟ موت حل دولة دولتين) يشيرون إما إلى دولة واحدة لشعبين فى إسرائيل وفلسطين أو إلى فصل آخر من المقاومة المسلحة أو الاثنين معاً. يجادل زياد أبو عمرو بأن «الضفة الفلسطينية أصبحت واجبة لتخلى الاحتلال الإسرائيلى الحقيقى وأداة لمساعدة الإسرائيليين لتنظيم سياساتهم الاحتلالية، ويقول جميل هلال بلغت سياسة إسرائيل إلى حد الإلغاء المنظم للظروف الأساسية الضرورية لإقامة دولة فلسطينية فاعلة وذات سيادة، ويخطر إيلان باب إلى جذور السياسة الإسرائيلية فيستنتج بأن الاحتلال ينطلق من نفس البنى التحتية الأيديولوجية التى اعتمد عليها التطهير العرقي فى ١٩٤٨، ولكنك لن تجد من بين هؤلاء الكتاب من لا يزال يعتقد بتوفر الظروف النفسية والسياسية لخلق إقامة دولتين. إن ثبوت المطالبة بدستور إسرائيلى جديد من قبل منظمة «عدالة»، فى إسرائيل، هو مؤشر على عملية التطرف الجارية. وقد أثارت وثيقة «الدستور الديمقراطى» الظروف المناقشة اهتماماً واسعاً بين المواطنين الفلسطينيين فى إسرائيل، وفضياً عازماً فى بعض الصحافة الإسرائيلىة - والوثيقة تدعو لكبتاية دستور يلمتزم بالمبادئ الديمقراطية وإن يكون ثنائى اللغة



يستمر العراق في إشعاع عدم الاستقرار وإثارة الفتنة بين الشيعة والسنة في كل مكان. وتدفع السياسة الأمريكية والأوروبية في فلسطين ولبنان إلى التوترات الداخلية والاستقطاب



كتاب (فشل تحقيق السلام) الذي يشرح التكلفة الإنسانية والإسيكولوجية للاحتلال والعنف طويل المدى. تحذر سارة روي قاذلة:

قبل أوصلو كان هناك اعتقاد بين الإسرائيليين أن السلام والاحتلال يتناقضان ولكن هذا قد تغير.

في السنوات الأخيرة بدأ المزيد من الإسرائيليين يستفيدون من الاحتلال، حياتهم على سبيل المثال، صارت أيسر بواسطة شبكة الطرق الواسعة التي تربط بين مستوطنات الضفة الغربية وبالأقتصاد المحلي...

هكذا فقد خف شعور الإسرائيليين بعدم الارتياح من الاحتلال في الوقت الذي أصبح فيه الاحتلال أكثر قمعا واضطهادا. إن هذا التناقض خطير وغير مقبول.

تحذير روي يأتي في الوقت المناسب. من الممكن توقع أن يزداد تصرف أعداد كبيرة من المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل إضافة إلى بقية الشعب الفلسطيني.

وقد يخشى أصدقاء إسرائيل (المعتدلون) بين قادة العرب، وقد تجاهبه إسلاميين أيضا ليس فقط في الحكومة الفلسطينية ولكن على الحدود الأردنية والمصرية أيضا:

وإذا وقع القتال مع إيران، فهو قد ينتهي بكسح الكثير من إنجازات المنطقة.

إن هذا التوقع قد لا يسلق نوم الأوروبيين الذين لا يأخذونه بعدي، حتى لو كان سجلهم في قراءة الأحداث في المنطقة أقل مما توحى به الأمور.

ولكن هذه هي السيناريوهات التي يأخذها الإسلاميون في المنطقة في الاعتبار.

علينا أن نأمل - وهذا قد يكون كل ما نلتمس عليه - أن تتمكن الحركات الإسلامية المعتدلة من الإبحار في هذه الأوقات المضطربة، رغم محاولات أوروبا لمنع الإسلام السياسي وهو التيار الإقليمي المهيمن الآن. من إعادة تشكيل المجتمعات الشرق أوسطية.

وهذه المحاولات تفتح المجال، ليس للعلمانيين المعتدلين المواليين للغرب الذين يسعى الأوروبيون لتمكينهم، ولكن أيضا لأولئك الذين يؤمنون بأنك إذا أردت بناء مجتمع جيد، عليك أن تنس القديم. ■

وجّهات نظر

يشكل عام، الأمريكيان والأوروبيون متورطون في ستة صراعات داخلية في المجتمعات الإسلامية - في الصومال والسودان وأفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين - وفي كل حالة يقدمون المال والأسلحة لفصيل

ليقاتل فصلا آخر. وبينما أقبل هذا، يستعد حزب الله لاحتمال تجديد القتال مع إسرائيل، وقد وصلت سوريا وإيران إلى استئناف أن الخطر حقيقى وشيك وهما تستعدان له.

حين تبدأ كل الأطراف في رؤية حتمية الصراع، يتحقق حينئذ

(المحتوم). إن الأمريكيان موقعون بمقارنة الوضع في المنطقة بسنوات الثلاثينيات وصعود الشمولية، وقد تكون أوروبا عام تشبيها جيدا، حيث بلغت الأوضاع الآن ميلا بحيث يمكن لأي واقعة مفاجئة أن تشعل سلسلة من الأحداث قد تكون السيطرة عليها خارج قدرات حتى القوى العظمى في المنطقة... في الماضي تسميت واحدة سيارة في انغلاق الانقراض الأولى وحريق في سينما في إطلاق الثورة الإيرانية وعلى نتائج ما

يكن يتوقعها أحد.

إسرائيل أيضا غالبة عن الوضع فهي تعتقد أن الصراع الفلسطيني سوف يستمر وأنها سوف تستمر كذلك في التمتع باقتصاد مزدهر وتجارة سياحة راجحة.

وقد سلم الإسرائيليون بطريفة العيش في ظروفهم الحالية، الحياة مستمرة، كما يقتضرون يتناول، في

أحد المؤشرات على ما سيريده الناصيون الآن يمكن فهمه من خطابات نصر الله. قال في بيروت في شهر مارس، في منطقتنا، نشهد التهديد الخطير.. الذي تقدمه الإدارة الأمريكية لتحقيق

خطتها للسيطرة على مساردنا وولفسا، وفزاراتنا ومصيرنا، اليوم لا نسمع كلاما حول الانتخابات

والديمقراطية. لقد اكتشفوا بأنهم لو أقيمت الانتخابات حرة ونزيهة في العالم الإسلامي، فإن

الوطنيين الذين يصادون السياسة الأمريكية ويرفضون

الخضوع للهمنة الأمريكية سوف يشوزون في كل بلد، سواء كانوا إسلاميين أم غيرهم، بسبب المزاج العام في العالم الإسلامي، بتعبير آخر،

سكون أية انتخابات مثل هذه اختيارا لريغبة الشعوب في الخضوع للسياسة الأمريكية أو رفض الانصياع لها.

الخضوع للسياسة الأمريكية سوف يشوزون في كل بلد، سواء كانوا إسلاميين أم غيرهم، بسبب المزاج العام في العالم الإسلامي، بتعبير آخر،

سكون أية انتخابات مثل هذه اختيارا لريغبة الشعوب في الخضوع للسياسة الأمريكية أو رفض الانصياع لها.

الخضوع للسياسة الأمريكية سوف يشوزون في كل بلد، سواء كانوا إسلاميين أم غيرهم، بسبب المزاج العام في العالم الإسلامي، بتعبير آخر،

سكون أية انتخابات مثل هذه اختيارا لريغبة الشعوب في الخضوع للسياسة الأمريكية أو رفض الانصياع لها.

الخضوع للسياسة الأمريكية سوف يشوزون في كل بلد، سواء كانوا إسلاميين أم غيرهم، بسبب المزاج العام في العالم الإسلامي، بتعبير آخر،

سكون أية انتخابات مثل هذه اختيارا لريغبة الشعوب في الخضوع للسياسة الأمريكية أو رفض الانصياع لها.

بدون استثناء - الذي متى به الذين ساهموا في برلمانهم الوطني.

ليس هناك برلمان أو ممثل للشعب من إسلام آباد إلى القاهرة أو ما بينهما، نجح في إحداث أي تغيير مهم في مجتمعه. وفي نفس الوقت كان الشباب المصريون في الإخوان المسلمين يجادلون

في ما إذا كانت حركتهم التي تبليغ من العمر ثمانين سنة قد فقدت بوصلتها.

في رأيهم أن ما يقلل من مصداقيتهم ويبدو للخطيرة هو جلوس ممثلي الحركة في البرلمان في حين أن زعماءهم

يعتقلون وقاعدتهم الاقتصادية تخرب والتشريعات تمنع بهدف إقصاء الحركات ذات التوجهات الدينية من الانتخابات.

ويقولون إن الحركة مترهلة وجامدة وخرفاء وتحتاج إلى إعادة النظر وربما التشكيك.

إحدى القضايا مثار الجدل هي قدرة الجماعات الإسلامية المعتدلة مثل حماس وحزب الله على الاحتفاظ

باعتدالها مع انتشار تيارات التطرف... ما إذا سوف يظلون كتلة سياسية موحدة ومنظمة. فالحركات الإسلامية السنية

تضرب بقلبي متزايد من انتشار جماعات سلفية صغيرة تميل إلى العدائية وفي إيمانهم بأن إشعال النار في بقايا

السلطة الكونونالية هو جدد ذاته كاف لانطلاق الوعي الثوري يأملون.

وقد بدأت الجماعات السلفية تشق طريقها إلى غزة، وهي متواجدة فعلا في العراق ولبنان وشمال أفريقيا.

ليس من الواضح ما سوف يحدث. تنبؤ العودة إلى طلائع الحركات العسكرية العنيفة التي سادت في

الستينيات والسبعينيات، والبعيدة عن التشريعية الشعبية السائدة، غير محتملة الآن. ولكن الأكثر احتمالا هو

أن حركات معتدلة مثل حماس وحزب الله سوف تشجع مقاومة شعبية في الوقت الذي تناضل فيه للحفاظ على وجودها السياسي. إن مقاومة حماس

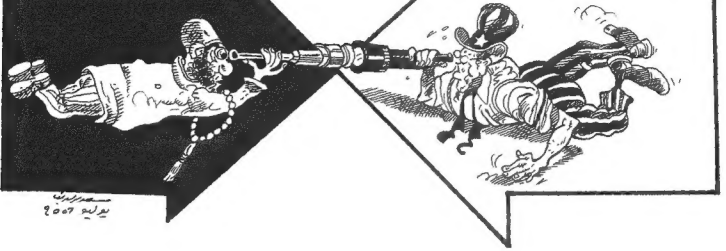
المسلحة في غزة والموجهة إلى ما تراه حملة غربية للقضاء عليها، هي مثال على الطريقة التي يمكن لحركة

إسلامية أن ترضى جمهورها الانتخابي التدخل الأمريكي في مجتمعاتهم من أجل مصالح ما يسميه خاص نصر الله «الشروع الغربي».

العدد المائة وثلاثة. أغسطس ٢٠٠٧ م



أساس الأزمة الحالية هي افعال الولايات المتحدة. يستمر العراق في إشعاع عدم الاستقرار وإثارة الفتنة بين الشيعة والسنة في كل مكان. وتدفع السياسة الأمريكية والأوروبية في فلسطين ولبنان إلى التوترات الداخلية والاستقطاب. واحتمال خطر أن يمتد الصراع إلى إيران وربما سوريا يلقي بظلاله على كل شيء آخر في المنطقة.



القيم مقابل المصالح!

سوريا والأردن، فإن تلك الدول الثلاث تشكل وحدة جغرافية تقع ضاماً في قلب الصراع العربي-الإسرائيلي. ومع ذلك فقد تم استبعاد سوريا والأردن من التحليل في هذا المقال لعدد من الأسباب الرئيسية. أولاً: إن عملية صنع السياسة الخارجية في الأردن لا تتم بتكليف من الحكومة وإنما من قبل ملكية دستورية قوية للغاية، ولن يؤدي أي تغيير في الحكومة إلى تحول جذري في سياسات الأردن تجاه العالم أو المنطقة. ثانياً، إن مشاركة الإسلاميين في الانتخابات السورية ليست أمراً مطروحاً لأن الديمقراطية والانتخابات هناك غير واردة. وعلى العكس من ذلك، فقد شارك الإسلاميون في الدول الثلاث المذكورة، في الانتخابات وشكّلوا من تحقيق بعض النجاح فيها. ففي إحدى تلك الدول شاركوا في الحكومة (لبنان)، وفي دولة أخرى شكّلوا وحدهم أول مجلس وزراء إسلامي خالص في العالم العربي (فلسطين)، وفي الدولة الثالثة احتلوا ربع مقاعد البرلمان ومن المحتمل أن يزيدوا من تواجدهم في الانتخابات القادمة (مصر). والأهم من ذلك، أن من المتوقع أن تؤدي مشاركة الإسلاميين في الدول الثلاث المذكورة إلى تغيير - ولو طفيف - في السياسة الخارجية. وربما تكون تلك التغييرات جوهرية في إحدى تلك الدول على الأقل.

إن النظر إلى السياسة الأمريكية لإحلال الديمقراطية في الشرق الأوسط

مدرجا على لائحة وزارة الخارجية الأمريكية للجماعات «الإرهابية». والغلبة الكبرى لصنع السياسة الأمريكيين هي الافتراض بأن أي وكل جماعة إسلامية تؤمن بالعنف بالضرورة أو تأخذ منحى القاعدة.. إن الرفض الأمريكي للإسلاميين يضيف إلى النظرة السلبية لسياسات الولايات المتحدة في المجتمعات العربية وغيرها، ويضعف أي إمكانية لتحقيق عملية ديمقراطية حقيقية في منطقة عانت كثيراً من الاستبداد وغياب الحريات الأساسية. إن الحديث عن عدم توافق الإسلام مع متطلبات الحداثة، واستغلال الإسلاميين للديمقراطية كوسيلة، ووقوف الحكومات الإسلامية في وجه الأعراف الديني، يضيف إلى الصورة المتدهورة للديمقراطية في المنطقة. وينظر المجتمع العربي إلى الولايات المتحدة باعتبارها أسوأ مروج للديمقراطية.

ينظر التحليل التالي إلى رفض الولايات المتحدة للجماعات الإسلامية في ثلاث دول محددة باعتباره انعكاساً لصورة عامة للسياسة الأمريكية في المنطقة. ولذا لا ستكون لبنان ومصر وفلسطين هي بؤرة المناقشة، وبالإضافة

والاقتصاديات الضعيفة والتخلف والأنظمة السياسية المظلمة تشكل أفضل الظروف لتجنيد الإرهابيين من الشباب. وعلى ضوء ذلك، فنظر إلى غياب الديمقراطية باعتباره تهديداً للأمن الأمريكي والمصالح الأمريكية. ومن ناحية أخرى، ازاد اهتمام الإسلاميين بالمشاركة في الانتخابات السياسية. وهم يدركون أن كل الظروف قد اتحدت ضد الحركات الإسلامية في فترة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر. إن أفضل وسيلة لتجنب الغضب العالمي هي تحقيق الشرعية من خلال الانتخابات. وقد فعلوا ذلك في العديد من الدول. ومع ذلك، تبقى حقيقة أن الإسلاميين يمثلون القوة المعارضة الحيوية الوحيدة في الأنظمة غير الديمقراطية. وفي النهاية فإن هناك إدراكاً متزايداً أن إحلال الديمقراطية الحقيقية في الدول العربية لا يمكن أن يتم دون ضم الأحزاب السياسية الإسلامية.

ومع ذلك، فإن هذا الإدراك لم يترجم إلى سياسات. فعلى سبيل المثال، مازالت الولايات المتحدة تعارض ضم الإسلاميين في العملية الديمقراطية. وما زال عدد كبير من المنظمات الإسلامية

تعد مشاركة الأحزاب الإسلامية في العملية الديمقراطية في الدول العربية إحدى القضايا المحورية للديمقراطية ومناقشات إحلالها التي تدور الآن داخل دائرة مروجي الديمقراطية في المنطقة، وكذلك في الحواصم والساحات الأكاديمية العربية. لعدة عقود، كان يجري إقصاء الإسلاميين عن المشاركة في مؤسسات الدولة. أو أنهم كانوا يختارون ذلك بمحض إرادتهم، ولم تحيد كل من القوى الدولية ومروجي الديمقراطية إيماء الإسلاميين، ولم يفعلوا شيئاً لتشجيع على مشاركتهم. وقد عارضت الولايات المتحدة عموماً - بما لها من تاريخ طويل من التدخل في المنطقة وعلاقات صداقة مع العديد من الأنظمة العربية وكذلك مصالح حيوية على المحل - عارضت مشاركة الإسلاميين في العملية الديمقراطية خوفاً من سيطرتهم على حكوماتهم. وللمفارقة، فإن هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية فتحت عيون مروجي الديمقراطية - بمن فيهم أولئك الموجودون في الولايات المتحدة - على المخاطر التي تشكلها الأنظمة المستبدة على الأمن الدولي. وقد توصل العديد من صنّاع السياسة والمراقبين الأجانب إلى الاعتقاد بأن السياسات الرديئة

بترتيب خاص مع:

Arab Insight

ترجمة: عادل فتحى

الرفض الأمريكي للإسلاميين كحزب الله وحماس والإخوان المسلمين يضيف إلى النظرة السلبية لسياسات الولايات المتحدة في المجتمعات العربية وغيرها. ويضعف أي إمكانية لتحقيق عملية ديمقراطية حقيقية في المنطقة



بالسبب على موقف الحزب. ومن الواضح أن الولايات المتحدة تتساند مطالب الحكومة بضروة دمج ميليشيات حزب الله ضمن الجيش الوطني، ولا يصادر أي حزب المستقبل السياسي للبلاد، ويعني ذلك عدم السماح للحزب بيشن ليس مستقبلا إن الإفراد الأمريكية.

تؤيد تحالف الرابع عشر من مارس، بينما تساند سوريا مطالب معارضة الثامن من مارس. وقد صنفت الولايات المتحدة حزب الله منذ اللحظة الأولى كجزء من محور الشر الذي يضم سوريا وإيران، ويعتقد أن هذين البلدين هما المزدور الرئيس للحزب بالسلاح والمال. وهذا - بالتالي - أقوى المصادر نفوذ في صناعة سياسته. وبالتالي فإن الحزب الأمريكي ضد النظامين الإيراني والسوري تعد حريا على حزب الله.

تفضل الولايات المتحدة ألا يتحكم حلفاء حزب الله في الحكومة اللبنانية، وذلك لتعريض من الأسباب. فهناك قلق متزايد في العالم العربي السنّي فيما يتعلق بتمناؤي دور الشيعة في السياسات العربية. ولا تفضل الولايات المتحدة أو دول مثل مصر والأردن والسعودية ودول الخليج الآخر مثل هذا السيناريو. فمن منظور الربيع العربي، كانت الولايات المتحدة على خطأ حين مكنت للشيعة العربيين ولقمت أظافر الخواص من السنة. من الواضح أن إقامة حزام شعبي يتكون من إيران والعراق والأجزاء الشمالية من السعودية والكويت وقطر وكذلك جنوب لبنان لن يحقق تطورا إيجابيا في سياسات المنطقة، وحلفاء أمريكا من الربيع السنّي وعون وحساسون تعاضد تجاه تلك المسألة. ولذلك فإن استقرار النظام اللبناني هو أحد المصالح الإقليمية والأمنيات الأمريكية أيضا.

من المهم أيضا بالنسبة للولايات المتحدة أن حزب الله هو جزء لا يتجزأ ليس فقط من الحياة السياسية اللبنانية، وإنما أيضا من الصراع في الشرق الأوسط. لقد حقق دور الحزب في مواجهة إسرائيل خلال العقود الثلاثة الماضية نجاحا كبيرا لا خارج لبنان. لقد كان لتوزيع صور السيد "حسن نصر الله"، الأمين العام لحزب الله اللبناني في المظاهرات بتواريخ القاهرة وعمان وعرة علامة احتجاج ضد السياسات الأمريكية في المنطقة.

والأكثر من ذلك أن حزب الله اعتبر الإغراق الإسرائيلي في الحرب ضد عام ٢٠٠٦ هزيمة أيضا للنشوة الأمريكية (اعتبرت الولايات المتحدة الحرب

والإستراتيجية الأمريكية الشاملة في لبنان والشرق الأوسط.

أولا إن حزب الله قوة ناشطة في السياسات اللبنانية، وهو يمثل شريحة كبرى من سكان البلاد الشيعة. وعلى الرغم من أن الشيعة غير ممثلين في البرلمان كما يجب، مقارنة بالطائفتين الكبريتيين الخريفيين - المسيحيين والسنة - حيث يحتل الحزب ٢٧ مقعدا في البرلمان مقارنة بـ ٦٤ مقعدا للمسيحيين و٢٧ مقعدا للسنة. إلا أن مشاركته تعد حيوية للحياة السياسية في البلاد (يمثل الشيعة حوالي ٣٤٪ من السكان بينما يمثل السنة حوالي ٢٢٪). وقد شهدت السنوات ٣٦ والبروز ٨ والطوائف الصغيرة الباقية الأخرى حوالي ٢٢٪. لسعد سامح الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان في زيادة سطوة دور الطائفة، بالنظر إلى أن الجنوب هو معقل الشيعة. وقد وفر الانسحاب الإسرائيلي من لبنان قوة دفع للطموح السياسية الداخلية لحزب الله، حيث إنه كان يقود المقاومة العسكرية. وبعد مرور أقل من خمس سنوات بعد الانسحاب الإسرائيلي، وقع بالبلاد أحداث سياسية أخرى على سياساتها لعدة سنوات قادمة. فقد تم اغتيال "رفيق الحريري"، رئيس الوزراء اللبناني السابق في ١٤ فبراير ٢٠٠٥، مما أدى إلى تقسيم البلاد إلى معسكرين سياسيين كبيرين: تحالف الرابع عشر من مارس ومعارضة الثامن من مارس. ويقود الحزب في المعسكر الثاني. ولم يكن الاضطراب الذي وقع في النظام السياسي اللبناني يمتد إلى عيون الولايات المتحدة.



من الواضح أن الولايات المتحدة لا تحبذ حدوث أي تغيير في النظام السياسي الطائفي في لبنان. فمثل ذلك التغييرات - إن وقعت - ستعني زيادة مشاركة حزب الله في صناعة وصياغة السياسات اللبنانية. وبينما تتعامل الحكومة اللبنانية بحرص من الصراعات الداخلية خوفا من اندلاع حرب أهلية مثل التي عاود منها في الماضي، فمن المرجح أن يجلب مثل هذا الصراع تحولات جوهرية فيما يتعلق بتوزيع السلطة داخل المؤسسات اللبنانية. إن ما تخشاه الولايات المتحدة هو التغيير، وهي حريصة للغاية على التدخل في أي تغييرات تحدث. وقد فشل حزب الله في تحقيق مطالبه ونجحت حكومة فؤاد السنورة، في الاختيار، سوف يؤثر ذلك

باعتباره رفضا أمريكيا عاما للإسلاميين في العملية السياسية العربية ليس بالأمر الدقيق. وبدلا من ذلك، أرى هنا أنه من الممكن فهم السياسات الأمريكية بصورة أفضل من خلال دراسة سياق كل حالة بمفردها. ويجب أن تتجاوز المناقشة الجدل الدائر الخريفي بأن هناك رفضا شاملا للإسلام، أو أن الإسلام، يتصارع، مع الأنظمة التحررية أو القيم أو الحضارة العربية. سوف أقصر هذه المناقشة على الموقف الأمريكي تجاه حزب الله في لبنان والإخوان المسلمين في مصر وحماس في فلسطين. وتلك الجماعات الثلاث هي الأحزاب والحركات الإسلامية الأكثر بروزا في دولهم. بل إن كلاً منها لديها بعض الخبرة في المشاركة في انتخابات حديثة (لم تشارك جماعة الجهاد الإسلامي - على سبيل المثال - في الانتخابات العامة في فلسطين، وكذلك لم تفعل ذلك بعض الحركات الجهادية في مصر).

حزب الله، تاريخ من الرفض

الولايات المتحدة لا ترفض حزب الله فقط كقوة سياسية في النظام اللبناني، ولكنها تنظر إليه أيضا كهدف محتمل لهجوم أمريكي. إن علاقة حزب الاستفزاز المتكرر. ففي عام ١٩٨٢ قتل في بيروت ٢٢١ من مشاة البحرية متعددة الجنسيات - بواسطة مفجر انتحاري. كما وقعت انفجارات بالسفارة الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٢ و١٩٨٤ (ذلك بخلاف بعض الأعمال التي اتهم حزب الله بالتوريط لها مثل اختطاف طائرة في دبليو رقم ٨٤٧ ومقتل سائق البحرية الأمريكي عام ١٩٨٥). وكان مشتبهيا في قيام حزب الله بدور في تلك الأحداث. وكما علق "دانيال بايمان Daniel Byman"، قبل ١١ سبتمبر بوقت طويل، "حزب الله استنق أن أي حرب بأن يكون على رأس مخاوف المستولين عن مكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة (وأعلن بوش - على سبيل المثال - أن أي حرب ضد الإرهاب يجب أن تتضمن حزب الله. بل إن بعض المستولين الأمريكيين صنّفوا حزب الله كإرهابي (١) من الإرهابيين بينما القادة كالحزب (٢)). وليس من الممكن - بعد هذا القول - الفصل بين الحزب والولايات المتحدة من قبل الله

الإسرائيلية جزءا من حربها العالمية (إلحاح). ويتميز أكثر خشونة، فإن أمريكا وإسرائيل وجهان لعملة واحدة. فعلى سبيل المثال، يعتقد أحد زعماء الحزب أن أمريكا تريد تحويل لبنان إلى مستعمرة وقاعدة سياسية وأمنية وعسكرية. (أرسل سعد غريب نفس المصدر السابق، صفحة ٨).

وفي النهاية، وكما يوضح التحليل السابق، فإن الرفض الأمريكي لحزب الله مرتبط بالسياسات الإقليمية والعالمية الأكثر شمولاً، والتي تعتبر العلاقات والمواقف فيها مع الدول المجاورة أكثر العناصر حساسية على الإطلاق. وعلى ذلك، فالسؤال التالي يستحق اهتماما خاصاً: هل سيحافظ الأمريكيون على نظرتهم إلى حزب الله باعتباره منظمة إرهابية لو أنه أبرم صفقة سلام مع إسرائيل؟ رغم أن الولايات المتحدة قد ترفض شروطا أخرى كثيرة، إلا أن المفكرين والوطنيين العرب يعتقدون أن صفقة سلام ستكون كافية لنقل حزب الله من معسكر الأسود إلى معسكر

الإخوان المسلمون، رفض هائل

تعد جماعة "الإخوان المسلمون"، من بين إحدى أقدم جماعات المصارعة السياسية في مصر. وقد شكلت الحركة التي تأسست عام ١٩٢٨ من النجدة من قطاعات العلاقة مع الأنظمة المصرية لما يقرب من ثمانية عقود. ورغم ثبوت تورط الحركة في بعض أعمال العنف في السابق، إلا أنها لا تسعى حالياً للوصول للحكم بالقوة. وقد لجحت الجماعة - المحظورة قانوناً - أثناء الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٥ في الفوز بـ ٨٨ مقعدا من بين مائة البرلمان البالغ عددها ٤٤٠ مقعدا. لم تكن هناك أبدا علاقة ودية بين الجماعة والولايات المتحدة، على الرغم من بعض المفاوضات حول عقد مشاورات أو مباحثات بين دبلوماسيين أمريكيين في القاهرة مع زعماء للحركة. وهناك ثلاث مصالح تركز الرفض الأمريكي للحركة: هي العلاقات المبتركة، بين الولايات المتحدة ونظام مبارك، والمزور الأمن للنفع والمؤن من خلال قناة السويس والحمرات التجارية الأخرى، وكذلك الحاجة لاستقرار شامل في المنطقة وعلاقات سلام مع إسرائيل. إن مصر هي أكبر مستلق عربي للمساعدات الأمريكية وتبلغ المساعدة الأمريكية

أمريكا والإسلاميون القيم مقابل المصالح

للإخوان المسلمين. يجادل البعض أن القضايا السياسية والعلاقات مع إسرائيل لن تشكل أهمية كبرى للإخوان المسلمين وأن الحفاظ على نظامهم سيكون الأكثر أهمية بالنسبة لهم.

حماس: الشروط أولا

لم تواجه أي حركات إسلامية في الدول العربية نفس القدر من الضغط الذي واجهته حماس. لقد شكلت حماس أول حكومة إسلامية خالصة في العالم العربي، بعد سيطرتها على المجلس التشريعي الفلسطيني عقب انتخابات يناير ٢٠٠٦. وقد حققت الحركة - التي ظهرت عام ١٩٨٧ - شعبية متزايدة في الشارع الفلسطيني من خلال مشاركتها في الصراع الوطني ضد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. وعارضت حماس منذ اللحظة الأولى معاهدة السلام بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وانكرت شرعية السلطة الفلسطينية والفصلية لأهلها نشأت نتيجة للمعاهدة مع إسرائيل.



على الرغم من أن واشنطن صنفته بالحركة باعتبارها إرهابية، وأن المحادثات والحزب الرسمي مع الحركة محرم قانوناً، فقد سمحت الإدارة الأمريكية لبعض ضلّاء وكالة الاستخبارات المركزية والدبلوماسيين السابقين ببقاء ممثلين عن حماس. وقد تمت لقاءات على مستوى منخفض مع حماس عام ١٩٩٢، وفي عام ٢٠٠٤، تم دعوة أعضائها رسمياً مع زعماء حماس في غزة. وقد تمت لقاءات بين الجانبين في بيروت عام ٢٠٠٥، من الواضح أن واشنطن كانت تستكشف السبل لترويض الحركة. وهذا هو ما يشير إليه تفحصنا أحد الكتاب العرب عندما كتب عن «احتواء وترويض حماس عن طريق إشراكها في السياسات البوذية».

إن القوة الرئيسية وراء رفض الولايات المتحدة لحماس تستند إلى لجة الأخيرة للتعف ضد إسرائيل. من خلال مهاجمة الدينين وبواسطة التفسيرات الانتحارية وقصف القرى الإسرائيلية على طول حدود قطاع غزة بالصواريخ صغيرة الحجم، ولم تستمر حماس عملياتها على الإطلاق خارج حدود فلسطين تحت الانتداب. كما أنها أكتت دائماً أن عدوها الوحيد هو إسرائيل وأن هدفها الرئيسي هو تحرير الوطن وإقامة الدولة، وليس أكثر من ذلك، ومع ذلك لا تستخدم

إسرائيل، كما أنهم يعارضون تطبيق العلاقات بين الدولتين. وربما تدعو الحركة - إذا ما حصلت على السلطة التشريعية أو حتى مؤسسة الرئاسة - إلى تعليق المعاهدة. وليس ذلك بعيداً شاماً عن تفكير البيت الأبيض أو وزارة الخارجية.

رغم ذلك، لم يلجأ الإخوان المسلمون أبداً لاستغلال وضعهم هذا لإثارة الإضرابات والشغب من المدن. وبدلاً من ذلك، ركزت الحركة خلال العقد الأخير على القضايا الداخلية مثل الإصلاح السياسي والحقوق المدنية والحرريات العامة والخدمات الاجتماعية. ورغم أن الحركة تعارض السياسات الأمريكية في المنطقة وتشارك غالبية العرب الاعتقاد بأن الولايات المتحدة ليست وسيطاً نزيهاً في الشرق الأوسط، وإماماً حارماً في إسرائيل، فإنها لا تعتبر واشنطن عدواً. وبمبيلة، فإن الحركة لن ترفض دعوة من واشنطن للمحادثات أو المفاوضات.

وهناك أيضاً قلق متزايد في الدوائر الأمريكية حول فرص الاتصال مع الإسلاميين في مصر. فاحتكامهم يصبحوا جزءاً من النظام يبدو حقيقة واضحة. ومن جهة أخرى، فإن تشجيع النظام على فهمه هو بوضوح بصورة البيت الأبيض - المتصدعة بالفعل - كمروج للديمقراطية. لن مشاركة الولايات المتحدة ستكون ضرورية لتشجيع الاندماج السلمي للحركة في الحياة السياسية. ستؤدي مشاركة الحركة إلى انتهاجها خطاً غير عقلاني. وفي المقابل، قد يؤدي ذلك إلى جعل الحركة أكثر عصرية ومرونة في معالجتها لحالات الغالبية والداخلية. ويعد حزب العدالة والتنمية التركي نموذجاً للحل المفضل للحركة.

إن الإدارة الأمريكية لا تستبعد احتمال صعود الإخوان المسلمين للهيمنة على الحياة السياسية المصرية، وليس من الحكمة أن يستبعدوا ذلك. ورغم أن الإدارة لا تحب بذلك فإنها ستكون جاهزة للتعامل مع الحقائق الجديدة حال وقوعها. والحركة - بلا شك - هي أكبر معارضة سياسية عصرية للأعظم جذراً. ولذلك فإن يكون من المستغرب أن تقرر الولايات المتحدة - في مرحلة ما - أن تدخل في حوار مفتوح مع الحركة حول مستقبل البلاد، وبشكل تأكيد، سوف تطفو على السطح قضايا رئيسية مثل العلاقات مع إسرائيل والتوافق مع اتفاقيات كامب ديفيد وجهات النظر حول حل دائم للصراع العربي-الإسرائيلي. وسوف يواجه الإخوان المسلمون الصبرون نفس الأسئلة التي واجهتها حماس، الجناح الفلسطيني

لمصر حوالي ٢ مليار دولار سنوياً. وقد وصلت تلك المساعدة إلى ١.٩ مليار دولار عام ٢٠٠٢. ٢.٧٠ مليار دولار عام ٢٠٠٣، ١.٨٧ مليار دولار عام ٢٠٠٤. ومن تلك المساعدات، فإن الدعم العسكري السنوي ثابت عند ١.٣ مليار دولار. ومن المعتقد أن الإدارة الأمريكية فضلت - عبر سنوات طويلة - أن تساند أنظمة صديقة في مصر بدلاً من المقامرة على انتخابات حقيقية ونزوية يمكن أن تأتي بزعماء جدد يعارضون المصالح الأمريكية في المنطقة. ولذلك فإن الجهود الأمريكية لتحقيق تحول ديمقراطي في مصر لم تلق قبولاً على الإطلاق سواء من المعارضة الإسلامية أو النظام. وفي حين أن المعارضة الإسلامية تعي أنها لن تقاتل دعم الأمريكيين حتى لو فازت بالانتخابات، فإن النظام المصري يريد أن جهود إحلال الديمقراطية في مصر لم يساهمة مجرد وسيلة لممارسة ضغط على الحكومة لتغيير ما يعتبرها المصريون إقليمية معينة. وقد كتب المرشد العام للإخوان المسلمين أن الحركة تلتزم إلى الولايات المتحدة باعتبارها الوئيت للاستثمار الغربي، متهماً واشنطن بعدم الجدية في جهودها لإحلال الديمقراطية.

إن نظاماً صديقاً غير ديمقراطي هو أفضل من نظام ديمقراطي مزعج. وفي الشخصيات في سجل الولايات المتحدة في مساندة أنظمة بعيدة عن الديمقراطية مع مبرر تماماً، وتتراوح الحالات من أمريكا اللاتينية إلى الشرق الأوسط. ولذلك، فحتى عندما تظهر الولايات المتحدة وبغيرها من مروجي الديمقراطية الخارجيين الآخرين اهتماماً، فإنهم يصرون تدخلهم في مصر - على إصرار الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم، دون اعتبار لحزب السياسية الأخرى الموجودة.

ومع ذلك، يجب ألا ننسى أن خصم هذا التحليل أن مصر كان لها وضع فريد. فواشنطن لا تستطيع ولا ترغب في الإصرار بإحلال ديمقراطية حقيقية في أكبر دولة عربية والإطاحة بنظام يعد من قضاها في المنطقة. إن جزءاً كبيراً من تأميم إمدادات النفط يعتمد على مصر. إن استقرار النظام السياسي المصري يعني تأميم إمدادات النفط عبر قناة السويس. وربما لا تستطيع الولايات المتحدة قبول نظام قد يبتز المجتمع الدولي من خلال معاملة تمييزية فيما يتعلق بمرور البترول من خلال خلد. والأكثر من ذلك أن مصر هي أكثر الدول العربية تأثيراً في خصم الصراع العربي-الإسرائيلي. وقد عارض الإخوان المسلمون اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر

الحركة لهجة ودية عند الإشارة إلى الولايات المتحدة، على الرغم من أنها لم تقترعها أبداً عدواً لها. وكان ينظر دائماً إلى موقف الولايات المتحدة ورفضها لحماس من قبل الدائرة الداخلية للحركة والمجتمعات العربية الأكبر باعتبارها إحدى إستراتيجيات الإدارة الأمريكية لساندة إسرائيل والدفاع عنها. وقد صنفته وزارة الخارجية الأمريكية معظم حركات المقاومة الفلسطينية - بما فيها الجناح العسكري لمنظمة فتح، التي يترأسها عباس، والمسماة بـ «كتائب الأقصى» - لحساس المشكور، إنفاً إلى الرضف الأمريكي لحساس و تعبير آخر من الرضف الأمريكي للحقوق الفلسطينية. عندما أعلنت حماس فجأة - وإن كان ذلك متوقفاً - عن نيتها المشاركة في الانتخابات الوطنية في يناير ٢٠٠٣، عارضت الولايات المتحدة تلك الخطوة وعبرت عن مخاوفها من مشاركة ما تعتبره جماعة إرهابية، من عملية ديمقراطية. وقد اشتركت على الحركة نبد العنف في تشارك في الانتخابات، وبعد تدخل الرئيس محمود عباس سمح لحساس بتقديم مرشحها للانتخابات. ولم يتوقع أحد في ذلك الوقت - بما في ذلك زعماء حماس أنفسهم - أن تهيمن الحركة على أغلبية المجلس التشريعي. ولكن هذا ما حدث. وكان المازق بالنسبة للولايات المتحدة أن حماس وصلت للحكم من خلال انتخابات راقبها المجتمع الدولي. وبدلك فإن الحكومة الحالية تقودها جماعة تصنفها الولايات المتحدة كإرهابية.

كان السبيل أمام واشنطن للخروج من المأزق هو الترتيب لخرض عقوبات دولية ضد حكومة حماس، بداية بقطع المساعدات الأجنبية الدولية ووقف الاتصالات الدبلوماسية على كافة المستويات، والأهم من ذلك فرض مجموعة من الشروط يجب على الحركة الوفاء بها قبل رفع العقوبات. وقدمت اللجنة الرباعية للشرق الأوسط، المكونة من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة، إلى حماس ثلاثة شروط. أولاً يجب أن تعترف الحركة بدولة إسرائيل. ثانياً يجب أن تتخلى عن العنف كوسيلة لحل المسائل السياسية. ثالثاً يجب أن تقرر معاهد السلام المبرمة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. كان من المعتقد أن تؤدي المصالح الاقتصادية الناجية عن العقوبات إلى اضطرابات اجتماعية تدفع الحكومة إلى تغيير موقفها. وخلال الشهر الأخير نشر حكومة حماس، لم تقبل الحركة بأي من تلك الشروط



المشهد على الجبهة الغربية!

محمد الفاضلي

■ شكل خروج العالم مع بداية عقد التسعينيات من مرحلة الحرب الباردة، التي تميزت بسيادة قطبين رأسمالي وشيوعي. بداية ظهور نمط جديد من العلاقات بين الدول يبنى على منطق العلاقات التعاونية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. بدلا من العلاقات التنافسية والصراعية التي هيمن عليها منطق السباق نحو التسليح وسياسة تشكيل الأقطاب المعادية؛ في المقابل تجمعت مجموعة من الحروب الأهلية التي كادت أن تتحول إلى حروب إقليمية كما حصل في أفريقيا وكذلك اسيا وأوروبا. وقد ساعد هذا الوضع الدولي على نزوح مجموعة من الحركات الاحتجاجية أو تقوية أخرى، خصوصا داخل الدول التي عرفت مشاكل على الصعيد تدبير الحقوق السياسية والمدنية لواطنيها. وتندرج ضمنها الدول العربية الإسلامية سواء في الشرق أو المغرب. أدى بزوغ الحركات الاحتجاجية وخاصة حركات الاحتجاج الديني التي اتخذت من الإسلام أساسا لبناء مشروعيتها (la légitimité) خطابها، إلى وضع مشروعيتها الحكام في المحك، فقد اتهمت النظم الحاكمة على المستوى الداخلي بالفساد وعدم القدرة على مجازاة حاجيات ومطالبات المواطنين، واتهمته على المستوى الخارجي بالتعريض في دور البريادة الذي كانت تتبعه الحضارة العربية الإسلامية على المستوى الدولي لما قاد. من وجهة نظر تلك الحركات، إلى التعريض في فلسطين وسقوط العراق تحت الاحتلال. وقد قاد اختلال الوضع الداخلي لأغلب الدول العربية بسبب الصعود

المتزايد لحركات الاحتجاج الديني إلى تقوية مركزها. مما ساعدها على امتلاك قدرة التهديد المباشر لمصالح الدول الغربية المتهمة من قبلها بدعم قوى الاستكبار الداخلي، وانتقال تلك الحركات من مرحلة التهديد إلى مرحلة الدخول في مواجهات مباشرة. سواء من خلال تنفيذ عمليات مسلحة مباشرة ضد المصالح الغربية، أو من خلال المشاركة المباشرة في تجنيد متطوعين للقتال في الحروب التي تقودها هذه الدول سواء في أفغانستان أو في العراق أو في الصومال أو في التشينان. ونجم عن هذا الوضع تفجر خطاب الاستقلال التام والاستقلال المصاد بين تلك الحركات التي تبنت مرجعية فكرية دينية بالأساس من جهة، وبين الدول الغربية من جهة ثانية. وهو خطاب وصل ذروته في ظل إدارة الرئيس جورج بوش الابن "أ كمنت نتيحة الأساسية في عدم سيادة خطاب، إلا أن، للجميع مما طرح سوألا، ما السبيل وما تكلفة الخروج من هذا الوضع إلا مستقر؟ وطرح في هذا السياق أن الحل يكمن في ضرورة فتح خط أخضر بين الغرب وبين الحركات الإسلامية المعتدلة، مما ترتب عليه ظهور موقف إيجابي للولايات المتحدة من بعض الإسلاميين المعتدلين مثل، حزب العدالة والتنمية، في المغرب، وجمعية العمل الإسلامي، في الأردن. ويركز هذا المقال على تناول حالات القبول والرفض الأمريكي للحركات الإسلامية في منطقة المغرب العربي، من خلال محاولة الإجابة على التساؤلات الثلاثة التالية:

١ - ما هي دوافع قبول الولايات المتحدة للحركات الإسلامية في بعض الدول العربية غير إسلامها؟ وما هي التكلفة السياسية لهذا القبول؟

٢ - ما هي الحدود الاستراتيجية للموقف الإيجابي الأمريكي من صعود بعض الحركات الإسلامية، أخذا بعين الاعتبار المرجعية الفكرية لهذه الحركات؟

٣ - إلى أي مدى ستتجاوب هذه الحركات مع الموقف الأمريكي الإيجابي؟ وسيركز المقال على دراسة نموذجي «حزب العدالة والتنمية»، و«جماعة العدل والإحسان»، في المغرب، ونموذج «حركة النهضة الإسلامية»، في تونس، ونموذج «الجبهة الإسلامية للإنقاذ»، في الجزائر.

أولا، الولايات المتحدة في الخطاب المرجعي للإسلاميين

إن البحث في مسألة القبول الأمريكي للحركات الإسلامية من عدمه يجب أن يسبقه البحث في سؤال رئيسي هو: إلى أي حد تجد مبادرة القبول الأمريكي، في حالة وجودها، تجاوبا وصدى في الخطاب المرجعي للحركات الإسلامية؟

تستعمل للحركات الإسلامية في دول المغرب العربي، وعلى غرار نظيرتها في الشرق العربي، مرجعيتها الفكرية من مصادر الشريعة الإسلامية التقليدية المعروفة وهي القرآن والسنة النبوية والإجماع والقياس. ويمكن الخلاف الرئيسي بين تلك الحركات في مساهج الاستسلام، وكيفية وحلود ترجمة هذه المصادر لواقعها. وهو ما أدى بدوره إلى تصنيف تلك الحركات من زاوية هذا الاستسلام إلى تيارات سلمية وأخرى حركية، ومن زاوية ثانية إلى حركات راديكالية وأخرى معتدلة أو معادية.

فأصول أو المرجعية الإسلامية لهذا

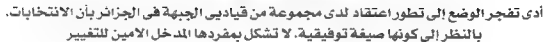


الخطاب تدفع لوهلة الأولى إلى النظر لتلك الحركات وكأنها في سلة واحدة، لكن أهمية التمييز تجد قيمتها في توضيحات الخطاب، بمعنى هل يقوم الخطاب بتوظيف هذه الأصول بهدف البحث عن تناقضات بينها وبين الواقع المحاش؟ (الخطاب التوقيفي)؟ أم أنه يوظف هذه الأصول ببصيص ووصصات تجعل الواقع هو المآزج بالتكليف والمسايرة مع المرجعية الخلفية الدينية (الخطاب السلفي المحافظ)؟ مما يسقط الخطاب في وضع الأزمة، وهذا هو المعيار الأساسي للتمييز والتكامل بمساعدتنا على فهم مدى استبعاد الخطاب الإسلامية للتعاطي الإيجابي مع مبادرات القبول الأمريكية لهذه الحركات، ويمكن التمييز هنا بين نمطين من الخطاب الإسلامي داخل الحركات الإسلامية.

١. الخطاب الإسلامي السلفي المحافظ

ويمكن أن نطلق عليه أيضا «نظرية الرهض المطلق»، ويتضمن هذا الخطاب أساسا على التثبيت الصلب بالتفسير الدقيق للنصوص الدينية، وبالتالي عدم قبول بالتفسيرات الواسعة أو الأكثر قبولاً للنصوص، وعليه فإن كل الأشياء الخارجة عن التفسير الدقيق تعتبر أمورا ضالة وتسقط في حكم البدعة، التي هي بحسب الحديث النبوي، «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار». فالواقع يوظفه سلوك الفرد في جماعة المؤمنين التي ينادي بدهن أن يخضع وجوبيا لحكم النص الشرعي.

يتصور هذا الاتجاه أن البلاد والمصالح التي حلت بلاءة الإسلام سببها هو زيفها بشكل أساسي عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وذلك بفضل الانكسارات التاريخية التي وقعت نتيجة تعرض الدول العربية الإسلامية



العقد المائة وثلاثة. أغسطس ٢٠٠٧ م

أمريكيون المشهد على الجبهة الغربية



الإسلامية. وحدود التزام خطاب وممارسات تلك الحركات بالحد الأدنى من منظومة القيم الديمقراطية العربية التي تشكل في المن الأمريكي الضمانة الأساسية لبناء الثقة ويقودنا التفسير الموضوعي لهذه الدوافع إلى تناول كل حالة على حدة

الجبهة الإسلامية

للإنقاذ في الجزائر

هارت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الانتخابات التشريعية التي أجريت في الجزائر في ٢٦ ديسمبر ١٩٩٦. واتى ثم إلغائها من خلال انقلاب عسكري في ١١ يناير، ثم حل الجبهة في مارس ١٩٩٦. وقد نظر الكثيرون إلى الانقلاب ثم حل الجبهة على أنه خرق للشريعة (la légalité) الدستورية، وأنه تم في إطار نوايا أمريكية، والتصنيع لظهور حركات التي ترى أن الإسلاميين يتعاملون مع الانتخابات باعتبارها أداة للتمكين وليس كأداة ديمقراطية للانتقال السلمي للسلطة. ويستند هؤلاء إلى غياب أي تحرك أمريكي حول إعادة الشريعة الدستورية على نحو ما حدث في حالة انقلابات أخرى وقعت في دول مثل باناما أو نيجيريا.

والسلطة إلى خطاب، وممارسة الجبهة الإسلامية للإنقاذ آنذاك يمكن تصنيفها ضمن الاتجاهات التيار الإسلامي الراديكالي الذي لا تشكل الانتخابات بالنسبة له سوى تقنية إجرائية للوصول إلى السلطة. والقول إن الجبهة الإسلامية للإنقاذ لم تشكل نموذجاً يمكن الاعتماد عليه من جانب الولايات المتحدة والغرب، ولم تمتلك المقومات أو الشروط التي تتيح للولايات المتحدة والحرب بالانفتاح عليها. ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى موقف الرئيس الفرنسي الراحل، «هنري ميشران» عندما قرر الرئيس الجزائري الأسبق، «الشاذلي بن جديد» تحرير النظام السياسي والسماع بتأسيس الأحزاب السياسية. إذ أرسل إليه ميشران يقول له: «لنني أدعوك إلى مراجعة موقفك هذا، إلى الترخيص للأحزاب كلها، وخصوصاً الإسلامية. ولأني مستعد أن أتحمّل عنك ديون

مختلف القوى الصاعدة داخل هذه الدول تصبح مسألة تفرصها اعتبارات الحفاظ على مصالحها الوطنية. وفي ضوء الدور المتقدم والمتصاعد للحركات الإسلامية في المشهد السياسي العربي، خاصة على صعيد النتائج التي حققتها بعض تلك الحركات في الانتخابات (حالات اليمن، الكويت، الأردن، فلسطين، مصر، الجزائر والمغرب) يصبح تطوير سياسة أمريكية محددة إزاء تلك الحركات باعتبارها واحداً من الفاعلين السياسيين الذين لا يمكن تجاهلهم، مسألة مهمة.

ويكشف الواقع أن القوى الإسلامية أضحت رافداً لا يمكن تجاوز أو إقصاءه تأسيساً على نظرية المهدي، بل إن العنصر، «البراهماني» الذي يشكل لب الفلسفة السياسية الأمريكية يفرض البحث عن صيغ وحلول توفيقية تتأسس على التفاهم حول المصالح المشتركة. ويقدم نموذج حزب العدالة والتنمية في تركيا للولايات المتحدة نموذجاً مهماً للمحاكاة إعادة إنتاجه في دول عربية. كنموذج لا يمكن يستند إلى مرجعية إسلامية، ويعمل من داخل نظام سياسي يرفع شعار العلمانية كشرط أساسي للتناوب على السلطة. تكشف هذه التجربة عن قدرة صالحيه لحزب دي مرجعية إسلامية على التفاهم والتعايش مع الآخر بعيداً عن نظرية البوضر الحلق، بل والمكانية الالتزام بشروط أساسية تتمثل في الحفاظ على الترامات الموقلة التبركية تجاه حلف شمال الأطلسي، والحفاظ على علاقات متوازنة مع إسرائيل والتي تعتبرها باقي الحركات الإسلامية عدواً حضارياً وسبب البلاء الذي تعاني منه الأمة العربية الإسلامية. وتعتبر الإدارة الأمريكية الراعي الأمين لها.

وتشكل ما يمكن القول أن هذه التجربة تمثل دافعا ذاتيا لنموذج المثال التركي كنموذج لإطلاق مبادرات تساعد على بناء إطار للعامل المتأثر مع هذه الحركات في بعض الدول العربية الإسلامية. ويثير ذلك سؤالاً حول الغيار الحاكم لقبول الإدارة الأمريكية التعامل مع حركات أو أحزاب إسلامية من أخرى. وهو ما نقتلنا بدوره إلى الدوافع الموضوعية.

الدوافع الموضوعية

تتمكن هذه الدوافع بالأساس في مغايرة سلوك الحركات أو الأحزاب

الجزائر كلها^{١٤}. وهكذا، تظل الجبهة الإسلامية للإنقاذ الجزائرية منذ قرار حلها في سنة ١٩٩٦ خارج إطار النظام السياسي الرسمي. وعلى الرغم من وجود قوى إسلامية أخرى تتمتع بالوجود الرسمي داخل المؤسسات السياسية، أهمها حركة النهضة التي انشقت عنها، وحركة الإصلاح، في سنة ١٩٩٩. وحركة مجتمع السلم «محاس»، إلا أنه بالنظر إلى الوضع السياسي غير المستقر في الجزائر، فإن الحديث عن قبول الولايات المتحدة لأي من تلك الحركات يظل سابقا لأوانه أمام ضبابية صورة المشهد الجزائري والتي تكرسها أزمة لا غالب ولا مغلوب بين السلطة والجماعات المناهضة لها^{١٥}.

العدالة والتنمية في المغرب

يتجاذب أصل حزب العدالة والتنمية عنصرا أساسيين صاحب وجهة النظر. فلتكريس الخطط للحضات يظل ما أنه يجد أصله في حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية^{١٦}، ولتكريس الخطط البنّية يقال بأنه يجد أصله في الجماعة الإسلامية التي غيرت في عام ١٩٩٢ اسمها لتصبح حركة الإصلاح والتجديد وأعلن رعيهها عبد الإله بنكيران إن حركته سلمية وقبيل الحكم الملكي.

وكان قد تعذر في سنة ١٩٩٦ على حركة الإصلاح والتجديد، تأسيس حزب التجديد الوطني الذي رأت السلطة المختصة تعارض إصلاحه مع الأطر التشريعية والقانونية القائمة، مما دفع قيادات الحركة إلى الاتصال بالذكور عبد الكريم الخطيب حيث عرضوا عليه إعادة إحياء حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية، فوافق الخطيب بشرط ثلاثه: إلى الإسلام، والأصغر بالملكبة الدستورية، وتبني العنف، وتعامل عقد الحزب مؤتمر استثنائي في سنة ١٩٩٦ تمكين القيادات الإسلامية من العضوية في أجنحة العامة. ومنذ ذلك الحين بدأ ينظر إلى الحزب باعتباره حزبا إسلاميا^{١٧}.

شارك الحزب في الانتخابات التشريعية لانتخاب مجلس النواب سنة ١٩٩٧ بشكل جزئي متجنباً الاندماج

ومتفاديا لتقديم نفسه كحزب بديل وحيد، مستفيدا من ذلك من الدرس الجزائري وتجربة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، حيث شارك في ٢٤ دائرة انتخابية من أصل ٣٢٥، حصل فيها على ٩ مقاعد أغلبها في العاصمة الاقتصادية (الدار البيضاء). وعند إعادة انتخاب بعض الدوائر حصل على ٣ مقاعد إضافية، والتحق عضواً من أعضاء المجلس بكتلة البرلمانية ليصل العدد الإجمالي إلى ١٤ مقعداً في مجلس النواب. وعندما تم تكليف السيد عبد الرحمن اليوسفي، عن حزب الاتحاد الاشتراكي، بتشكيل الحكومة في ١ فبراير ١٩٩٨ أراد إشراك الحزب من خلال إسناد إحدى المقاعد الوزارية إليه، لكن أمينه العام السيد عبد الكريم الخطيب فضل أن يكون حزبه داعماً للحكومة لا مشارك فيها على أساس مبدأ المساعدة التقيد. لكن عارض تحول من مساند متقدم إلى معارض يقدم النصيحة للحكومة. محاولاً ترسيخ تقاليد سياسة جديدة في سلوك تعامل الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية، ومقدماً نموذجاً مثالياً (Idéal type) يمكن له أن يقدّر على ترسيخ الثقة والاعتقاد لدى الآخرين بكون هدف هو التكمال من أجل التعاون وقبول الرأي والوأي الآخر.

أيضا شارك حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية في الانتخابات التشريعية التي أجريت في ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٢ تحت اسم جديد قرر مجلسه الوطني المنعقد في ١٩٩٨ وهو «حزب العدالة والتنمية»، وذلك تحت شعار «نحو عزة، لفضل، أصالة، سيادة، ديمقراطية، عدالة، تنمية، من أجل نهضة شاملة». واعتمد مشروعه السياسي سلوك التشرع وعدم الاندفاع في البحث عن موقع متميز داخل المشهد السياسي للمملكة المغربية ومن أصل ١١ دائرة انتخابية لم يتقدم مرشحوه سوى في ٥٧ دائرة فقط، حصل فيها على ٤٢ مقعداً، احتل على إثرها المرتبة الثانية بعد حزب الاتحاد الاشتراكي للفئات الشعبية (٥٠ مقعداً)، وحزب الاستقلال (٤٨ مقعداً)، وأصبح بالمرتبة الأولى بين الحزب خلال الانتخابات التشريعية (٢٠٠٢-٢٠٠٧) الظهور بقطر الحزب الملتزم من خلال مواقفه لتكريس مجموعة من التقاليد والسلوكات التي تتمثل في ممارسة خطاب سياسي



حزب العدالة والتنمية المغربي يحاول تكريس خطاب توفيقى يمزج فيه بين القيم المرجعية التي يؤمن بها والقيم الديمقراطية الغربية



المذكور عبد الكريم الحفاد لم يجمع من مؤلفه منذ البلاد إلا علامة حلالة الانتباه وهو الأمر الذي لم يرق لنقص هذه التناقض على الخطيب ورائد لي حصول الانسجام وبعدها سحره الحرب صارا مسودا لحديث ومعهما حول مجموعة من التعريفات دفعت للانسحاب من الساحة السياسية

(١٠) وفي هذه الفترة كانت الحركة الإسلامية تدمر مشروعا ادماجيا بين فصيلين لها حركة الإصلاح والتجديد (كانت تصدر جريدة الإصلاح، ثم الرباطية)، ورأى المستقبلي الإسلامي ركائز تصد جريدة (الصعود)، وقد توجت بعد لحدود بالإعلان عن تنظيم جديد يضم الفصيلين هو حركة التوحيد والإصلاح، بقيادة الدكتور أحمد الريسوني

(١١) عبد السلام طويل قرأه في المسار السياسي لحزب العدالة والتنمية المغربي دراسة في التعليم الحركية السياسية دراسة دراسات وضوح الشؤنة العسكرية التي تلتها مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية كلية الحقوق

مراكش، تحت عنوان الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ١٧-١٩ يونيو ٢٠٠٦ (ص ٢٠٠)

١٢. برامج التأسيس للحركة لاجتماع الإسلامي في ٩ يوليو ١٩٨٠، راشد الفخوشي

١٣. الحريات العامة في الدولة الإسلامية، بيروت مركز دراسات العلوم الدينية، ١٩٨٥، ملحق

(١٤). أغلبية غلاة الإسلاميون يتوسل بين الإسلاميين (١٩٨٠-٢٠٠٦)، دراسات وضوح الشؤنة العسكرية التي تلتها مركز الدراسات

لدستورية والسياسية كمية الحقوق مركز ش تحت عنوان الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش ١٧ يونيو حزيران

٢٠٠٦ (ص ١٥٨، ١٦٠)

(١٥). أغلبية غلاة الإسلاميون يتوسل بين الإسلاميين (١٩٨٠-٢٠٠٦)، دراسات وضوح الشؤنة العسكرية التي تلتها مركز الدراسات

لدستورية والسياسية كمية الحقوق مركز ش تحت عنوان الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش ١٧ يونيو حزيران

٢٠٠٦ (ص ١٥٨، ١٦٠)

(١٦). يعتبر عبد الكريم الحفاد لم يجمع من مؤلفه منذ البلاد إلا علامة حلالة الانتباه وهو الأمر الذي لم يرق لنقص هذه التناقض على الخطيب ورائد لي حصول الانسجام وبعدها سحره الحرب صارا مسودا لحديث ومعهما حول مجموعة من التعريفات دفعت للانسحاب من الساحة السياسية

(١٧) وفي هذه الفترة كانت الحركة الإسلامية تدمر مشروعا ادماجيا بين فصيلين لها حركة الإصلاح والتجديد (كانت تصدر جريدة الإصلاح، ثم الرباطية)، ورأى المستقبلي الإسلامي ركائز تصد جريدة (الصعود)، وقد توجت بعد لحدود بالإعلان عن تنظيم جديد يضم الفصيلين هو حركة التوحيد والإصلاح، بقيادة الدكتور أحمد الريسوني

(١٨) عبد السلام طويل قرأه في المسار السياسي لحزب العدالة والتنمية المغربي دراسة في التعليم الحركية السياسية دراسة دراسات وضوح الشؤنة العسكرية التي تلتها مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية كلية الحقوق

مراكش، تحت عنوان الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ١٧-١٩ يونيو ٢٠٠٦ (ص ٢٠٠)

١٩. برامج التأسيس للحركة لاجتماع الإسلامي في ٩ يوليو ١٩٨٠، راشد الفخوشي

٢٠. الحريات العامة في الدولة الإسلامية، بيروت مركز دراسات العلوم الدينية، ١٩٨٥، ملحق

(٢١). أغلبية غلاة الإسلاميون يتوسل بين الإسلاميين (١٩٨٠-٢٠٠٦)، دراسات وضوح الشؤنة العسكرية التي تلتها مركز الدراسات

لدستورية والسياسية كمية الحقوق مركز ش تحت عنوان الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش ١٧ يونيو حزيران

٢٠٠٦ (ص ١٥٨، ١٦٠)

(٢٢). يعتبر عبد الكريم الحفاد لم يجمع من مؤلفه منذ البلاد إلا علامة حلالة الانتباه وهو الأمر الذي لم يرق لنقص هذه التناقض على الخطيب ورائد لي حصول الانسجام وبعدها سحره الحرب صارا مسودا لحديث ومعهما حول مجموعة من التعريفات دفعت للانسحاب من الساحة السياسية

(٢٣) وفي هذه الفترة كانت الحركة الإسلامية تدمر مشروعا ادماجيا بين فصيلين لها حركة الإصلاح والتجديد (كانت تصدر جريدة الإصلاح، ثم الرباطية)، ورأى المستقبلي الإسلامي ركائز تصد جريدة (الصعود)، وقد توجت بعد لحدود بالإعلان عن تنظيم جديد يضم الفصيلين هو حركة التوحيد والإصلاح، بقيادة الدكتور أحمد الريسوني

هو ما ساعد على وضع لبنات ثقة تعتبر ثقافة الاعتدال أولى على ثقافة التنضج والتعصيب، وهذا ما شكل بدوره مدخلا أساسيا لتفليب منطلق القبول لدى الإدارة الأمريكية تجاه حزب العدالة والتنمية المغربي أخذا بعين الاعتبار كون هذا الحزب يعمل داخل نظام سياسي يعتبر من الاصفاء والحلفاء الممول عليهم في إطار المشروع الأمريكي الجديد لحاربة ما يسميه، أربابا، ومع الوضع في الاعتبار أيضا ما يمكن أن يثيره هذا القبول من حساسيات لدى الحكومات المضل (إسرائيل)، وتظل تلك المعطيات بعيدة في حالة حركة النهضة

هوامش

(١) يشار في هذا السياق إلى خطب الرئيس حول حالة الاتحاد

(٢) بيان الجماعة السلفية لدعوة والقتال الحزبية يوم الجمعة ٢١ يناير ٢٠٠٧

(٣) خطب شيوخ الجمعة أمامة في لادن وأمين الظواهر التي تشر على الموقع الإلكتروني للتعليم

(٤) يشار في هذا السياق إلى أن قانون الاحزاب للمملكة المغربية تمت رقم ٤٠/٢٠٠٦ في مائه

(٥) الرابطة لا يجيز تأسيس الأحزاب على أساس ديني أو عرقي

(٦) يعتبر عبد السلام باسين المرشد العام لتجمعنا من خلال مجموعة من المؤامرات التي تحدث أرضيتها السياسية أهمها

(٧) الثورة والديمقراطية ١٩٩٦

(٨) حوار المصالح والمستقبل ١٩٩٧

(٩) حوار مع أمباريق ١٩٩٧

(١٠) عبد الآله من كبر الحزب الإسلامي الإسلامي واشتد عليه المنهج، سلسلة اشتركت لكل

(١١) مسودات المراقبين، مركز البصائر، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩ (ص ٩)

(١٢) برنامج حوض الزمير الحركة الإسلامية المشاركة في الإسقاط السياسي، حالة الجزائر، دراسات وضوح الشؤنة العسكرية التي تلتها مركز

(١٣) الدراسات الاستراتيجية والسياسية كلية الحقوق مراكش، تحت عنوان الإسلاميون والحكم في البلاد العربية وتركيا، مراكش، ١٧-١٩ يونيو حزيران

(١٤) (تونس) في الأيام الأخيرة أن الجماعية السلفية لدعوة والقتال خضعت من هدفها الأصلي وهو الإطاحة بالسلطة لصالح

(١٥) استهداف الغربيين والشرق بعلمياتها من خلال استخدام هجمات متوازية في السنوات

(١٦) استهداف هجمات متوازية في السنوات ١٩٩٧ تحت عنوان من حزب الحركة الشعبية

(١٧) كان يقود، الإطاحة بالسلطة لصالح استهداف الغربيين والشرق بعلمياتها من خلال استخدام هجمات متوازية في السنوات

(١٨) كان يقود، الإطاحة بالسلطة لصالح استهداف الغربيين والشرق بعلمياتها من خلال استخدام هجمات متوازية في السنوات

(١٩) كان يقود، الإطاحة بالسلطة لصالح استهداف الغربيين والشرق بعلمياتها من خلال استخدام هجمات متوازية في السنوات

(٢٠) كان يقود، الإطاحة بالسلطة لصالح استهداف الغربيين والشرق بعلمياتها من خلال استخدام هجمات متوازية في السنوات

تعرض الإسلام السياسي، وإدخال تعديلات دستورية تركز على سيادة القانون والفساد تعهد الأحزاب ومشروعيتها، وإطلاق سراح حوالي ٦٠٠ سجين من أعضاء الحركة الإسلامية، تم إصدار ميثاق وطني يقضي بإشراك مختلف الفاعلين، وينص على دعم الديمقراطية والتهيئة المغربية والإسلامية لتونس، باعتبار أن التقريب يشكل من وجهة نظره مطلب حضاريا ويلزم الدولة باحترام القيم الإسلامية، وفي إطار التكيف مع المناخ الجديد ومع الشروط القانونية الجديدة (قانون الأحزاب الصادر في ١٩٨٨) التي تمنح قيام الأحزاب على أساس ديني

أقدمت، حركة الانجاء الإسلامي، على تغيير اسمها لتتحمل اسم، حركة النهضة، وشكلت الحركة من دخول المجلس الأعلى للميثاق في نهاية سنة ١٩٨٨، وشاركت في الانتخابات التشريعية لسنة ١٩٨٨ بمشرحين مستقلين بسبب رفض السلطة الاعتراف بهم كحزب سياسي بحجة أن زعماءها مازالوا تحت طائلة الأحكام التي أصدرتها في حقهم

مكتمة أن الدولة في عام ١٩٨٢، وخلق مشروعهم من أي توضيح بخصوص بعض المسائل الحضرية ومبدأ المساواة بين المواطنين، وقد أظهرت نتائج الانتخابات أن الحركة هي القوة الثانية بعد الحزب الحاكم (الحزب المهيمن) حزب الرئيس، وكانت هذه النتائج بمثابة إيدان بنهاية الشواقي بين الحركة والسلطة لتبدأ مرحلة المواجهة (١٩٩٠، ٢٠٠٦)

يشير هذا التحليل إلى المسار المتقلب في العلاقة بين النظام والحركة الإسلامية على نحو لم يساعد على الإصباح عن التوازي بشكل صريح، وهو ما لم يساعد بدوره على بناء الثقة المتجددة في مبدأ القبول بالأحزاب كمنافس أو شريك، فغياب الانتخابات السياسية لم يساعد على ضمان شروط

الأيدي من التوافق الذي يمكن أن يساعد على تقريب الرؤى وتجاوز سلوك الصدام، وذلك على العكس من التجربة السياسية في المملكة المغربية التي تطلب أطراف معادلتها الإسلامية سواء من الموالاة للنظام أو المعارضة الإسلامية أو

اليسارية متعلق التوافق والتعاظم في حل الإشكالات السياسية خصوصا بعد سنة ١٩٩٠، وهذا النوع من العلاقات المتوافرة

ينسجم والإطار الدستوري للدولة عبر المبادرة بمراقبة الحكومة من خلال السلطة، والتقدم باقتراحات تشريعية، ويعتني آخر، عمل الحزب على البحث عن التوافقات والحلول في صراع مع الأطراف الأخرى من داخل الشرعية الدستورية وليس كما يشاع من خلال خطاب التخليق المسند من المرجعية الدينية

يستنتج من سلوك وممارسة حزب العدالة والتنمية أنه يحاول تكريس خطاب توفيقى يصرح فيه بين القيم المرجعية التي يؤمن بها وبين القيم الديمقراطية المغربية، بما يفيد أنه يحترم القيم الإنسانية التي لها مكانة مرجعية باعتبارها قيما واحدة في النهاية، ويشكل هذا المعطى المدخل الأساسي لإمكانية انفتاح الولايات المتحدة على هذا الحزب، أي أن هذا الخط الأخير يبقى محتفظا بحرارته حتى يثبت العكس،

حركة النهضة في تونس

يساعد الاعتماد على قياس مؤشر مشاركة الحركات الإسلامية في الحياة السياسية على فهم حدود ومدى إمكانية التقارب بين هذه الحركات والإدارة الأمريكية، وكذا إبعاده، ففي تونس شكلت سنة ١٩٨١ نقطة انعطاف أساسية، حيث أصبحت المواجهة مباشرة بين الإسلاميين والسلطة الرسمية، فهدت الأخيرة اعتبرت أن الإسلاميين من خلال تحركات الانجاء الإسلامية، يريدون تمكيكها عبر التسلل إلى الأجهزة الأمنية والسيطرة على الشأن الديني من خلال إقدامهم على تنصيب الأئمة بالثقة في المساجد، (١٩٨٥-١٩٨٨) اثر

الانصراف خلال الفترة (١٩٨١-١٩٨٨) اثر حصول التقارب لبقاء رسمي بين الحكومة (في شخص ميزال) والإسلاميين (راشد الفخوشي وعبد الفتاح مورو) لكن التوتر يظهر من جديد وعادت المواجهة مع نهاية عهد بورقيبة (١٩٨٩) ثم خفت درجة الاحتقان السياسي بعد انقلاب الأبيض للرئيس

بن علي وتقلده مسؤولية رئاسة الدولة التونسية بعد أيام السابع من نوفمبر ١٩٨٧، حيث أكد على معاداة الإسلاميين بالجانب الدلالي التقليدي بطريقة

دماس القصر !!!

محمد مزالى



إذا ابتسم المظلوم فقد الظالم لذّة

**التنصر، لقد علمتني تجارب الحياة أن الناس
يرضيهام النقص الذي فيك لأنه يكبرهم في رأي
أنفسهم ولكنهم يسخطون على مزاياك لأنّها
تصغّرهم أو تغطّي على مزاياهم...**

عبّاس محمود العقّاد



للاقتصاد في الحكومة التي كنت وزيرها
الأول، أشبه ما يكون بجلوم من جليد،
بل كان أن يكون عدواً لها، حتى أنه سألتني
عن الكتب ورسائل بريدي الخاص التي
كنت أتهدأ لأخذها معي هل هي حقا لي
أم للولادة؟! فاضطرت إلى إبراز كلمات
الإهداء الواضحة بها بعض الكتب، وبينما
مصدر بعض الرسائل: كاللجنة الدولية
الأولمبية، واتحاد الكتاب التونسيين،
الخ... وأحسب أنني وفقت في إقتناع هذا
العنصر القيقظ بميليتي لتلك الوثائق

المراسم ليوم العد الأربعة على الساعة
العاشرة صباحا،
وفي صباح الأربعاء، عندما هيممت
بمعدّرة بيتي، فوجئت باحتفاء الأعوان
المكثفين بحراسة مسكن الوزير الأول في
العسك، وهذا التنكر للتقاليد المعمول بها
كان فاتحة لمسلسلة من السخافات
الشائنة التي لم يتردد القوم في تكرارها
تجاهي بحكم صغر النفوس،
وظهر رشيد صفر الذي كان في العادة
يلقاني بحرارة وشاشة، يوم كان وزيرا

■ أعلن عن إقالتي، يوم الثلاثاء ٨
جويلية ١٩٨٩، وكانت هي بعض جوانبها
تكريسا مأساويا ومصحكا في آن للممثل
الروماني القديم الذي يؤكد أن صخرة
تاريس، التي منها يقدف بالحكوم عليهم
بالإعدام نحو الهاوية، لم تكن بعيدة من
الكابيتول، رمز ممارسة السلطة،
في ذلك اليوم، بعد رجوعي من
العمل، كنت جالسا أمام التلفاز، كعادتي،
لشاهدة شريط أنباء الساعة الثامنة
مساء، إذ أن روجتي وأولادي ذهبوا إلى
بيت صهرى فريد المختار، رحمه الله،
للمشاركة في إحياء أربعينية وفاته في
حادث مرور،

بدا شريط الأنباء بتلاوة بيان ألقته
المديعة، بصوت لا يخلو من رقابة، ويدون
أي تأثر، قالت، «فير الرئيس الحبيب
بورقيبة إقالة السيد محمد مزالى من
مهامه كوزير أول وتسمية السيد رشيد
صمري منصب وزير أول»، بدون تذييله
نأى تعلقا!

وبالتطبيع اندهشت لأن الحبيب
بورقيبة لم ير من النياقة دعوى ليعلمني
بقراره قبل الإعلان بيته في وسائل الإعلام،
ولكن كان لي من الشواضع والواقعية ما
سما به عن القول بما قال الشاعر:
«أضاعوني وأى هي أضاعوا»

يوم كريمة وسداد ثمن
ونقطع النظر عن الطريقة الفظة
المتوخاة، فلم يكن الأمر، والحق يقال،
ليعد مضافة بآتم معنى للكلمة، ذلك أن
مدة علامات كانت تسير بهذا التحول
إزائى، وتبين بهذا التنكر لتكوين صيغة
هذا القرار محل استغراب كبير منى،

إن الروح الرئاسية وإدراكي لقانون
المعية الذي اكتسبته طوال ممارستي
الطويلة للرئاسة دفعاني إلى أن اغتبت
بدون انتظار ولا تردد لترشيده صفر لأقدم
إليه تهاني وأتسلى له الشجاع في مهمته
الحديثة، وكذلك للتألق معه على موعد
تسليمه مقاليد الأمور، وحددنا موعد

صبيبي من الحصة
وزير أول في رئاسة بورقية شهيد
القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٧

ولما لم يأتني أي خبر من بورقيبة،
ورغبة منى في توديع من كنت من مردييه
المقرين، ورفيق دريه وابنه الروحى الوفي
طيلة أكثر من أربعين عاما، طلبت
مقابلته، فحدثت لي ليوم الجمعة ١١
جويلية بالمنستير، وفي عصون ذلك،
اجتمع أول مجلس للوزراء بعدي، يوم
الخميس ١١ جويلية، واتخذ قرارا بقصص
بإدراج اللغة الفرنسية في السنة الثالثة
من التعليم الابتدائي عوضا عن الرابعة،
وكان أول قرار أخذهته الحكومة الجديدة
على عجل، من دون دراسة بيداغوجية
مسيبة، ولا استشارة التربويين، ولا مشاور
مع المربين العنيين بالأمر،

وفي يوم الجمعة ١١ جويلية ١٩٨٩
فقدت القصر الرأسي بالمنستير حيث
استقبلني الرئيس بورقيبة استقبالا
لطيفا ووديا للعاية،

ولما دخلت القاعة حيث كان جالسا،
مسكني من يدي ما أخذت بيده كما لعادة،
فاتكا عليها حتى نهض، وحرس على
الوقوف أمامي لتحيتي بحرارة، ولكن
النشرة التي بثتها التلفزيون، تصويرا
للمقابلة، نالها مقص الرقابة في الجزء
الذي ظهر فيه بورقيبة معتمدا على
لتحيتي والنها، ولا يخفى أن هذا البثرة
غرسه إيهام المشاهدين التونسيين
والأجانب بأن الرئيس كان غاضبا منى،
وليس الإحاح على هذا الذي قد
يظهر جازية لا أهمية لها إلا لأن مثل
هذه الممارسات الصيبانية كان لها صدى
تجاوز الحدود التونسية، فقد كتب مثلا
ميشال دور، مراسل جريدة لوموند
آنذاك، وربما عن حسن نية، معتمدا على
البيت التلمزي المبثوث، أن بورقيبة لم يقف
لاستقبال وزيره الأول، مما قد يوحي
بأنني نحتت بسبب دوافع جدية تبرر
غضب، بورقيبة المتضررا



أقبلت على بورقيبة بوجهي قائلا،
«سدي الرئيس، هي خمسون سنة
تقريبا مرت وإذا أخدم بلادى بقيادتك
من دون أن أخل، ولو لحظة واحدة،

نصيبي من الحقيقة



رئيس أوهته الشيوخة. وصعدت بهاء
عن الاستمساك بصولجان الحكم،
تلاعيته به المناورات
وكان من الهين على نسبياً. والحال
هده. أن أملا الصراع الذي أحدثته إغاثت
هافتر بسرعة في القيام بأعمال أخرى
شمت بسبب إلى عالم الأفكار والإبداع.
وتصورت إغاثت على المعاش المفروضة
على مجالاً يسمح لي بصرف همتي إلى
أسطة ثقافية من شأنها أن تتبع هويتي
الثانية. وأن تتيج لي الفرصة لحواسلة
العمل في سبيل خدمة الثقافة التونسية
وتتميتها داخلها. وإشاعها خارجها.



ولكن يا للأسف، أبيت لي الأيام أن
هذا النوق السلمي والشرعي لي يكن
أضحت أحلام ومعلبات بعيد الخيال. فبعد
كان ذلك من دون أن أرا حساباً لبلهور
الفرس الذي سلاحتني به بطانة
بالنسة، وحصاد سادرون في غيهم.
وأصحاب طموح صفار هؤلاء الدالرون
في ذلك رئيس بلغ به العجز أقصى
حدود. لم يغيروا لي أبداً يوم ١٩ جوان
١٩٨٦. ذلك اليوم الذي عيّنني فيه بورقيبة
رسمياً خليفة له. وجعلته من دون قصد
مئي وسابق إضمار غارقين في عرق
الغلبة.

فبعد سنة ١٩٧٥ فرس بورقيبة
تقبحاً دستورياً. يجعل من الوزير الأول
خلفاً له بصورة آلية في حالة الشعور،
وذلك حتى آخر المدة النيابية الجارية.
كان ذلك مقتضياً للصصل ٥٧ من
الدستور الذي ينص على ما يلي: «عند
شعور منصب رئاسة الجمهورية بسبب
الوفاة أو الاستقالة أو العجز التام يتولى
فوراً الوزير الأول مهام رئاسة الدولة كما
نقى من المدة النيابية الحارية لجلس
الأمّة... ولم يكف بورقيبة بالتخصيص
على الشرعية الدستورية بل ذهب به
الامر إلى تخفيض السلطة فذكر بالام
الوزير الأول القوي لتسيير المرحلة
الاستثنائية من الحكم في حالة
حالة الشؤور.

ولكنني كنت. في الآن نفسه. مترحاً
لأنني لم أعد مسؤولاً في دفعة مركب في
مهب الرياح شأنه شأن المركب السكار.
الذي وصفه الشاعر الفرنسي رامبو.
وشعرت بأنني صيف كاثريشة بعد
اعتقالي من أسر المرولية الجسيمة.
فكانت لزعت من كفتي ثقالاً فرضت على
نصص حملة هدراً طويلاً. كنت أشبه
بسيريف. وقد تخلف من صغرته. ومضى
بب الحاس إلى الشعور بأنني. مهما كان
امر العكسات التي تلقاها الإنسان في
الحياة السياسية في ظل نظام سطووي.
قد حاولت. على كل حال. أن أوفى ما على
القيام به من مسؤوليات تجاه وطني
وحتى ما كان لي أسطعاني وفي
الوقت الحاضر يمكن لي أن أوطن نفسي
على نوع من المسؤولية الثانية. متمثلاً
في صرف قلتي لجهة الفكر التي دامت
أكثر من ثلاثين سنة. وإلى اللجنة الدولية
الأولبية. وإلى الكنتية.

والحقيقة أنني لم أعدم المصصة
للانفعال بالقضايا الفكرية. حتى عندما
كنت أروح تحت مسؤوليات الوزارة الأولى.
لقد كان ذلك حاجة لي أعرق أعماق
طبيعتي الأولى ومطلباً أساسياً في
حياتي.
لقد قمت بأعمال صادقت شيئاً من
النجاح في الخارج. ولكنها جلبت لي على
الصعيد الداخلي بعض العوارض المكنية
ضمن حاشية بورقيبة الحزيرة.
ورغم النصح التي تليقت فوق رأسي
من جراء هذه المبادرات. فإس غير نادم
على القيام بها لأنها ساهمت. إن قليلاً
أو كثيراً. في تلميع صورة تونس عالمياً
في هذه النجاعات العالمية خمدت
غيره عدد من حاشية بورقيبة. فهاج بهم
أول الحسد وهو القدم الأدواء. وأشارت
كواش تخبيهم من أن أجور القامة التي
تحوّل لي أن أكون الخليفة. ملا منار.
لرئيس أصبح تلمع ككلهم. مستغلين
وهن شيوخته. ولم أهن أنداك أنني
كنت بمثابة «الذمين» في حيرة تعج
بالتماجيح.
ورغم كل شيء. واصلت حرصي على
تلميع صورة تونس دولياً. وتصحيح ما
كان يبال البلاد من انقاص نتيجة نزوات

ولو بعد عشر سنوات من دون النجوة إلى
هذا الزلزال المؤسساتي.
لقد حيزلي. شيئاً ما. توضيحه
سبب. عزلي. كنت أنتظر أن تكون أسباب
القرار الرأسي أكثر جنية وبما أخطر.
إنه مشهد سريالي. ولكنه واقعي شرح
فيه. وجهها لوجه. رئيس دولة. دوزير
الأول الذي كان عينه خليفة له قبل شهر
من ذلك. أنه مجبر على عزلي... من أجل
تقديم تعليم اللغة الفرنسية (بصل من)
السنه الرابعة ابتدائي إلى الثالثة. هذا
الرئيس الذي كان بالأخص محل إعجاب
الجميع لما عرف به من رفاقة في
تحاليله. وحكمته في مبادراته. وشجاعة
في مواقفه. وقدره استشرافه للمستقبل
قلت له متسلحاً برجاسة جاشي.
وساعياً إلى قطع جيل الصمت:
«سيد الرئيس، البارة فورتم إدراج
اللغة الفرنسية في السنة الثالثة، عوضاً
عن الرابعة. كل أملي أن تجدوا العدد
الكافي من المعلمين الأكفاء. من ذوي
الأسان الفرنسي. لا فقط في المدن
الكبرى بل كذلك في القرى والأرياف.
وسكت بورقيبة. ولم يجب عن هذه
الملاحظة. ومذ إلى يده وقال لي بلهجة
ودنية:
«شكرا سي محمد على كل شيء
وتحياتي إلى فتية». ووتش.
شكرته بسوري واستأذنت منه
للانصراف. وكانت تلك آخر مقابلة لي.
على انصراف. مع هذا الرجل الذي لعب
دورا كبيرا في حياتي.



ومغادرت القصر الرأسي لحدوني
مناسخ غريبة. بعد حزينا من أجل نهامة
علاقة أجهضت. وكانت من قبل على غاية
من المثاقفة والثراء. وكنت أيضا متأثرا
شديد التأثير من جراء رجح ليل فذه في
بحران الشيوخة حتى أصبح لعية
تلقاها دسائس اندل جلماسه. وتذكرت
بيتا قاله أبو العلاء المروي:
«وكيف يصول في الأيام ثيث
إذا وهت الخالب والنويه»

مالتزامي. لقد ساهمت في الكشف من
أجل استقلال بلادي. وانخرطت جاهدا
في العمل الثقافي. وقدمت أفضل ما
عندي من أجل بناء الدولة التونسية عند
اضطلاع بعدة مسؤوليات حكومية كان
لنكم فضل إسنادها إلى.
ثم ختمت كلامي باستمارة قرآنية
وقلت:

«كني أمل في أن ترجع كلمة حسناي
على كافة سبلاني. فأكون ممن ثقلت
موازينهم...»
كانت تلك طريقة لطيفة لجره إلى
بعلامي بالدافع الذي جعله يتخذ. قرار.
إنهاء مهمتي. بعد ثلاثة أسابيع فقط من
تعيينه لي رسمياً خليفة له. أمام الشعب
التونسي قاطبة. وأمام جميع معقلي
الجموعة الدولية المتحمسين بتونس.
أثناء مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري
المنعقد من ١٩ إلى ٢١ جوان من السنة
نصها.

لقد جمدني جوابه من سوالي في
مكانتي. وأصابني الدهشة وحتى
الارتباب أكثر من إقائتي في حد ذاتها.
وأكثر من الطريقة غير اللائقة التي
اكتشفت هذه الإقالة. إذ قال بورقيبة
بلهجة فيها كثير من اللطف. وشيء من
التأسف:

«يا سي محمد عزيت ياسر (يعني
كثيرا) التعليم؟ قلت لك لا تعرب.
ذاك كما قال. ما هال. وما يزد شيئا. هل
سمعت؟ وكنت سمع. وهكذا يكون هذا
التغير المفاجئ بهذا الوجه. وهذا التذكور
نصه لقرار اتخذ. يوم ١٩ جوان أمام
الأمم بصورة رسمية ولم يجبره أحد على
الخضاد. وهذه الركلة المباشرة للأعراف
المؤسسية المتخفق عليها. كل هذا كان
سببه إصلاح بيدافوجي يهودي.
الواقعي. إلى عشر سنوات مضت.
وأخصيت في سبيل تطبيقه أربع سنوات
يصمتي وزير للتربية. بإشراف الهادي
نورية الوزير الأول في تلك الفترة.
ويقينا بالمواقفة المبرحة من بورقيبة
نفسه
وكان ذلك للرئيس. في وقت من
الأوقات. أن يغير رأيه في هذا الإصلاح
فلا شيء كان يمنعه من إيقاف العمل به.

نصيبي من الحقيقة



يهدد الرغبة، واقرحت موعدا قبله
شريك

اعلمت الرئيس بورقيبة بالامر
فرحب بذلك، ولكن قبل يومين من موعد
الزيارة، هتف لي الهادي المبروك، واعلمني
ان جاك شريك مصطر إلى تأجيل الموعد
لأسباب قاهرة متصلة بزنائنه.
فقرحت لزيارته آخر لاي لي القبول
والاستحسان من الضيف، وإبل حلول
هذا الموعد الجديد يومين، هتف لي
المبروك وكسر لي الأعداء نفسها.
وبالغيات ذاتها، أجيتة حرصا على ان
يقول لشريك: لا مجال للقلق، فمتى
أردت جئت اهلا وزلت سهلا. ويكفي
إعلامي بموعد الزيارة قبل مدة قليلة
وسأرتب الامر مع الرئيس بورقيبة،
ثم الاتفاق وانتهكت في مشاغلي العادي
ولقد ما كانت دهشتي كبيرة عندما
اكتشفت حقيقة امر التأجيل المتكرر
لزيارة شريك. ذلك أنني استقبلت عيه
الحמיד بن هيد الله بطلب منه، وهو
ذكور في الحقوق وصديق لعائلة شبرا.
كنت عرفت يوم ٣١ من أفريل ١٩٨٥ في فندق
كروين بمناسبة حلولي بباريس لتقديم
أحد مؤلفاتي للمصحف الاجنبي.
وبعض الشخصيات الفرنسية، بدعوة
من البشير بن يحميد، مدير مؤسسة
«جون أفريك»، التي نشرت كتابي، «الحركة
الألمانية اليوم». قال لي بن عبد الله فيما
قال: إن شريك متأسف، بل هو حزير،
أن أجل صديقه محمد مزالي مرتين
موعد لزيارة بورقيبة.

وشجع الماوريين الذين أعين بصيرتهم
قرب الموعد الحاسم. وكما قال الشاعر:
قوم إذا الشرا أبدي تاجديهم لهم
طواروا إلى زراوات وحداد،
أو كما قال الهادي المبروك:
«يا لك أن تلعب في حاسد
في كل ما يبيده من ود
فإنه ينقض في سرعة

جميع ما يسرع من عقد،
لقد كنت في قصر الحكومة بالقصبة
اعمل مظهر مكشوف. لا أقرر على انقاء
سهام الليل المصوبة نحوي من العاشية
غير قادر دائما على الاستحسان من
مخالب بعض «الزعماء» فحقتني ما لحق
اسلافي في الوزارة الأولى من أدي وعنت،
في حسم أجواء غثتها الكائد والمؤامرات
وكان على رأس القائمة امارات. لا يجمع
بينهما إلا حقد فديس متبادل. لكنهما
اجتمعا في هذه المرة على امر واحد هو
العمل على تحييتي. لكن بالبطع وتحت
جناح الأولى، الملقبة بالملاجة، ولا تحت
حماية الثانية المعروفة بنبت الأخت.
ولعل الحافطة في السبب في كثير من
الشرا أكثر من الخبث.

وانضاف إلى هاتين المراتين أخرون
سعا ما استطاعوا إلى عرقلة مهمتي،
وثائني عن المضى قدما في أداء رسالتي.
منهم سفير تونس في فرنسا، آنذاك،
الهادي المبروك. لقد تميز عن الآخرين
بحماسة الكبير، المتقطع النظير في
مساعيه الرامية إلى إقامة العلاقات في
طريقى، من ذلك مثلا أن شريك عندما
تولى رئاسة الحكومة الفرنسية في
مرحلة «الغرايش» الأولى، عبر عن رغبته
في زيارة تونس وساحل العاج للقاء
«حكيم إفريقيا» الرئيسين بورقيبة
ومعوات بوايتي. واعلمني الهادي المبروك

لقد كان ذلك علنا لحسكار دستان
رئيس جمهورية فرنسا آنذاك. في خطاب
نوجه به إليه، عند استقباله والترحيب
بها سنة ١٩٧٣، وعسى الهادي نويرة في ذلك
الوقت، وكرا الامر نفسه يوم عيشتي ويرا
أول، وبعد ذلك في العديد من المناسبات
وخصوصا في خطابه الذي أشتج به
مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري يوم
١٩ جوان ١٩٨٦ وقبل ذلك، وخلال مائدة
غدا رسمية أقامها الرئيس بورقيبة على
شرف جاك شريك رئيس الحكومة
الفرنسية يوم ٢٤ ماي ١٩٨٦. قال هذا
الأخير متوجها بقوله إلى بورقيبة: «إن
فرنسا تكن تقديرا كبيرا للسيد مزالي،
وأعتقد أنكم اجستم الاختيار، ورة عليه
بورقيبة قائلا: «اطمنسوا، فسيكون
خيليتي». وفي كلام الرجاين على مرأى
ومسمع كثير من الحاضرين، وكان
شريك قال الكلام نفسه في أبريل ١٩٨٦
عندما استقبلني بباريس محصور سفير
تونس بمرنسا.

وأكثر من ذلك، فقد سمي بورقيبة
خليفة الخليفة. إلا أن صراخ أكثر من مرة
بأن أعين رشيد صفر وزيراً أول في الوقت
المناسب، وقال يوم ٢٣ جويلية ١٩٨٥ في
خطاب توجه به إلى الكاب العامين للجان
التشويق مؤكدا تسليمه رئاسة الدولة بعد
غيايابه إلى محمد مزالي الوزير الأول الذي
هو خليفته بمقتضى الدستور، وأوصيه بأن
يشخذ رشيد صفر وزيراً أول. وأذكر أن
رويته الثانية وسيدة قاتله لم يحمسوا
أنت ساجد، لأن محمد مزالي لم مرشحه
من الآن، وهو المارر شقير اجابها بورقيبة
على الفور: «والله إن ينفذ وصيتي أخرج
له من قهقهة من متجحا».

وهكذا لم تكن المسألة بالنسبة إلى
بورقيبة تتعلق برئيس مؤقت عليه
مواجهة التصويت العام كبقية المرشحين.
بل بخليفة معين مسبقا ليتولى أعلى
مسؤولية في الدولة.
لقد كان الإقرار الدستوري المذكور
والتركيز على شخص بعينه، بمثابة
«لعنة»، نزلت على كل من تولى الوزارة
الأولى، من الهادي نويرة، إلى شخصي.
لقد حمل بورقيبه من الوزير الأول
العليلة الأولى، والمؤقت في الحقيقة
خمساً، بل عدوا لعدوا لكل من أنس في
نفسه التطلع إلى الخلافة، وكثيرا ما
يحدث، في هذه الحال، أن تجتمع
عصاة، لا يكون بين أفراسها أي جناح
أو تعاطف، وإنما الذي يوجد بينهم هو
حقد معين للحليمة «المهل دستوريا»،
لدا تقام، بالنسبة إلى، الوضع سوا
عندما تدهورت صحة بورقيبة، وهو ما
اكدى من حولى الثيران هزات استثناء،

ويمكن لأى كان أن يتصور مدى
استغرابي للامر. وشرفت لأن عبد الله
جليه ما هتفت وشرفت لشريك، مؤكدا له
استعدادي لاستقباله متى شاء. ضامنا
له موعدا مع الرئيس بشعرت أن شريك
كان يشاطرني مدى استغرابي من
تصرفات الشفير وغموض وخطورة الدور
الذي يقوم به، المخالف للأعراف
الدبلوماسية، والمناهي من التقاليد
الإدارية المعهودة بين بلدينا، والمضرة

خاصة بمصلحة تونس العليا.
وشئت زيارة شريك يوم السبت ٢٤
ماي ١٩٨٦ في أحسن الظروف، حتى أن
بورقيبة حرص على استقباله شخصيا
باططار خللا للمراسم العادية ثم
امتنطى الضيف سيارتي، وتبادلنا
الحديث حول كل ما عكر جو الزيارة التي
كانت أن تبطل، وفيها قال لي: «ما هي
أفلاقتك مع السيد المبروك؟». أجبتة:
«إنها عادية بل هي طيبة إلى أشهر قليلة،
غير أنه منذ بداية السنة حيث علميا
بعض العموم لأسباب لا أهمها، أجانسي
شريك، نعم بعد استقبلنا شخصيا
الحدث حول كل ما عكر جو الزيارة التي
أقبلت به وقتله له، يا هادي، كسى!
(كذا). كن مخلصا لويزر الأول..» وقد
جمعت بينهما صداقة حميمة، تجاوزت
المودة العادية بين كبار السنولين بما سمح
لشريك بتهديم حراف الأجر معه...
وكان عيشتي أجري أن عرضت عن
إخبار بورقيبة بتصرفات السفير غير
المقبولة والمضرة بمصلحة تونس العليا
وليس من شك في أن رد فعله كان يكون
حالا وضع حد لجهته بالديار الفرنسية.
ولكن عند ذلك أرحت نفس من واحد
من بين المتأمرين الكبار، إلا أنني اشفت
أن يكون لذلك انعكاس سيئ على جو
الوداد والصفاء بين البلدين، ولكن هل
الحدري في إمكانه أن يدبغ القصور؟



لا أدري كم بذلت من جهد، وكم
انفقت من وابل النصيح والإقناع، وأدري
كم سميت بإصدار منقطع النظير من
أجل تدارك خطا سياسي فادح ارتكب منذ
١٩٧٨، لإقناع بقائى «الحبيب عاشور
- من الإقامة الجبرية، بعد أن قرأ
بورقيبه، مرة أخرى، تحت تأثير من
تسلطية حادثة ربيع الحبيب السجون
وكذلك كم هتفت من أجل حماية العديد
من رجال السياسة، مثل أحمد المستيري،
من نقمة بورقيبة التي كان يكن له حدا
دفينا، لا لشيء، إلا لأنه، وهو القيادي
المرموق في الحزب الاشتراكي الدستوري



بإعادة قائمة أعضاء اللجنة المركزية اضطرب، وفكرت حتى في القيام بعمل مشهود بالإعلان عن استقالتها أمام كافة المؤرخين، ولئن لم يفعل ذلك هلأنتس كنت متوقفاً أن بورقيبة قادر على تدارك الأمر. ومراجعة أخطائه كما فعل ذلك أكثر من مرة في الماضي. غير أني أخطأت في تقديرى للموقف. وما زلت إلى حد اليوم نادماً على تقيضى في فرصة ثمينة كنت أتمكن بها من الخروج من لعبة مشوشة. مرفوع الرأس. موفور الكرامة. يقطع النظر عن الإجراءات الانتقالية التي كان من المتوقع أن تاتى. وتُتالى أفراد عائلتى

كنت أعلم أن شرعيتى متأثرة من بورقيبة، ومن بورقيبة وحده. وكنت أحدث نفسى بأنه إذا أراد إحصائى من مسؤولياتى، لسبب من الأسباب فلا شك أنه سيأتحنى من ذلك. وربما يكون من الأفضل أن تجرى الأمور على هذا النسق. فأتصرف عند ذلك لعائلتى، ومحبلى، واللجنة الدولية الأولمبية كما سبق أن قلت. ذلك أنه بالنسبة إلى. أو أكون وزيراً أو وزيراً أول. فإنه هي فرصة تتاح لى لتحذم بلادى. وكنت أقول فيما بينى وبين نفسى إنه ما دامت تونس. من خلال بورقيبة الذى يجسّمها آنذاك. فى حاجة إلى. فإننى لن أتاخر عن الاستجابة لتدائنها. غير متشدد مهمب كانت الضحايا. طالما أن خدمة بلادى هي عندى أكثر من واجب. هي ضرب من التعتد

ولكن عندما تنتهى رسالتى. فسامضى وشائى. لا ألوى على شيء. منشتر الصدر. مراك الضمير. غير أن المشكلة تكمن - كما كالى الأمر - ولا شئت بالنسبة إلى من سبقنى. فى أن عزلى هو نتيجة تساهل دنية قامت بها حاشية بالسة. لا نتيجة معقولة تامة وحلت ألتائها. أو بداية وجبة سياسة جديدة من الحتمى لتبليتها. بينما تم عزلى بعد ثلاثة أسابيع من تشبىسى فى مسؤوليتى على مشهد من الجميع. وتبين من ذلك مدى ما وصل إليه نظام الحكم آنذاك من خضوع لشاروات الحاشية. وشراوت خبيث لتلاعب به الأضواء. ولطمسوحات رطط من الطمليبين لبعمود لبعده. ومهما كان الأمر. ورغم ما كنت أشعر به من خزن أمام انهيار رجل كان بالنسبة إلى معلماً فإن الإحساس الذى تملكنى حينذاك هو الارتياح

وبعد أيام من لقائى الرئيس صدر بلاغ من

المعارضة فى الشّباب والأحراب السياسية على قرارات فوقية نفذها رغم أنه،

ومن المفيد أن نذكر هنا تعليق فولد سميت مراسل وكالة أنصاويات بارس بتونس. قال: «إن تونس. البلد الأكثر تأثراً بالغرب فى العالم العربى، توشك أن تدخل مرحلة طويلة وخظيرة من الحرية. بعد القرار المفاجئ الذى اتخذه الحبيب بورقيبة، الرئيس مدى الحياة. والقاضى بعل محمد مزالى الوزير الأول وخليفته، وهو فى الواحد والستين من العمر. لقد استطاع الوزير الأول مزالى، فيما بين ١٩٨٦ و ١٩٨٦ أن يبعد أخطار الفوضى والتخريب التى كان يديرها الحار اللبى معمر القذافى. واستطاع أن يقود تونس فى جو من الكساد الاقتصادى خطير. وتحت تأثير «ثورة» الخبر الدموى. وفى ظل التحدى الذى فرضه الإسلاميون الأصوليون. ومنذ يوم الثلاثاء لم تقل أية صحيفة يومية وطنية كلمة استحسان تصف بها الجهد الذى بذله مزالى منذ سنة ١٩٨٠. والإشارة الوحيدة التى تعلقت بالوزير الأول الأسبق كانت فى البلاغ الحكوى المقصب الذى يردون أسبق بشرح من تعيين السيد بورقيبة لرشيد صفر وزير الاقتصاد. عوضاً عن محمد مزالى فى منصب الوزير الأول. وخليفة بورقيبة والأمين العام للحزب الاشتراكى المستورى الحاكم.

ولقد أطنبت وسائل الإعلام التونسية من صحف. وتلفزة. وإذاعة. فى كيل الملح لرشيد صفر البلاغ من العمر ٥٣ عاماً. وفى التنبؤ بامانته. وفعايتته. غير أنها امسكت من نقد أو شكر سلفه. وكأنه لم يوجد أبداً.

وبدل هذا التغيير الحكوى الهام. إن كان هناك حاجة للبرهان. على أن شعباً بعد ٧ ملايين نسمة القاد انقياداً أسمى لإحدى ذرات رئيسه. البلاغ من

خرج عن صفه. بل. هو اعتبار. خانة. يوم أن تتصل من حزيه. وقدم استاقلته وأشا حركة الديمقراطيةيين الاشتراكيين التى أصبحت يمر الأيام المحرك العمال للمعارضة باجمعها سنة ١٩٨٦. وفى هذا الموضوع. كتب دى لافريغار فى صحيفه لوموند بتاريخ ١٩/٧/١٩٨٧. فى حقيقة الأمر. لم يعد الوزير الأول. منذ أشهر طويلة يتحكم فى اللعبة السياسية. وحتى فى الشؤون التى هو مشمولها. فى المجاهد الأكبر هو الذى قرر الحسم فى شأن الحبيب عاشور وسجنه. وهو الذى جد فى الإساءة إلى أحمد المستورى. وزيره الأسبق. منكرنا عليه استاقلته من الحكومة.

وإذا كان بورقيبة رأى فى معنى أحمد المستورى خيانة. فإننى كنت أعتبر مواقفه صملاً من صميم حريته وشموهه بالسلوية. وهو أمر يرفع من شأنه فى عينى. ويؤيده احتراماً على الاحترام الذى كنت أكنه له. وقد برهنت على ذلك يوم تولىمت. بشق الأنفس. إلى الحصول على موافقة بورقيبة على إطلاق سراحه. وهو مريض. بحيث تكتن من إجراء عملية جراحية فى صمحة خاصة. لا فى المستشفى العسكري. وقد أهمنى ظلماً فيما بعد بعض معارضى الموالوات بالتهاون فى حق هذا الرجل المحترم. وكم كنت أعوم بعد أقد لى عمر المستورى. ابن أخيه. فالأنا. دى باى محمد. أطمئن. فالأنا عارف بالظمية فى تفاصيلها. وقد كنت بجانب والدى. عندما هفت له. ورجوته أن يذهب لتو إلى المستشفى العسكري لإخراج أخيه منه وعلاجه حيث تريد العائلة.

وجاء بجريدة لوموند. فى افتتاحية لها بتاريخ ٢٢ جويلية ١٩٨٦. على إثر عزلى. مع صورة كاريكاتورية بأعضاء «بلانتو. ظهر فيها قيصر وهو يطعن بخنجر ظهر ابنه بروتوس. ما يلى: «إن عزل السيد مزالى فى هذه الظروف له معنى رمزى. ذلك أن رجل الانفتاح والديمقراطية رسم صورة لنفسه اعتبرها بورقيبة اليوم غير صالحة. إذ أن خصوم الوزير الأول أجنوه على ما اعتبروه تهاوناً. لأن الديمقراطية عند بعض الدكتاتوريين تعد تهاوناً. ذلك أن ساعة أصحاب القبضة الحديدية قد قفّت. ولا شك أن السيد مزالى قد دفع ثمن اضطرابات الخبر التى وقعت فى جانفى ١٩٨٤. ويبدو أن هذا الوزير الأول دى السنية الطبية. والمفتّح. والحريص على أن تكون علاقته مع الجميع على أحسن حال قد انتهى به الأمر فى آخر المطاف إلى استمدا التكتيرين... فأخذته

التجاحات العالية شذت

غيرة عدد من حاشية بورقيبة. هُاج بهم داء الحسد وهو أقدم الأدواء. وأثارت كوامن خشيئتهم من أن أحوز القمامة التى تخول لى أن أكون الخليفة



نصيبي من الحقيقة



كتاب الزاوية



العرب والفكر الأوروبي

عبد الرحمن بدوي

ليس هناك من يستطيع أن يتحدث بثقة وتمكن واقتدار عن دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي أكثر من الفيلسوف والمفكر عبد الرحمن بدوي (توفي في ٢٥ يوليو ٢٠٠٢).

فقد تعمق الراحل الكبير في ثقافة وفكر وفلسفة الغرب بقدر ما تعمق ودرس الفلسفة والفكر والثقافة العربية الإسلامية.

د. بدوي هو أحد أبرز المكرين والفلاسفة المصريين العرب في القرن العشرين. بل هو أول فيلسوف وجودي مصري. وقد حصل على دكتوراة الفلسفة عن أطروحة الزمان الوجودي عام ١٩٤٦ وهو في سن السادسة والعشرين. وأشرف على المناقشة الدكتور طه حسين الذي علق قائلاً: لأول مرة لدينا فيلسوف مصري. وقد أشاد عملاق الاستشراق ماسينيون بعبد الرحمن بدوي وامدحه أيضاً الفيلسوف الفرنسي الكبير أندريه لا لاند الذي كان أستاذاً له.

وألّف بدوي عشرات الكتب ومئات المقالات العلمية بحيث أصبح صاحب مشروع فلسفي وفكري حقيقي استفاد منه كل المهتمين من الناطقين بالعربية. وفي سنواته الأخيرة وضع بدوي العديد من المؤلفات التي تظهر الوجه المشرق للحضارة العربية والإسلامية وتدافع عن القرآن والنبي محمد «صلى الله عليه وسلم» ضد منتقديه. وقد أعادت مكتبة الأسرة هي مصر نشر كتابه «دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي» عام ٢٠٠٤ ومجلة «وجهات نظر» تنشر مقتطفات من هذا الكتاب المهم.

بلاغ من الرئاسة «في أسلوب جاف كجفاء الصحراء» حسب عبارة برنار كوهين. يعلن عن إنهاء مهام الحبيب الابن كمستشار خاص لرئيس الجمهورية.

وفي ٢٤ يوليوية ١٩٨٥ دعاني بورقيبة على الساعة الخامسة إلى قصر سقائن بالبنسّير. وما إن دخلت مكتبته حتى رأيت يستجوب عائلة العويّتي، فحصرت بذلك مشهداً مؤلماً.

قال له بورقيبة: «قيل لي إنك تستعمل سيارات؟»
أجاب العويّتي: «نعم، سيّد الرئيس».

«لماذا؟»
- سيارة لي وسيارة أخرى تستعملها زوجتي في قضاء شؤونها..

وطُلق بورقيبة يصيح في وجه الرجل

بكل ما أعطاه الله من حبال صوتية.

ويشتعل كاهله بكل العيوب، ثم أمره

بتسليم كل الوثائق الرسمية التي في

حوزته إلى محمود بلحسين. وأصدر

بلاغاً بمقتضاه: «يسمح العقد الذي

اكتدب بموجبيه عائلة العويّتي بصفتها

مكتلة مهمة لدى رئيس الجمهورية..

وللتذكير فإن المعنى بالأمر بقي منذ

الثلاثينات يباشر مهمة كاتب خاص

لرئيس. لقد كان موضع قفقه، وحافظ

أسراره، ومدبر شؤونه اليومية.

والمعرض، والمثقف لسنوات غضبية،

ومثال الوفاء له.

وتعليقاً على هذه التصرفات العبيّنة

كتبت فرانسواز شيبو في صحيفته

«لوموند» ما يلي: «إن جميع الانظار

تحوّلت إلى منصور السخيري الذي شكّل

مع سعيدة ساسي مجموعة الحرس

الجديد المقرب إلى الرئيس التونسي.

البالغ من العمر خمسة وستين عاماً...

وختمت تعليقها قائلة: «بين رئيس دائم

الحضور لكنّه خاضع بازدياد إلى تأخيرات

داخريته المحيطة به، ووزير أول مضطرب إلى

عدم الحركة لأنه في أغلب الحالات مكبل

بالأوصاف فراطع السلطوية، ويرغب في

الانتقام التي تؤولج صدور البعض،

وتفتح شاهية الآخرين السياسية..

أصبح التونسيون أكثر احتياطاً...»

وكلمة مكبل هي أقل ما يمكن أن يقال

في هذا الصدد!

وهكذا نجحت العصا المكونة.

بالخصوص، من منصور السخيري

وسعيدة ساسي في إبعاد بورقيبة الابن،

وعائلة العويّتي، ووسيلة. وأصبح بورقيبة

شيئاً فشيئاً في عزلة. ثم جاء دورى في

٨ جويلية ١٩٨٦ ■

بترك أناس غير نزهة ينهبون خزينة الدولة.

ذلك أنّه نكايه في زوجة الرئيس

سعت سعيدة ساسي بالرئيس والمدير

العالم لتونس الجويّة السيد محمد بلحاج

الذي جرى اعتقاله يوم ٧ جانفي. يدون

سبق استشارة، بالياسة تهمة الفساد

المائي في إدارة الشركة. إذ أقررت «بيت

الأخت» صدر الرئيس ضدها. وعيّناته

على خلفة وجود علاقة مشبوهة بينها

وبين السيد بلحاج. وفي هذا الجو

الشحون رأى السيد وزير العدل رضا بن

علي بوصفه رجل قانون إحالة الملف إلى

لجنة من سامي القضاة تتركّب من السادة

عبد السلام المحجوب الرئيس الأول لدى

محكمة التفتيق، والبشير عرفة وكيل

الدولة العام بها. ورئيساء محكمة

الاستئناف جتونس، والهاشمي زمال وكيل

الدولة العام لدى تلك المحكمة. كما

ضمت اللجنة ثلثة من سامي القضاة

الملحقين بوزارة العدل. وجرى نقاش في

ضوء الوثائق المتاحة. وبعد الدراسة

العامة للملف وتداوله أجمع الحاضرون

على أن الاتهامات الموجهة إلى المشتبه به

باطلة. لا أساس لها، وعارية عن الصحة.

وأوصوا بحفظ التّبعات الجارية ضدّ

المعنى بالأمر. وحرروا تقريراً في ذلك.

أمهرود بالتوقيع عليه بيدهم. على أنّه

في خضم هذا التحرك المحموم، قام أحد

أعضاء اللجنة القضائية، وهو الهاشمي

زمال، أحد موقعي التقرير، لما له من

علاقة وطيدة بسعيدة ساسي. ولحاجة

في نفسه، قام بتسريبي محتوى التقرير

إليها، فسارع بإبلاغ الأمر إلى الرئيس

بزعم أن السيد رضا بن علي وزير العدل

قام بهذا العمل التّسريبي دفاعاً عن

محمد بلحاج. فما كان من الرئيس من لحظة

رد إلا أن أخذ قراره الاستعاز في لحظة

الانفعالية بإقالته من منصبه الوزاري يوم

١٢ فيفري ١٩٨٦. وتعيين السيد محمد

الصالح العياري مكانه، رغم محاولاتي

الفاشلة لإثباته من قراره، أو على الأقل

حمله على التّأنيث، في انتظار ما

سيستجد في هذا الباب من أحداث، بما

يجعله عندئذ في حل لاتخاذ الإجراء

الذي يترأى له. ذلك ما جرى حيّكه

وتخطيطه وتنميذه في تلك الحقبه

المتأزّمة، والمؤلمة من تاريخ تونس. والتي

كانت مثقلة بالندّر الفاصلة، والمنهية

لنظامه.

أما عن الشّدخل الذي أشار إليه

بورقيبة، فهو يتعلّق بنجله بورقيبة الابن

نفسه. إذ صدر، بعد ذلك بأيّام قليلة،

هذا الكتاب الذي يفترض أن تفرح به وتُسعد، كما يفرح الأدباء والشعراء ويسعدون عندما يكتب عنهم النقاد والدارسون، ويخصصون لهم كتباً كاملة، يطالعونها في حياتهم وقبل الممات.

لقد كتبت أراءها في القصصيات الجزئية على جزرات نخطب فيها أمام السطور التي رأت فيها مخالفة للمنهج أو المعلومات، ثم سجلت ملاحظاتي العامة في عدة صفحات يراها القارئ بعد قليل إن شاء الله في نهاية الموضوع. وأمل هذا الموقف بكتف لنا من طبعيتها التي لا تحب المداينة أو لا تسكت عن الخطأ لقد أحزنني أن يودعها نمر قليل في عاصمة الثقافة العربية. وإن اكتفى الصحفية التي ذكرت لها رحيلها بأربعة سطور في ذيل الصفحة، مع أنها كبيرة الشعراء - وليس الشعراء - في عصرنا المكتوب بالويولات والاضطرابات، وكانت لها - على كل حال - مواقفها التي كانت فيها صوت الإنسان العربي في الأمه. وما أكثرها، وأفرحها، وما أظفها - ولم لنجا إلى الداعية أو التملق أو المفاق أو إمساك العصا من الوسط. فهاشت كريمة على نفسها، حتى في عز محتها، وهي ترقد في مستشفى «سنابل» بجدار القبة. تنتظر الوصول إلى الشاطئ الذي تستقر عليه إلى يوم الدين

وإذا كان المصديق - جمال بدوي - الكاتب المعروف، قد نعى على مؤثر الشعر العربي، الذي انتقد بالقاهرة في شهر فبراير ٢٠٠٧م، عدم منحه جائزة الشعر لها، وهي في أوج مرضها، فأنا لا أشركه هذا الرأي. لأن، نازك الملائكة، اختارت الانحياز للهوية العربية وثقافة الأمة، وهي قبل ذلك وبعد كانت شاعرة كبيرة بكل الغايبين، سيفرا الناس شعرها على امتداد الزمان والحكام، كما قرأوا ويقرأون شعر المنينى وأنى العلماء وشوقي وغيرهم.

[٢]

في بغداد، عاصمة الرشيد. ولدت نازك صادق الملائكة، في الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٣ لأسرة تهتم بالأدب والثقافة والفكر. وكانت على تفاوت، وكانت أمها تشر أشعارها في المجلات الأدبية والمصحف العراقي باسم «أم نازك الملائكة»، وطبعت ديوانها، «أنشودة الجدة» عام ١٩٦٨م. وكان والدها «صادق الملائكة» أستاذاً للغة العربية وتخرج على يديه خيرة الأدباء في العراق، وتعلمت، نازك، على يديه النحو وتوقعت فيه وترك موسوعة من عشرين مجلداً بعنوان «دائرة معارف». وقد حصلت نازك، على الثانوية عام ١٩٣٩م، ودرست بدار

العدد المائة وثلاثة. أغسطس ٢٠٠٧م

لاحظت في سلوك، نازك، ظاهرتين مهمتين، الأولى: الأمومة، والأخرى: وضوح الرأي وصراحته. وقد يقول قائل، إن الأمومة أمر طبيعي في المرأة. ولكن أمومة نازك كانت شيئاً مختلفاً فيما أرى

نازك الملائكة أوراق لم تنشر

حلمى محمد القاعد

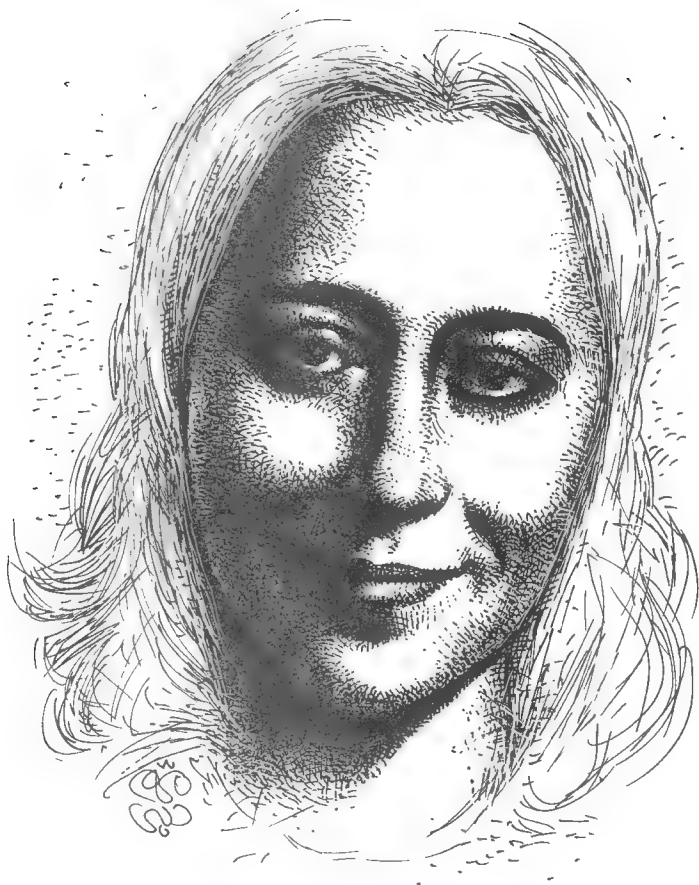
فقد كانت نازكة إلى جانب كونها شاعرة، وقد يكفى أن أذكر موقفين: قد يفرضان المجاملة أحياناً، ولكنها لم تجعل، وأعلنت رأيها بصراحة فاطمة، فقد كنت أناقش معها بعض القضايا، وبرزنا الحديث على شعر صديقتنا المشتركة الراحل، جبريد بدوي. فقالت لي: إن شعره التعميلي أقوى من شعره المنظوم على الطريقة الموزونة، الذي يسمى خطاً بالعمودي. وأعد ديوانه، كلمات غضبي، من أفضل دواوين الشعر الحديث عامة. وحين كتب عنها، «ماجد أحمد السامرائي» رسالة ما جستير قدمها إلى جامعة الأزهر حول شعرها ثم نشرها في مجلة «كتاب بعنوان»، نازك الملائكة: الموجة القلقة، لم تسكت عما فيه من الخطأ منهجية وعلمية. وأرسلت إلى نسخة من

كيانها كله بموج بالحركة ويشعل عند ذكر اسمه، وكانت خجولة به وهو صبي. وتذكر لي أنه يقرأ كثيراً، لدرجة أنه كان لا يترك الكتاب وهو يدخل المطبخ لإحضار كوب من الماء، كان «البراق» - ولعلها اختارت اسمه من البيت الشهير: «لا ليت للبراق حيناً تشرى...» ذكياً، وقليل الكلام، وهو ما أهله لإحراج درجات عالية في سنوات الدراسة وأهله للحصول على الدكتوراه. كما سبقت الإشارة. هل كان اشتغال الأمومة عند نازك، لكونها لم تنجب غير «ولد واحد»، أم أن أكبر من ذلك بكثير. فقد كانت تملك مواصفات المرأة الرقيقة الرحيمة الحانية القادرة على العطاء. وهو ما يشي به كثير من شعرها. أما بالنسبة لصراحته في آرائها.

■ ذات مساء في شارع قصر العيني عقب هزيمه ١٩٦٧، وهي دار الأدباء عرفت نازك الملائكة، عرفني أنا، أخي وصديقي الشاعر والنقاد الكبير، عبيد بدوي كانت تدور جميعه دار الأدباء أياماً تنوح بالحركة والنشاط ويساور فيها كل حدب وصوب، وكانت المايقت جادة وقوية وعسيفة. والتواصل بين الكبير والشباب ممتداً في حمو واحترام وتوقير. وكان أصحاب الثيارات العسكرية المتنافسة يقدمون التواقيع الإنسانية. والصداقة الحميمة فيما بينهم على اية حالات ثقافية أو فلسفية أو أيديولوجية. امتدت معرفتي بنازك وزوجها الدكتور عبد الهادي محبوبه - رحمهما الله - إلى بداية مرضها، حيث أصيبت بجلطة استمرت طويلا، جعلت من عزلتها أمراً محتوماً، حتى الهالك كانت لا تستطيع استخدامه إلا لضرورة. وكان خروجها من الكويك في أواخر الثمانينيات متوافقاً مع بداية مرضها المزمن، وأثر أن تكون مصر التي أحبها منذ صباها، مستقر لها. واختارت حي الحدائق (حدائق القبة) لتكون في معزل عن مواطن الحركة لرجال الصحافة والإعلام والفكر بصفة عامة. وكان أمها «البراق» - وهو وحيدها - يتولى كثيراً من الشؤون الخاصة بالثقافة التي تعلق بها. وكان قد استقر فترة طويلة في أمريكا. حيث حصل على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع.

كان زوجها، عبد الهادي محبوبه، أستاذاً جامعيًا، عمل في جامعة الكويت لفترة طويلة، وهي معه، وكان يتسم بدماثة الخلق والرفقة، وكانت معظم أحاديثه وأهتماماته تدور حول العلم وقضاياها في تخصصه الدقيق. وهي الدراسة الأدبية. وقد توفي منذ سنوات بالقاهرة، وأهتم بأمره حينها الأديب الراحل المعروف «الدكتور محمد عبد المعز خافي»، حتى وراه الشئ مع عدد محدود من الناس، ونشرت بعد رحيله قصيدة حزينة في «الأهرام»، كانت رثاءً يعبر عن عمق الإرتباط الروحي والنفسى بينهما.

تعلم عبد الهادي في القاهرة، وكان زميلاً للدكتور «سهير القماوي»، - رحمها الله - وغالباً ما كانت تزورهما، هو وروجه - عندما يأتيان لقضاء الصيف كل عام في القاهرة. وكنت أرى عمق المودة التي تربط بين الثلاثة، رحمهم الله جميعاً. لاحظت في سلوك نازك، ظاهرتين مهمتين، الأولى الأمومة، والأخرى، وضوح الرأي وصراحته. وقد يقول قائل إن الأمومة أمر طبيعي في المرأة، ولكن أمومة نازك كانت شيئاً مختلفاً فيما أرى، فقد كان حديثها عن «البراق» يعني أن



لم تصبر على ما فعله الانقلابيون بعدئذ من اضطهاد واستبداد فتكرت العراق

وعاشت في لبنان عامي ١٩٥٩، ١٩٦٠م



[٣]

دورها، ولكن يبدو أن هناك من أراد أن يعاقبها على جهدها، الذي أثبتت فيه أن العوز العربي المهور أكثر كفاءة من وزن التفعيلة الذي كانت من أوائل المبشرين به!

سوف أسجل في هذه الصفحة ملاحظات، نازك المللكة، على بعض ما ورد في كتاب «ماجد أحمد السامرائي، الصادر عن وزارة الإعلام في بغداد عام ١٩٧٥». وقد كتبت بخط يدها، ولم يطلع عليه الناس، ومع أنها أرسلت إلى الأكتاب حالي صديري، فقد لا حصلت أنها لم تكتب إلى إهداء كتابها عندها كانت تهديني كتبها أو دواوينها. سواء في طبعها الأولى أو الطبعة الجديدة، مما يعني أنها لم تكن مستريحة إلى الكتاب بصفة عامة.

وسوف أبدأ بالملاحظات الجزئية، مع الإشارة إلى ما كتبه المؤلف، ليكون تعليقها مفهوم القارئ، وتبين أهمية التعليقات في أنها تزيل الأحكام العامة أو الخاطئة التي تتناولها بعض الكتاب أو الصحفيين عن مسيرة الشاعرة والشعر. ١ - تعلق على ما كتبه المؤلف في (ص ١٧) إحصاء لقصائد ديوانها، عاشقة الليل، حيث يظم - حسب قوله - ٣٩ قصيدة منها ٢٩ على الطريقة القديمة، و١٠ على الطريقة الحديثة، واثنان مترجمتان، ويضم - ضظايا ورماد - ٣٢ قصيدة منها ٦ على الطريقة القديمة و٢٦ على الطريقة الحديثة.

فتقول نازك، «مأذا تراه يقصد بالطريقة القديمة والحديثة». أما إذا كانت، الحديثة، تعني الشعر الحر، فليس على عاشقة الليل أي شعر حر على الإطلاق، وحكمه على، ضظايا ورماد، غائب أيضاً.

أرجو الرجوع إلى مجموعاتي الشعرية وتصحيح هذه الأخطاء.

٢ - يسمب إليها المؤلف في ص ١٩: «ما حزن لم تستعد أنثيدب شجيه من لسان فجيع

لتبها في أسمية شاحبة إلى الليل الفيرير

وتسمعها ممزوجة بالندى الرطيب، فتعلق قلابة:

«ليس هذا الكلام، بل وهو نثر وليس شعراً، نازك».

٣ - يقرر المؤلف أن الواقع الاجتماعي

العدد المائة وثلاثة - أغسطس ٢٠٠٧ م

القاهرة. لتتضمن مع زوجها بقيقه حياتهما. ويهدنا في شراها الطيب.. ويودعها الشعر والجمهور في يوم الأرياء ٢٠ من يونيو ٢٠٠٧.

وفي أثناء فترة مرضها بالقاهرة. قام المجلس الأعلى للثقافة بمبادرة من بعض الأدباء على إيجابية تحسب له. بتشجيع أعماله الشعرية والنثرية في مجلدتين كبيرتين، كتب مقدمتهما الراحل، صيدو، - برحمه الله - وإن كان المجلس قد ضن عليه. كما حكى لي - بنسخة من هذين المجلدين، ليقرا فيهما مقدمته أو دراسته على الأقل!

ومن مجموعة كتبها الشعرية. وقد كتبت عن بعضها إبان صديري،

شعر على محمود طه، عام ١٩٦٥م. فضايا الشعر الحديث، عام ١٩٦٦م. التجزئية في المجتمع العربي، عام ١٩٧٤م.

سيكولوجية الشعر، عام ١٩٩٢م.

الشمس وراء القصة (مجموعة قصصية)، عام ١٩٩٧م.

أما مجموعتها الشعرية، فمنها.

عاشقة الليل، ١٩٤٧م.

ضظايا ورماد، ١٩٥٧م.

فرارة الموجة، ١٩٥٧م.

شعر القمر، ١٩٦٥م.

بغير ألوانه الجبر، ١٩٧٧م.

للصلاة والتوبة، ١٩٧٨م.

أما «مسألة الحياة»، وأضنية

للإنسان، فهي مطولة ١٩٩٩ وتكرر نشرها فيما بعد، ويبدو أنها حاولت إعادة صياغتها، ولم تنجح في صياغة الجديدة، وإن كانت قد دافعت عنها لأسباب سترد فيما بعد.

وقد أحسنت جائزة البابطين إذ منحتها جائزتها عام ١٩٩٦، وهي في معتزها ومعزتها مع المرض، فرفضت بعض الحرج عن المؤسسات الثقافية

الرسمية في العواصم العربية (ولا أقول القاهرة ويهدد وجهها) لأنها كانت تستحق العديد من الجوائز التي تكافئ

الطرفين، السلبية والأخلاق. أشرت حينئذ ضجة كبيرة. وبدأت تتحقق لها شهرة كبيرة في الأوساط الأدبية والثقافية.

بعد وفاة أمها عام ١٩٥٣. اهتز كيان نازك المللكة. وكان من حسن حظها أن رشحت لبيئة لدراسة الأدب المقارن في جامعة - سوكونس - فابتعدت عن الجو الحزين المتولد بعد وفاة الأم. وأفرغت همها في الدراسة والبحث والأطلاع. واستطاعت أن تحظر بالمجستير من خلال مجموعة من الأبحاث في موضوعات مختلفة.

كانت شهرتها قد انتشرت في أرجاء العالم العربي، وخاصة من خلال محاولتها التجديدية في الشعر، وعرفها الأدباء العرب في المؤتمرات والندوات، فضلاً عن الصحف. وتفاعلت مع انقلاب ١٩٥٨ في العراق الذي نادى بالثورية العربية، ولكنها لم تصبر على ما فعله الانقلابيون بعدئذ من اضطهاد واستبداد فتكرت العراق. وعاشت في لبنان عامي ١٩٥٩، ١٩٦٠م.



عادت إلى بغداد عام ١٩٦٦. وكتابت عملها في دار المعلمين العليا (التي صارت كلية التربية)، وكانت قد عينت فيها عقب تخرجها بامتياز، وترجمت الدكتور عبد الهادي محبوبه رملها في قسم اللغة العربية، ثم انتقلت معه عام ١٩٦٤ للعمل في جامعة البصرة التي شاركها في تأسيسها، وصار زوجها رئيساً لها.

في عام ١٩٦٥. ألقت بمعهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية معزتها مع المحاضرات جمعتها في كتاب بعنوان، شعر على محمود طه... ثم ذهبت مع زوجها لدراس في جامعة الكويت حتى أحست بوادر المرض. فاستقالت، وجاءت إلى

المعلمين العليا. قسم اللغة العربية - ونالت درجة الليسانس عام ١٩٦٤م بمرتبة ممتاز. وفي هذه المرحلة الجامعية، بدأت ينشر أولى قصائدها في الصحف العراقية. والقائما في احتفالات الكلية وكانت في عام ١٩٦٢ قد التحقت بمعهد الفنون الجميلة لدراسة العزف على العود لشدة حبها للموسيقى منذ طفولتها. وظلت تدرس الموسيقى في المعهد ست سنوات وكانت تعرف لتعسها مصاحبة لإنشاد قصائدها الشعرية. ولم تعرف أمام الجمهور إلا في الولايات المتحدة من خلال حمل أقامته جامعة - سوكونس - التي درست فيها عام ١٩٥٨م.

كانت نازك مولعة بدراسة اللغات الأجنبية، فالتصمت من حميد فار المعلمين العليا أن تدرس اللاتينية. ولم تكن مطلوبة منها في صف غير صفها. وأكملت دراستها في جامعة - برنستون - عندما سافرت إلى الولايات المتحدة. وأقرت الشاعر اللاتيني، كاتولوس، الذي أعجب بشعره وحفظت منه الكثير. كما بدأت دراسة الفرنسية عام ١٩٦٤. ودخلت المعهد العراقي عام ١٩٥٣ لتقرأ مويسان وسوكوير والفضول ودويو، وكونت مكتبة خاصة بها تضم الشعر العربي وكتب النقد والقصص والفلسفة للعلماء والأدباء الفرنسيين.

واهتمت بالأدب الإنجليزي وهي طالبة في دار المعلمين العليا. وأقرت شكسبير. وترجمت إلى العربية بعض مسرحياته وهي لاتزال طالبة. كما قرأت شعر «بارون وشيلي»، وأتقنت الإنجليزية من خلال دورة بالمعهد البريطاني في بغداد.

وقد أوفدتها مؤسسة روكفلر الأمريكية إلى جامعة برنستون بالولايات المتحدة، وهي جامعة رجالية. أو كانت كذلك، ولذا كان منظر الطالبة الوحيدة «نازك المللكة، مثيرة للدهشة بعض الرجال. وقد درست النقد الأدبي على يد نقاد معروفين في الولايات المتحدة من أساتذة الجامعة. من أمثال «ريتشارد بلاكمور، وإرن داورس، وديلو شوارتز، وهو ما جعلها بعد عودتها إلى العراق عام ١٩٥١ تنحى إلى الكتابة النقدية في الصحف والمجلات العراقية، وإن لم تتخل عن نظم الشعر، ونشره في مجلتي «الأدباء، والآداب، والبروتيتين». لقد تمكنت مناصرة في لدى الاتحاد النسائي عام ١٩٥٢ بعنوان «المرأة بين وجهات نظر

كنت منذ صغرى شديدة الحساسية في شأن كل ما يتعلق بالمرأة.. وبقيت طفلة حياتي مجادلة عنيفة حول مختلف قضايا المرأة.. نازك ملائكة

نَازِكُ



نفسها وخالصها في البحث عن الحقيقة.

٨. وحول مأساة الحياة يشير المؤلف إلى ضعف قيمتها. مما ألجأ الشاعرة إلى التكرار. وأضعف التجربة وأبردها. وأبنت لون اللوحة التي أرادت الشاعرة رسمها. وتعلق نازك

بـيحب أن يميز السائد الحسنية الرسمية للمصاندة الثالث. وما يراه من عناصر عدم الاكتمال اللغوي والفكري لدى شاعرة عصرها اثنا وعشرون عاماً. وكان يشغل في أن ينص عليه. فإن مأساة الحياة متشوبة قبل مجموعتي الأولى (عاشقة الليل). ولذلك لثرت عليها. ولم تشرها. ثم حاولت إعادة صياغتها مرتين. ولم ألق صورة لها بعد ذلك. وسرعان ما هجرتها نهائياً. كل هذا ينبغي ملاحظة ما وراءه من معانٍ تشير التأمّل لو أتيج لها نافذة يتأمل..

٩. يتعرض المؤلف لتساؤل الشاعرة حياة الفقراء والأغنياء. ويرى أنها تتلحق بلسان الكاهن حبيب وهي الإنسانية الأرستقراطية. تعبر عن أحاسيسهم ومشاعرهم. وترى كيف تأتى الأموال إلى جيوب الأغنياء من كدح العاح وتعبه. ص ٦٦.

وترد نازك على هذا الحكم بقولها: بـزعم من أسمى التمس إلى أسرة أرستقراطية. تعبر عن أنا. ونحن سبعة أبناء وأبوان وعمه. لم تكن نملك من حطام الدنيا سوى راتب أبي. الذي كان يبلغ أيام صباي خمسة وعشرين ديناراً شهرياً. ولم يكن لنا أي مورد على الإطلاق سوى راتب أبي هذا. فهل هذا هو معنى الأرستقراطية؟ وقد مات أبي عام ١٩٢٩ وكان راتبه يبلغ ألفاً اثنين وستين ديناراً.

وقام على ١٩٤٤. أنفك ليسانس اللغة العربية وعينت مدرسة بمراسرة تعليمية عشر ديناراً فأصبحت أعين أبي في نقائص المعيشة.

١٠. يتناول المؤلف نظرية نازك العروضية بالنسبة للشعر الحر. ويأخذ عليها مأخذ كثيرة ص ١٠٦. وترد الشاعرة على ذلك بالقول:

انقص المؤلف على إحصاء ما أحده على نظريتي العروضية دون إحصاء ما يوافقني عليه منها. وهو كثير. مع أن المتطلحات التي صعدتها أصبحت كلها على أسنة الأداء والنقاد. وكثير من القواعد التي قررتها قد شاعت وشهلتها انقراض كله. وهذا موقف غير مقبول من النقاد الذي

الحياة عام ١٩٤٥) فأتت بكامل قصيدتها الأولى سوى بعض التحويلات البسيطة وغير الخفية من بعض أبياتها. وثبتت لها عنوان: أغنية للإنسان. حتى إن عدد أبياتها (٨٥ بيتاً) وهو نفس عدد أبيات قصيدة المرحلة الأولى. ص ٨٩.

ويلاحظ أن نازك وضعت خطوطاً فصلت عن علامتي الاستفهام والتعجب. وجملة خطاً فادح.

أما التعليق فتصنع له عنواناً: حول مأساة الحياة وأغنية للإنسان.. ثم تقول:

لم ألاحظ المؤلف تطور الأسلوب والصمون والبنية. وكان هذا هو الذي جعلني أعيد نظم القصيدة. لأنني لم أعد راضية عن مستواها الفني والصورة الثانية منظومة سنة ١٩٥٠. وكنت إذ ذاك ملحدة تماماً. أما الصورة الثالثة في الطولية فقد تغير فيها الفكر تغييراً ملحوظاً لأنني أصبحت متفائلة بسبب إيماني بالله. والتوسع ثقافتي ونضجي. وبسبب التغيرات القومية العربية. وإعجابي بتخصيص جمال عبد الناصر وشيأه أخرى.

ويبدو أن المؤلف الصكري واضحاً لو دقق ما وجد. لو دقق فطفاً. ويبدو من تعليق الكاتب أنه لم يقرأ الصورة الثالثة. وإنما حكم عليها دون أن ينظر فيها. فقد لاح له أنني لم أغير فيها إلا قليلاً لجره أن قرأ أولها ووقف هناك ولو رجع إلى مقدمتي لعرف لماذا لم أغير أولها.

ويلاحظ أن الشاعرة تملك جرأة غير عادية حيث تلمعن عن تحولاتها اعتقادية. من خوف أو وجل. فهي تشير إلى أنها كتبت الصورة الثانية لمأساة الحياة وهي «ملحدة تماماً». ثم كتبت الصورة الثالثة. وقد تغيرت وأصبحت المأساة بسبب إيمانها بالله وعوامل أخرى.. وهو ما يدل على صدقها مع

٥. يقول المؤلف: ويبدو أن نازك الملائكة قد تناولت بعض المسائل الاجتماعية في شعرها. وخاصة نظرية المجتمع إلى المرأة. إلا أن ذلك قد جاء بشكل سطحي والسبب هو عدم اكتمالها فاك بقضايا الآخرين بقدر اهتمامها بذاتها وتأملاتها.. ص ٢٩.

وتعلق نازك:

خطأ فادح. فقد كنت منذ صغرى شديدة الحساسية في شأن كل ما يتعلق بالمرأة. وبقيت طفلة حياتي مجادلة عنيفة حول مختلف قضايا المرأة. ولو سمع ما جد. تقصص المؤلف. أراني حول هذه الأمور لعرف أنه من امرأة في العالم كله أشد منى ثورية وجرأة في مناقشة قضايا المرأة. وثبتت هذا أبحاثي (المرأة بين الطرفين: السلبية والأخلاق) وأماخذ اجتماعية على حياة المرأة (العربية) والتجزئية في المجتمع (العربي). ثم إن أحد أسباب حزني في المرحلة الأولى من حياتي يرجع إلى أفراد المجتمع العربي لمرارة وحجبه لها وإسائه الحق بها.

٦. يتعرض المؤلف لما كتبه الشاعرة في مأساة الحياة وأغنية الإنسان فيرى أنها اعتمد بالشكك دون الاهتمام بالمضمون الداخلي للموضوع.. ص ٨٧.

وتقول نازك تعليقاً على ذلك: «لم يتحدث عن الفصل الطويل عن الحرب العالمية الثانية. والدعوة إلى السلام. وتصوير القتل وعيونهم المفتوحة. وهو شديد الأهمية بالنسبة لما يقول».

٧. وفي سياق تناول المؤلف لمأساة الحياة. يشير إلى أنها في عام ١٩٢٥ قامت بنظم القصيدة مجدداً. لم تحاول أن تقدم شيئاً جديداً ليكر ولانها (مأساة

لنازك يمنع عليها التصدي المباشر لمظاهر المجتمع. لأنها لا تستطيع أن تعيش الانزعاجية الاجتماعية والتشرد فهذا يؤدي بسبعة أسرتها. كما أنها لا تريد التخلص من أحاسيسها ومشاعرها ومفاسها. لهذا أصبحت عندها حالة من التآزم أثرت بشكل بارز على عواطفها وأحاسيسها وعلى شعرها أيضاً.. ص ٢٥. تعلق نازك على ذلك وما ورد مشابهاً له بقولها:

وقع المؤلف في وهم غالط عندما ظن أن في حياتي «فرعية عاطفية». وأنا أدري أنه ليس في حياتي أية هزيمة عاطفية. ولو رجع المؤلف إلى نصوص شعرى نفسها وقراها قراءة متبحرة. لم يشر يوماً عند كل نفس متأملاً لوجد الكثير مما يحدني نظريته هذه. وعندما أعلن أنني لم أعرف ما ساء بالهزيمة العاطفية. فإن ذلك يعرض على الناقدة أن يصبح عن أسباب أخرى لأحزاني الواردة في شعرى. إن من السهل أن يصوغ الدارس نظرية. أما الصعب فهو تأييدها وإسنادها بالمشاهد. وإقناع القارئ المطلع على شعرى بأمثلة كافية.

٤. يشير المؤلف أن الشاعرة قد تناولت مأساة «الحزن» وما يعنيه هذا الشخص من تصور للصراع الحاد بين الحياة والوفاة. التي جمعت شخصين في هذه المأساة. وأطلقت لهما العنان وهما متمكان في الكسب من أجل الحياة. فتقول:

طالما حفر في التراب حفر في الضباب ريماء صحر في صحوب الخريف أ عيوس الشتاء الخفيف طالما شوهوا يحفران يحفران.. يظلال في ثمة يحفران وهذا الآن فوق عيني منيان. ص ٤٢. وترد نازك تعليقاً على ذلك: أن المؤلف وقع في خطأ وهو يحاول تفسير قصيدتي بحسب أن حصارين.. فقد ظن أن الحصارين كانا يحفران القبور. ولو أقرأ القصيدة قراءة واحدة متعمقة لعرف أن الحصارين كانا هما الشاعرة وحبيبها. وأنها لم يكونا يحفران قبراً.. على العكس كانا يحفران ليستخرجا إنساناً ثدياً في التراب لأنه حي وليس ميتاً. لقد فقد حياء. والشاعرة وصديقتها يحفران ليل نهار في داء وحزن ليخرجا هذا «الميت الحي». وهذا كله واضح في نص القصيدة. ولكن هذه هي المؤلف مستعمل ويكتب أي شيء يخطر له دون أن يكلف نفسه بقراءة النصوص.

المدد المائة وثلاثة. أغسطس ٢٠٠٧ م

عندما يخطف الناقد



وقع في هذا الكتاب أحصاءً، في المنهج، وكل حلقا في المنهج لا بد أن يؤدي إلى غلط في الشائع التي يصل إليها الباحث وينسحب هذه الأخطاء، فيما يلي

١ - لم يتفقد المؤلف متواريخ قصائده وهو يدرسها، ومن عادته أن أسجل التاريخ في آخر كل قصيدة، مساعدة للقرء والدارسين على فهم الظروف والمراحل، والوصول إلى تفسيرات تتسم مع الواقع، لذلك يجد المؤلف يخطئ بين قصائد وردت في عاشقة الليل، الصادر سنة ١٩٤٧ وأخرى وردت في شهابية ورماد، الصادر سنة ١٩٤٩، وقرارة الموجة، الصادر سنة ١٩٥٧، وجبر هذه السوت حدثت تغييرات ساحقة في جينته وأهيكارتي وشاعنته وظروفي وظروف المجتمع، وكـ المؤلف ينسحب من الشاعر يبقى ثابتاً على آراءه ووعظه لا يتغير طواريقه، وهذا تفكير غير سليم هنت مثلاً مطهرة في عاشقة الليل عن الرومانسية، يحاول المؤلف أن يشهد لها بأبيات من قرارة النجوة رضى الرمية لعلهم قد ودى به هذا إس حله، لعل حيا

٢ - صاغ المؤلف حول حياته ادعائية، نظرية متمسكة مدعفة بأها على قرارة سريرة غير متماثلة ولا خاصة، لا دقيقة للقصائد الحب في مجموعاته الشعرية للقصائد، وقد انتهى حكمه إلى أن في حياته هزيمة عاطفية هدمت نصيبه وسببت إلى الأحرار والرجبات الرومية وقد حله هذا بقع في حطاي حطيرين.

(٣) انه حالف وقائع حياتي، فانا لم أعرف شيئاً اسمه هزيمة عاطفية يوماً، وهذه المواقف لو حطرت على بال المؤلف تغيرت تفسيراته النقدية لقصائده تغييراً كبيراً، لا تبدل الخرس ينهي حتماً إلى تبدل النتائج

(٤) انه عندما أوقع نفسه في خطأ الإيمان أطلق فرضية الزهوية العاطفية - اعنق على عنه بال الطر في العمود الكثرة التي مدح بطرية تلك وثق منه في مجموعتي الشعرية، ولدت من تركت القصود منبه دور ان يلحمها أو يفسح عندها كان دعه مدعفاً حامداً - خلافاً لما ينبغي للناقد - فسد ذلك عليه ان التعليل الرصين وادقته في اتهامات احكام عاطفة غلطاً مؤسماً ولم يسن المؤلف إلى في شيء بهذه اسطرية ولا بناءً إلى القيمة النقدية الموضوعية لكتابه

نازك الملائكة
الموجة العنقة

ماجد أحمد السامرائي
بغداد - وزارة الإعلام، ١٩٧٥

يجب أن ينص على المزاي والمأخذ معاً مع الموضوعية والدقة والإنصاف.

١١ - يتبنى المؤلف ويعرض لنظرية نازك العروضية إلى بعض القيود التي تفرض على حرية الشاعر في زيادة التصاقيل... ص ١١١

وتقول نازك.

١٢ - لم يطالع المؤلف على مقدمة الطبعة الرابعة من (قضايا الشعر المعاصر). وفيها أوصحت تطور سمعي منذ عام ١٩٦٢، ولذلك أضفت هوامش عروضية شديدة الأهمية على القواعد التي كنت أقبها من قبل.

١٣ - يرى المؤلف أن البيت المثالي عند نازك هو الذي تطابق كلماته اللغوية وتساويله العروضية تطابقاً تاماً... مستنداً على تحليل للدكتور محمد النويهي لما طرحتة نازك... ص ١١٦



وتجيب على ذلك قائلة: "وارجع المؤلف إلى كتابي قصايا الشعر المعاصر، الذي ناقشته النويهي، لوجد أنني لم أقل هذا المنسوب إلى، فضلاً عن أن شعري المنشور يفرج عليه بكل تمعية فيه.

والإسناد - محمد النويهي، لم يكن موضوعياً في طائفة من مناقشاته، وإنما إنسان مع عواطفه وهذا لا يصح للناقد. وقد وصف بالذم مصري رسين هود. عبده زائقة، وذلك في مجلة الثقافة بالقاهرة. وكل موضوعية تتعارض مع والخلاف، ومع الزعيق."

١٤ - اعترض المؤلف على رؤية الشاعرة نازك الملائكة من قضية، التشوير، ويراه عسراً في التجربة الشعرية وقلت فيه الشاعرة نصيب في قصيدتها، إلا أن الأوهام، التي نظمتها سنة ١٩٤٧ في الموضوعين التاليين:

١. أسمع الصوت

سيري هذا طريق عميق

٢. أن يحين

واسمع حقيقة حادثة، ص ١١٨، ١١٩. ونازك الملائكة تنص أولاً أن يكون في هذا النص أي تشوير، فكل منهما شطر واحد. ثم تقول:

١٥ - لم يفهم المؤلف حكمي في قضية التشوير مطلقاً، ويولع لي أنه يخطئ بين التصمين، الذي هو استقلال البيت الواحد عما يليه نحوياً، وبين التشوير، ويبدو أن الكاتب لا يميز بين البيت والتشوير (ص ١١٩). وقد زعم أنسي

العبد السائلة وثلاثة، أغسطس ٢٠٠٧ م

الشباب عادة إلى العواطف المضطربة أما أنا فقد بقيت أتمسك في وله وحرارة عن أسرار الموت والحياة ومصير البشرية وإمكانات السعادة والشقاء، ومضامين الحق والباطل والخير والشر، وحرية الإرادة، وسوى ذلك مما هو منوط في شربك المرحطة هيكب عجز المؤلف عن ملاحظة هذا

٥ - لم يسع المؤلف أن يلاحظ طائفة من "نور طواهر شعري وهي الثورة والنمرد والرغمي ومن دلب (الإلحاد) الذي سيطر على تفكيره ما بين ١٩٤٧ و١٩٥١، عندما كتبت كافتة بوجود الله كثيراً كاملاً. نادى بأن القرآن من إنشاء محمد الذي لم يكن بيبي وإنما كان مقلداً عبيداً يملك قنرات قبابية غير عادية. وهذا الإلحاد كان له أثر عميق في نفسيته لأنه سبب لي ضيقاً فكرياً بلا حدود

٦ - اعترض المؤلف أنني سكمت متراجعة عن الشعر الحر، وهو بهذا ينساق مع الزعم السطحي الشائع، دون أن يرجع إلى شعري المنشور السابق، من صحة الشاعرة، كما أنه - لو كان يريد الإنصاف - لقرأ في كتابي (قضايا الشعر المعاصر) اقتراصة سنة ١٩٦٢، حرص على الشعر الحر وهو يتجلى في عنايتي الشائقة بوضع عروض مفصل، فضلاً عن أنني انتقدت شعر الشطرين الخليلي (الشكل القديم) انتقاداً شديداً، وبسيت عيوبه وسواها - وفي التسمية لنظرية هذا العصر - في فصل طويل عنوانه (الجدور الاجتماعية لحركة الشعر الحر). فإذا كتبت متراجمة - كما يزعم - كيف أكتب هذا الفصل؟ وإذا أتعب نفسي موضع عروص كاملة لشعر راجعت مع ما أعد أؤس به كما يزعم؟

٧ - فأت المؤلف أن يلاحظ ملاحظة مهمة في أن الشعر يستعمل الرموز والصور الضبابية، والتهويمات، وتحت إستراتيجيات وإمكانيات ميسرة بحيث يبعث المعنى وراء غلالات وحجب كلية أحياناً، وكثيراً ما تعطي القصيدة إيما، بفكرة طائفة مادية لتقدم الشاعر. فالشاعر يعلم ويهيم ويوحي بمشائيل عاطفية شديدة، ويرقى في الخيالات، وكل هذا

يجعل من عدم الموضوعية أن يستخرج حياته من شعره ويحتاج إلى أن تكون بين أيديها وثائق ورسائل وقائع ثلثة مزجة - أما من كان مثل المؤلف، لا يملك أي معلومات صلبة عن حياتي، فليس من مصلحته - كتاف - أن يصوغ نظريات وعرضيات عن حياتي ويتصلب للفرائض على أنها وقائع كما في الفصل للمنون "العالمية الموهومة أو خيبة الأمل."

نازك الملائكة

٣ - لم يحاول المؤلف أن يقرأ شعري قرارة تعمق والتساع ومثل هذا المؤلف لا ينتج دراسة نقدية مطلقاً، لذلك يمكن الرد على آراء ماجد أحمد السامرائي، بخصوص كثرة في شعري من دحض نظريته دحضاً كاملاً والقد الجيد لاية قصيدة يتعصب أن نقرأها السبق، فـ رات متددة ويلاحظ كل لغف فيها وكل صورة وكل رمز حتى إذا صاغ حولها هرجاً أو وضع حكماً كان ذلك مسنداً بكل شطر فيها وإذا ما ورد شطر واحد يتعصب مع ذلك الفرض فإنه لا يعود لالتفسير القصيدة، أما قرارة الشعر مرة واحدة، أو مطالعة خزازات غائرة في بعض القصائد ثم دفع الشاعر بنظرية كاملة، فهو ليس من الدراسة الجادة في شيء، وإنما هو أرتجال

ويعد من التبع الموهومي، لو رجع المؤلف إلى دراستي للشاعر على معمود، ولم يتعقب منهجي لرأي أن أكتب قد وفدت عندك كلمة في شعر الشاعر، فانا لم أكتب إلا بعد أن عرفت شعره طاهراً وباطناً، لا في حفظي أكثر غيباً، فكتبت أجد الشاهد فور حاجتي، ومع هد كله رفضت أن استنسخ وقائع حياته من شعره واخترت وتحفمت وأملت الفرائض أن استنسخ قد يكون معارفاً لحياة الشاعر - وليس من حق - ناغابرة دراسة واسعة - أن استنسخ وقائع حياة من محرد بنصوص شعرية وإنما اضطرت إلى التقليل الخليلي على الرموز لأنسي صمحت عن الحصول على جيرة ممتلئة للشاعر، وذلك كله تركت للفرائض هزيمة كاملة لرفض استنتاجاتي، وهو المؤلف السليم الذي يبرع حقوق شاعر لا يعرفه إلى بعباته وليس حتى أن أحوص في سيرته

٤ - لم يحاول المؤلف أن يلاحظ أبرز طائفة في شعري وهي الجانب الفكري، فإن ثلاثة ربيع كانت وحزني كانت نتيجة لنظامات فلسفية، وقضايا الجانب الحيواني إلى الإنسان (بسبب مثاليته المفر إلى سادته) وثورة على الأحرار الاجتماعية والتحلل في الوطن العربي، كما أن ظروف الاستعمار البريطاني في العراق، وقفل الثورات القومية المتتالية كان أحد أسباب إحراسي، ويبدو الاتجاه الفكري حتى في شعري الأول (مطلوعة مأساة الحياة) وعاشقة الليل مع أن عري عند نظم هذه الأدرين كان بين الثانية والعشرين والخامسة والعشرين، وهي سن طرية يصرف فيها

كتاب الزاوية



العرب والشعر الأوروبي

عبد الرحمن بدوي

مسألة تأثير الشعر الأندلسي في نشأة الشعر الأوروبي الحديث في إسبانيا وجنوبي فرنسا من المسائل التي تشغل كثيراً بال الباحثين المعاصرين. خصوصاً ومواد عديدة جديدة تضاف كل يوم لتؤكد هذا التأثير، بل ولتشبهت أن الشعر العربي الأندلسي في الموشحات والزجل قد انطوى على المرحلة الأولى لنشأة الشعر الإسباني نفسه. وذلك في الخرجة التي تكتب عادة بلغة أجنبية، وكانت في الزجل في الأندلس تكتب باللغة الإسبانية الدارجة الرومانسية. فإذا جعلنا من الخرجة ألباناً إسبانية كانت بمثابة النموذج الأول للشعر الإسباني، وبهذا يكسب الشعر الإسباني أكثر من قرنين من الزمان.

هذان النوعان من النظم «الموشح والزجل» اللذان ابتكرهما أهل الأندلس، هما اللذان أثرا في نشأة الشعر الأوروبي. وأول من قال بهذه النظرية هو «خليان ريبيرا» المستشرق الإسباني الكبير الذي عكف على دراسة موسيقى الأغاني الإسبانية ودواوين الشعراء «التروبادور» و«التروفير» وهم الشعراء الجوال في العصر الوسيط في أوروبا والمثنيون Minnesanger وهم شعراء الغرام، فأنهى من دراساته المستفيضة هذه إلى أن الموشح والزجل هما «المفتاح العجيب الذي يكشف لنا عن سر تكوين القوالب التي صبت فيها الطرز الشعرية التي ظهرت في العالم المتحضر إبان العصر الوسيط» وأثبت انتقال بحور الشعر الأندلسي فضلاً عن الموسيقى العربية. إلى أوروبا «عن نفس الطريق الذي انتقل به الكثير من علوم القدماء وفنونهم - لا يدري كيف - من بلاد الإغريق إلى روما، ومن روما إلى بيزنطة، ومن هذه إلى فارس وبغداد والأندلس، ومن ثم إلى بقية أوروبا».

استعملت التدوير في قصيدتي الحرة (الأفعوان)، وهو زعم باطل فما أوردته مثلاً لم يكن فيه تدوير ما لم يرد التدوير في أي موضع من شعري الحر طيلة حياتي.. فلا يتعب ما جد نفسه. ١٤. يتهم المؤلف الشاعرة مع سردها على رقابة العروض القديم، فإنها تدخل في رقابة جديدة في نفس الأولى ولكن بشكل جديد... ص ١٢٢.

وقد نازك على ذلك بالقول، «يقول إن القواعد التي وضعتها تدخل الرقابة على الشعر الحر. مع أنني قد استعملتها كلها. وليس في شعري رقابة يتوافق القلا والمارسين. والواضح أن المؤلف يتحدث في قضايا لم يدرسها وليس من اختصاصه».

١٥. يرى المؤلف أن نازك أصبحت في عام ١٩٦٨، لا تشكل الحماسة وأصبحت تنظر إلى مسائل الشعر الحر ببصيرة وتعقل الناقد الهادئ بعيداً عن عواطفها كشاعرة. ويورد قولها الذي تعلق فيه عن أسفا أنها في شعرها الحر لم تعلن عن عناية أكبر بالثقافة، فكانت تغير القافية سرعاً وتتداول غيرها... ص ١٢٧.

وتعد نازك ما يراه السامرائي حرية، لا أكون منغلقة وعاطفية عندما أمارس قرض الشعر وأكون مستقلة ومصادرة وموضوعية حين أكتب النقد. وهل يريد من المؤلف أن يكتب نقداً عاطفياً كنه تهويمات وشيخوبات؟

مازالت القافية المنوعة في شعري كله. ولست من أنصار القافية الموحدة، ولكنني أدعو إلى إبراز موسيقى الشعر الحر بقواف أكثر، خاصة أن كثيراً من الشعراء الشباب (في ذلك الوقت طبعاً)، قد نبذوا القافية نبذاً تاماً، وذلك عندما ينقص من موسيقى الشعر الحر ويبعثه..

١٦. يتهم المؤلف الشاعرة بأنها استسلمت للتوافق وأصبحت تجرئتها تسير نحو التهاوية، ورحلت منها الثورة والتقدم مع هباب شبابه، وأصبحت تشاق إلى الوزن الواحد... ص ١٢٨.

وتسأل نازك: ما معنى قوله: «أصبحت نازك تشاق إلى الوزن الواحد»؟

يقول إن الثورة والتقدم رحلت عنى برحيل شبابه. وأقول: ذهب شبابه وجاء تخضيبي الروحي والعاطفي والصكري وشبابي ذهني. وقد استمر برنارد شوبين حتى الثالثة والتسعين. وبين يدي الآن للطبع ثلاث مجموعات شعرية جديدة نظمناها بين ١٩٧٣ - ١٩٧٥. وهذه المجموعات ليست مجرد نغم، إن فيها تجديدياً وأبداعاً، وهي من الموضوعية

[٤]

وهي لم تكف بالملاحظات الجريئة التي توقفت عند بعض الأراء والأحكام والمعلومات، ولكنها تقيت ما يمكن أن نطلق عليه دراسة قصيرة لكتاب، ما جد أحمد السامرائي، طرحت من خلاله قضايا عامة كشفت قصور الباحث المنهج من أوقعه في الخطأ لم تتوقف عند الجزئيات، وإنما انسحبت على النتائج التي توصل إليها في بحثه بصفحة عامة، فقد أهمل تواريخ قصائدها، وأصدر أحكاماً دون دليل على حياتها الخاصة، وكان عجلاً في قراءته فلم يتعمق مطالعة النصوص بحيث تكشف له عن طبيعتها، ولم يلاحظ الجانب المهم في شعر نازك، وهو الجانب المكري وتحوالاته، كما لم يلاحظ الجانب المهم الآخر، وهو الثورة والتقدم والرفض، ولصور أنها تكلمت عن الشعر الحر وتراجعت، ولم يلتفت إلى الجانب المجازي في البناء الشعري، وكل ذلك أوقعه في استنتاجات غائلة وغير علمية.

وأترك للناظر أن يطالع ما كتبه الشاعرة بخط يدها، واعتقد أن أحداً غيري لم يطالع عليه، اللهم إلا نضر من خاصة خاصتها.. وفيه بلا شك، ما يغير كثيراً من الأحكام والتصورات التي أصمرها البعض أو راحا حول شعر الشاعرة.. فمعهرة ما كتبه يؤسس لنظرة جديدة وروية مغايرة، فضلاً عن دلالاته الأخرى التي تحتاج إلى بحث مستفيض. ■



[illegible]

مسالم «كلوت بك»



كلوت بك يلبس العمامة والملابس المصرية حتى
تتيح له أن يخرج من حى الأرستقراطية
الأزكية آنذاك، ويدخل الحواري والبيوت
والقرى والكفور. ويحكى عن كل شيء فى مصر



ليبتين ملمس الأجسام، أو يمد يده
ليبرك فروق الألوان. تأمل مثلاً برودة
تسجيله ظاهرة مسخ الأدمى فى القرن
قبل الماضى بخصمه. حيث كانت كل من
مدينتى أسيوط وجرجا مصدر توريد
الخصيان، ولا يقتصر القائمون بها على
بتر عضو التذكير وحده، بل يبترون
بالموسى جميع الأجزاء البارزة المرتبطة
به. ثم يصبون فى الحال على مكان البتر
شيئاً من الزيت الملى، ويتركبون أنبوبة
فى الجزء الباقى من مجرى البول، ويعد
إلقاء الزيت ينرون على مكان الجرح
مسحوق الحناء، ثم يدهنون الصتى فى
الأرض إلى ما فوق السطح، وبعد أن
يتركوه فى هذه الحالة أربعاً وعشرين
ساعة يستخرجونه من التراب ويدهنون
مكان الجرح منه بحجينة من الطين
والزيت..

ثم يبدأ فى سرد العلامات المميزة
للخصيان، ومكانتهم الاجتماعية
وكيفية صعودهم فى الحياة الاجتماعية
رغم ما أصابهم من تشويه، ويتنهل بأن
يلقى درساً فائراً عن بشاعة هذه
الظاهرة، وحينئذ يعبد كلوت بك
عصامته وينوى الدخول إلى البيت
المصرى ذى الطراز العربى لا يرفع عن
عينيه الحاجز الزجاجى، يجمع
التفاصيل من مدخل البيت، يصف

كلوت بك يلبس العمامة والملابس
المصرية حتى تتيح له أن يخرج من حى
الأرستقراطية الأزكية آنذاك، ويدخل
الحواري والبيوت والقرى والكفور.
ويحكى عن كل شيء فى مصر.. النباتات
والحيوانات والطيور والأسماك والزراعة
والنجارة والصناعة والمواصلات والسكان
من عربان ومسلمين وأقباط ويهود
ويونان وأهل الشام وأحباش وأوروبيين.
يصف المنازل من الداخل والخارج والرجل
والمرأة والأطفال والرقائق والملابس
والأثاث والعمادات والموسيقى والرقص
والضرائب والجيش والبحرية والتجنيد
والتعلم والأمراض ثم ينتهى بالأثار..
ولا يفوته طبعاً أن يتأمل الأحوال
السياسية من وجهة نظر سيده وولى
تمته.



كل هذا الكم الهائل من موضوعات
النراسة تشير أنه يتناولها بالبحث من
خلال حوض زجاجى لا حصر فيه. يظل
يصف ويصف فى تفاصيل لا حصر لها
ولكن فى برودة تسجيلية، وحينما يتجرأ
فيصدر حكماً على ظاهرة اجتماعية لا
يكلف نفسه مد يده داخل الحوص

من دقور واشتاب. ولكن هذا الإعجاب لم
يمنعه من بيع دفته لمحمد على بنى كاس
المقدم منه تسميته عام ١٨٢٥ رئيساً
للجراحين فى الجيش المصرى. ظل
سلطانه يرتفع فى مصر لمدة خمسة عشر
عاماً، بهرته مظاهر العظمة التى حصل
عليها فضاء حينما قرر الكتابة عن مصر،
وجاءت أحكامه سريعة ومتضاربة فى كتابه
(لمحة عامة عن مصر).

العين الزجاجية

لم يفعل كلوت بك كما فعل الفلاح
المصرى الذى أصر على إخفاء دفته عن
أهل بلده إلى أن تئيت من جديد، فقد
كشف الطبيب الفرنسى أطواص كلوت عن
دفته حلقة الكرامة من البداية. يقول
فى مقدمة ما كتبه عن مصر إنه يعتذر
بخضوع شديد للأمر الخطير محمد
على لأنه لم يأخذ منه إذنًا بالكتابة، فإنه
إن فعل فقد يعسر بأنه تكليف من السيد
العظيم، وأيضاً يعفى سيده من لوم
النقادين لكتابه القاصر لأن سيده لم
يعرف القصور. وفى النهاية يرجو العفو
عن «اصدق الخدم» ولا «واحد منكم».
كلوت بك..

■ قبض شيخ البلد على عجوز فى
قرية الزهرازيق، وأصر على خلق لحيته
المهيبة. حتى يبدو صغيراً فيقدمه
للجنديبة. الحيلة انكشفت فانتحى
العجوز بالمأمور جانباً وشكا له سوء
تصرف شيخ البلد الذى أودى بلحيته
مصدر هيئته فى بلده وأمام ناسه. تحول
المأمور بنظره للقاضى وكان حاضراً
وسامعاً وسأله الرأى. يدت من هزات
القاضى واصطناحه الوفاق ملامح
تواطى صامت مع شيخ البلد فالتفت
قائلاً: لم يأت فى القرآن الكريم أن
اللعبة باللعبة.. وأحسن المأمور بملامح
التأمر متبادلة مع شيخ البلد والقاضى
فقال: اما والأمر كذلك فمن حقى أن
أخلق ذلى القاضى دون عقاب.. وهم
بالتشديد

تراجع القاضى ممسكاً بذنقه
وتراجعت أيضاً الأحكام على لسانه،
وأعلن أن شيخ البلد مذنب. وانتهت
الأمر كما يرويه كلوت بك فى ذكرياته
عام ١٨٢٤ بأن قبل العجوز ستين قرشاً
تعويضاً عن لحيته. إلا أنه أصر على عدم
العودة لقريته (لا بعد أن تعود لحيته
مهيبة.

يروي أنطوان كلوت (بلك) Antoine
Bertelmy Klot هذا الحادث مصححاً
بتمسك المصريين بمظاهر الشرف عندهم



وإذا تزوجها الرجل كبيرة فلي تتوفر لديها سوى ميرة العقل دون الجمال، ويعدده هذا إلى أن يعدد زيجاته!! أو نرى كلوت يقول أيضاً إن تعدد الزوجات هو الذي جر على مصر الانحطاط والتعرض للغزو الخارجى واستعمار أوروبا لأرضها، أو أن اللواط منتشر في الشرق نتيجة لقلة النساء بالنسبة للرجال بسبب امتلاك بعض الرجال لأكثر من امرأة، أو أن الرقص الشرقي امتداد للرقص المصري القديم (الرقص الشرقي أصله رقصة المخاض أو البطن ومن وسط أسيا).

صورة صادرة

على أنه يدكر لكلوت رايه في الرق الشرقي فهو بالمقارنة بالرق الذي عرفه الغرب، أو عرفته أمريكا شيء يستحق الإعجاب، الرق في الشرق نوع من التهنيت، يصير الصبي أو الصبية بعد الشراء كسود من الأسرة، ويشوم السيد بتعليمه القراءة والكتابة وقد يصير (شيكجيا) أي يعد الشيك (الأرجيلة) أو قهوجيا أو قراشاً، وربما صار خازن دار أو كاتباً أو سحداً أو كخيخا، وربما

ويستبعها وهي ترتدى ملابسها الداخلية ليصعد مع العريس ويشرح عادة قض البكارة باليد وإعلان النتيجة على منديل أبيض ولا تتوقف تجارب كلوت بك عند هذا الحد فيقول عن النساء المصريات بعد الزواج، «لهن ميل شديد إلى المصاحبة لأنهن تربين في ظل الدعة وعادة السكن والبطالة»، ولو خبر كلوت نساء الريف وهن الغالبية في مصر لتعلم درساً في العمل الشاق موصولاً على مدار العام.

كلوت بك يبدو في التضارب والتناقض أو السطحية، حينما يشرح في التحليل وإصدار الأحكام، فألمرة المصرية في صفحة راضية تماماً عن وضعها، بل وترثي للمرأة الأوروبية.. وفي الصفحة التي تليها يعرض سخط المرأة المصرية حينما قدمت بعض النسوة احتجاجاً لنابليون بونابرت المساواة بزوجة «مينو، المصرية التي يعاملها معاملة متحيزة. أما كآحكام عامة، فهو يرى صواب راي، «مونيسكو، في أسباب تعدد الزوجات في الشرق، ويرى مونيسكوي أن نصح المرأة الشريفة، بأسرع من المرأة الغربية أدى إلى زواجها صغيرة أو في فترة لا تتوفر لديها سوى ميرة الجمال دون العقل،

ولكنك تستطيع أن تعثر لكلوت بلغ في حجة الحريم على تأملات طريفة، فرغم حرصه على تذكرنا دائماً بمتسكة بالفضائل وتجنب وصف التفاصيل المخلّة، إلا أن عينه للتلقظ، نهود المصريات بهذا الوصف، «والنساء هن جيدة التكوين، حسنة الوضع، وأقية في صلبية تحت الصدور عريضة لا قيل لها بالحيل الضارة التي تلجأ إليها السيدات الأوروبيات»، أو قوله عن حديث السيدات المصريات، «فإنهن إذا وجهن الخطاب إلى احد دعونه بقولهن «يا عيني، «يا روى، «يا قلي»، ثم لا يتخرج من الدخول معهن الحمام فيصم عملية الختان، أو إزالة الشعر والتدليك والصلح والرقص وخلافه تعرض في اليوم السابق للدخلة،



الباب والنوافذ والسطوح وصحن العار والحريم... ولنفرط استغراقه في جمع التفاصيل تصيبه النظرة الممزقة هلا يعرف قيمة معمارية لهندسة البيت العربي في القرن قبل الماضي، فالطهر الخارجى لبيت يراه عديم التناسق، بل وقبيحاً، ومن الداخل غير متنسق فيه التماهات وارتصاصات وانخفاضات بلا معنى، أما الرخاف العربية المنتشرة في أنحاء البيت فلا تعدو أن تكون أشياء طريفة.

البيت والسرّة

وإذا قارنت هذه النظرة السطحية بنظرة المستشرق «بريس دافين، الفرنسي، الذي عاش طويلاً في مصر، رسم وسجل العديد من الآثار العربية بها وطبع في كتابه، «فن العربي... تجد دافين يتأمل ويسجل بحسه الصنى البيت في نفس الفترة من خلال وعيه بقيمة العمارة الإسلامية والفن الإسلامي، يرى التناغم بين مدخل البيت ومكوناته الداخلية متوافراً، يرى التكوينات التجريدية الإسلامية التي أبهى الفنان المجهول تزيدها على مكان عبادته تحيط به أيضاً في مكان لاقامته.

كلوت بك يبدأ في والتناقض أو السطحية. حينما يشرع في التحليل وإصدار الأحكام

فوق رأس الزبون آتية معدنية ملقوة بالآء، وملقاة في السقف يسب منها عند الحاجة في طشت أسفل ذقنه، ثم يأخذ الحلاق رأس الزبون على ركبته اليمنى ويبدأ عمله، ولا يمنع ذلك من توقف الصل بين الحين والآخر، لأخذ نفس من الشبك أو رشمة قهوة أو دريحة أو دخول رسون جديد يستوجب الترحيب بصورة مواعلات ذاك الزمان من جمال وبغال وحمير. الجمال للأعراب، والبغال للعلماء، أما الحمير فغالباً للنساء، ببردة خاصة عالية، بحيث تتركب السيدة من جانب واحد، ويسندنها من الجانب الآخر شيخ كبير أو خصى.

ويقول كلوت إن المصريين في جلسة المزاج يفضلون الحشيش لأنه يعطيهم حدة في التصور لشعب يجيد النكتة، بينما يفضل التركي الأفيون لأنه يعطيه رخاوة وسكوناً يوافق مزاجه. صور كثيرة يسجلها كلوت بك في قليل منها سخونة، وفي كثير منها أكثر من برودة. أما آراؤه السياسية فقد أبدته عن إدراك الحقائق، قللة معلوماته عن التاريخ المصري وبيرو حسه، وضيق أفقه في تحليل الظواهر الاجتماعية، ثم ارتباطه بالسلطة بما كان يفرض عليه نوعاً من الكذب أو التلغيف. فالمصريون عنده: «مغضى عليهم باستمرار التبعية والخضوع لغيرهم»، والسبب أنهم لم يندمجوا بفزاتهم كاشعوب الأوروبية. وقد تناول الدكتور حسين فوزي في كتابه «سندباد مصرى، هذه النقطة بالشرح والتحليل والإحصاء وانتهى إلى الآتى: «هناك وأصل مصرى إلى أن مصر التي يقدر تاريخها بحوالي خمسة آلاف سنة ضمت باستقلال كامل مدى ٣٥٠٠ سنة. حوالي ٢٥٠٠ سنة حكمها أسر مصرية، ونحو ألف سنة حكمها أسر أجنبية، أما نحيما خمسة آلاف عام تستقل فيها ٣٥٠ سنة، أي ما يعادل سبعين بالمائة من تاريخها، البتة هذه حقيقة يجب أن نأخذها بالقدوم والمسامحة في رؤوس الشباب».

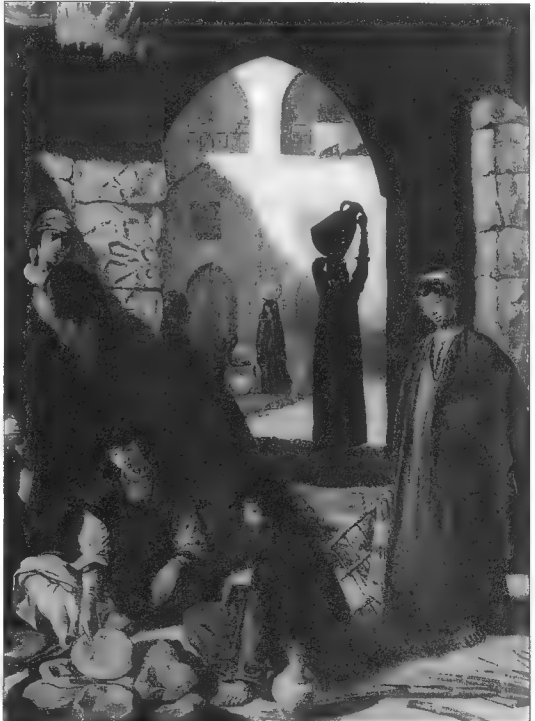
.. ما وراء العمامة

ويسجل كلوت بك هذه اللحة من طبيعة العناد عند المصري تجاه السلطة فيقول: «التعنن من أخص النقااصن الاالسة بالمصريين. فإنك ترى فيهم من

بسيطة، وعلى الضيف الأقل مقاماً من الضيف أن يراعى إبعاد الدخان عنه، وأن يظل يسند شبكه على ركبته بين كل نفس وآخر. وكذلك صورة الحمام العموسى بما فيه من أدوار التدليك، والتكيس، وفرقة الأطراف، وحك الكميين وباطن القدمين. وصورة الحلاق، حيث تتدلى

ما يشبه الغليون الآن ولكن بأنبوبية طويلة تمتد من قم المدخن وتنتهى مرتكزة على الأرض. وهناك خادم خاص لتقديمه بعد إعداده. وتقتضى التقاليد أن يمسك الخادم الشبك من الأنبوبية ويتقدم من الضيف ويركز حجر الشبك على الأرض في مسافة أمامه، بحيث يصل هم الشبك هم الضيف باستدارة

تزوج في النهاية من إحدى بنات سيدته
أما الصورة المأدبة التي يسجلها ولا يمتلك الآن سوى تخيلها. صورة أداا تقديم القهوة أو إعداد الشبك للتدخين. والشبك تختلف صورته آنذاك عما نعرفه الآن. فقد كان يتكون من هم وأنبوبية ثم الجوزة أو الحجر، أو



يقول كلوت إن المصريين يفضلون الحشيش لأنه يعطيهم حدة في التصور لشعب يجيد النكتة

جيران. سودي إن اعتقيد أن تعبيراً حقاً قد طرأ على أكثريةهم ولا لما رأيت في الأمر إلا مبررات مادية. وكان كلوت بك واحداً من هؤلاء، الذين قال زلدهم عاكساً قول بن جلا هسان «إذا وصفت الحمامة فلس تعرفوني» ■

♦ القنصل: أتعتمد ذلك؟ هل يتحول الفرنسي إلى تركي؟
جيران. أمامك هنا بعض الأوروبيين الذين ارتدوا للعمامة.
♦ القنصل: لا شك أنهم من كبار موظفي الباشا، ولم يكونوا يصلوا إلى الدرجة التي حصلوا عليها، أو ليلزموا المسلمين بطاعتهم لولا هذه الطريقة.

الفرنسي جيراندي نرفال، إلى مصر عام ١٨٤٣ ذهب لمقابلة القنصل الفرنسي. ووجد عنده الحديث يدور ساخناً حول محاولة إنقاذ فرنسي وزوجته يهودا اعتناق الإسلام ويفكر القنصل في اختطافهما ويعلق نرفال.
«ولكن لو فرض أن لديهما عقيدة دينية راسخة.

يؤثرون الجلد بمائة أو مائتي جلدة على تسديد المستحق عليهم من الضرائب الزهيدة، وواضح من تأمل كلوت لهذه الظاهرة أن ظل السلطة بحجم على عقله، فهو يعتبر التعتن هذا تقيضه، والأسوأ اعتباره «الضرائب الزهيدة، حقاً من حقوق السلطة، رغم اعترافه في كثير من المواضيع بما عاناه الشعب المصري من تعنت السلطة نفسها، وحجب عنه الكابوس الجاهل على عقله إدراك معنى قبول الفلاح الجلد مائتي جلدة على الخضوع لأوامر سلطة ظالمة وإذا كان المصري لا يليلق بمزاج كلوت في احتجاجه السلبي بقبول الجلد، فهو أيضاً لا يعجبه في ثوراته المتعيفة، فالعلماء حينما قادوا الثورة ضد الحملة الفرنسية كان كل ما فعلوه هو جمع «شتمات بعض الأنوف من الفلاحين أيام الحملة الفرنسية لإشغالهم بحيوشنا وتحريضهم على النكابة برجالها». وطبعي بعد ذلك أن يؤيد سيد محمد علي في استيلائه على أموال العلماء وكسر شوكتهم، وطبعي أيضاً أن تكون من صفات المصريين الجشع والحسد والكسل والتعصب وصلابة الرأس والميل إلى المجون. ومن صفات المشمايين قلة الذكاء ومحدودية الأفق والكبرياء والصلف بدون مبرر والتعصب. ومن صفات المالك قلة الذكاء والحكمة والتصلب والعناد والفرد، ومن صفات الأرناؤوط العناد والشغب والجشع.. أما محمد علي فقد رآ بنفسه عن الانغماس في هذه الأوهام الفاسدة..

قد يذكر كلوت بك أنه أنشأ مدرسة الطب بمصر عام ١٨٢٧ في منطقة «نوزعيل» لخدمة الجيش وانتهت إلى قصر العيني ومستشفى آخر بالأزبكية. ولكن لم يكن هذا مبرراً ليخوض في حياة المصريين طويلاً وعرضاً، تسجيلاً من السير إلى الصراع الدولي، وتحليلاً ضعيفاً يفسر الظاهرة من خلال طبقة أو زمان أو مكان. ثم يجد تقيضها في طبقة أو زمان أو مكان آخر. فتأتي تفسيراته متضاربة، وتشر من محاولته تحديد المعالم أن لا معالم لحصر ولا للمصريين. وليست هناك معالم واضحة يحرص على تسجيلها دائماً سوى معالم ذلك الرجل القصير ذي العينين الكسالتين والأيدي الصغيرة المقتولة الأصابع والعمامة المنحرفة إلى اليسار.. محمد علي. وحينما جاء الكاتب

العدد المائة وثلاثة - أغسطس ٢٠٠٧ م



وهي وقتنا المعاصر لم يد هذا
من يقدم هذا الغناء الذي يتفجر
طرباً سوى فريدة محمد مطرية
المقام العراقي وصباح فخري وكلاهما
فضلاً عما يقدمه من إبداع في الأداء،
هناهما يمثلان حالة حماية وحفاظ
ونشر لتراث من الإبداع العناني
العربي المعاصر، فضلاً عن السيدة
فروز التي أشرت الاحتجاج الإرادي

لم يتفق جمهور الدين كتيبا في الغناء على تعريف للطرب ولكن ثمة أوصافا لحالة الطرب، فهو نشوة تحرك الوجدان وتبعث في المتلقي مشاعر من الرقة والتسامح مع العالم وشجن عميق يحرك الروح باسمو بها.

نشوة رائعة لا يصنعها فن آخر
ولا أي من المحسوسات المادية. والغناء
الذي يطرب لأبد أن تكتمل فيه
وتتناسق الكلمة واللحن والصوت. أو
ما أسميه المثلث السحري، فكل ما فيه
جميل ومؤثر الكلمة واللحن
والصوت واكتماها معاً يصنع حالة
الطرب.

ويجعل كتاب الأغاني - المسجل
الوافي لتاريخ الفناء . وبقائع كثيرة
عن هذا المرح . خاصة في مجالس
الخلفاء . أو الأشراف إذ ينشد أحدهم
شعراً من نظمته أو سمعه . ويعزف
أحد الموسيقيين لحناً فيتنادى
الجالسون في من يضع لحن نظماً .
ثم يتناقص الغنمون والقيان في من
يحفلي بالاداء .

ولم يجرئ مثل إبراهيم وإسحاق
الواصلين ورباب وعبد وابن جازع
وصصيت وابن سريخ وابن حمز
ولبيد وسلافة ولبابة وحكم الوادئ
وعنبر كير، وهؤلاء وغيرهم مع
الذين أشاعوا حال الطرب وكان
عبد الله بن جعفر وهو من هو يقول
عندما يهزه الطرب: ولا تقيت
ولا تلبيت ولا سلبت ولا علبت ولا
كملت لغزوت، ولا يختلف أحد في
أن ظهور واستقرار الوادئ العربية
الإسلامية أسهم في تطور وإزهار
الفناء وظهور حالة التناكب على
الاكتشاف الفناوية أصواتاً ومحتجني
شعراء، فنأهنا بن مدني، زهر



في المدن ومع الاستقرار. فقد عرف العرب الغناء الغناء قبل التاريخ المكتوب، ولكنه انقصر على شكلين الجدة والتعديد، الأول يمارسه حادى القوافل طيلة الطريق لجمع الابل وعدم شربوها وإلّا يبرد نشاطها وفوتها بالجداء والتسرية على المسافرين، تجاراً أو مرتحلين. وفي الوقت نفسه، والتعديد هو البكاء على الموتى قتلى غزوات أو موت القضاء، وكان غناء مؤثراً يسهم في المأساة وتخفيف المصا. والواقعة الملتقى عليها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد، والمدينة كلها تعيش لحظات حزينة وتنتسى شهداءها.. فقال الرسول الأكرم ياسى الأحزمة لا بواكى له، فاصدعه معه حمزة بن عبدالمطلب الذي قتل في غزوة أحد بترىعى من العبد، وحشى، ويترضى عن هند بنت عتبة، فقام نغفر من الأضمار وأثرو بنسائهن ووقفن بباب المسجد يتندين حمزة سيد الشهداء حتى قال الرسول الأكرم: فخر الله لكم ولهن مروهن فليمن إلى دورهن.. ولم يتطور الغناء وتعمد وطائفه إلا مع تطور المجتمع وتحوله إلى مجتمع مدنى مستقر. وتعددت وتنوعت وظائف الغناء والموسيقى، وأسهمت الفصحيات في انتقال وتداخل الثقافات المختلفة من البلدان الجديدة التى من الله بها على العرب فاطمونا على غنائهم وموسيقاهم وإيقاعاتهم وتأثروا، تماماً كما تأثر العرب الذين فتحوا الأندلس بموسيقى الأندلس وإنشاء النضدين فظهر نمط من الموسيقى هو الأندلسيات الذى يذخى عن غناء أهل المشرق، واختلف العرب حول الغناء فأجازته صاسة أهل الحجاز، شطريين إلى بلوى عن ذكر الله أو لا يكون فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرب والتولية والعقيقة، ويدلون على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستنكر استقبال أهل المدينة له بالغاناء، ولم يكره على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها استماعها لنف الحبيب بل واسبل عليها رداء الشريف.

وتميزت مرحلة الاستقرار التى ازدهر فيها الغناء بشعراء فحول أو مجيدين أمثال جرير والفرزدق وأبو العتاهية والبيهشري وفى الغزاليات صمر بن أبى ربيعة الذى كانت تهديده النساء الهدايا كى يتكرهن فى شعره فتعمر شهرتهن ويبقى ذكرهن، وقيس بن الملو، وقيس لبنى وكثير عزة وعديد من

الشعراء الذين بقيت لهم قصيدتان أو ثلاث وكلهم تحول شعرهم أو بعضه إلى غناء. وفى الأندلس على أبين زيدون ولسان الدين الخطيب وابن عبادة وولادة بنت المستكبر وكثيرون.

غناء الاختيار

فلائل الذين حافظوا على هذا التراث الجميل من الغناء والطرب. ولم يكن سهلاً أبداً ولا خفيفاً الاختيار الكلمة وهى ركن أساسى فى المثلث السحرى. وإذا كان الموسيقى محمد عبدالوهاب قد ساعده وجود أمير الشعراء أحمد شوقى بجواره والذى أسهم فى تنقيته وهده إلى عيون الشعر العربى واختار معه من الدواوين المطبوعة له، مهيار الديلمي، قصيدة أعجبت بى، ومن ديوان صفى الدين الحلى قصيدة قالت، فإن المهمة. الرسالة. كانت أصعب عند صباح فخري والأخوين الدينيين وأكثف غناء وفجرى. وحتى شهر مضى كان صباح فخري، تتمه الله بالصحة وبعد فى عمره - يقنى كمثال افتتاحى هذه الأبيات:

ما أنخاض قبيل عيسهمو وحملوا صابراً بالنسى الإبل وللبت بلخال السجف ناطرها يروى إلى ومع العلم نهمل وروصت بيسان زالة علم لانيث لا حملت رجلاك لا حمل يا حادى العيس مزج كى أدهمهم كى حادى العيس فى تراكلك الأجل إنى على العهد لم أنقض مودتهم يا ليت همرى لطول العهد ما هملوا ويقال إن هذه الأبيات من الشعر القديم. وهذا صحيح، ولكن لا أحد يعرف الشاعر ولا الديوان، ليس عن تقصير، ولكن لأن الشاعر، رجل مجنون أو به لوعة. إن شئنا المدة. وتكرت الأبيات فى مؤلفين فقط هما الأغاني (ج ١)، والثانى هو

المستطرف فى كل من مستطرف، لشهاب الدين بن أحمد بن أبى الفتح الأتشيى، الذى طبع أكثر من خمس عشرة طبعة. وروى الأتشيى قصة الأبيات فى صدر حديثه عن الاغتراب والفرار يقول الأتشيى: - حكى بعضهم قال دخلنا إلى دير هرقل فظفروا إلى مجنون فى شباك ينشد شعراً فقلنا له أحسنت فأومأ بيده إلى حجر يرمينا به وأقسم علينا أن نسמעه ونأشئسدا.. (الأبيات) أما صاحب الأغاني فأورد ثلاثة أبيات منها فقط فى ذكره لحال س هارون الرشيد.

وقصة الأبيات تؤكد فضل صباح فخري سواء كان قد سمع لأحد تغنى بها. وهو أمر غير مؤكد. وهو هنا له فضل حارس الطرب والتراث، أو عثر عليها هو فى بحثه وتنقيته وهو فضل لا يقل عن فضل الحارس فمثل هذه الأبيات والكلمات لا يطرق الأبواب بها مؤلف معاصر.

أما الأخوان الرحباني فقد بذلوا جهداً مضنياً فى البحث عن الكلمة ولم يكتفيا بأن غنيا لأبن الخطيب - جادك الغيت، ولابن الملو، أحب من الأسماء، وإلى هؤلاء، فى الرحلية البديعة من غناء زوياب فى مرحلته الأندلسية أداها مع السيدة فيروز - كرام محمود، بل وصلا حتى شاعر أموى من الفحول، ولكنه لا يحظى بشهرة معاصريه ومن بعدهم.



وانتقى الأخوان الرحباني مقاطع من قصيدة له كى تمنحها السيدة فيروز فى ثنائية جميلة مع نضرى شمس الدين. أما الشاعر فهو الصمة بن عبد الله القشبرى وهو شاعر بدوى من العصر الأموى. أحد أصحاب قصص الحب العزرى. فقد

كان العصر العباسى هو العصر

الذهبي للغناء، وظهر موسيقيون عظام

مثل إبراهيم الموصلى وأسحق الموصلى ومعبد

وزوياب وشاع ذكر المغنين والمغنيات مثل

سكينة ولبابة وغيرهن كثيرات



أحب «ربا، ابنة صم» إلا أباهما رفض تزويجها له واشترط عليه أن المهر وروجه لغيره. فتعبد كثيراً، ثم ترك مزارع أهل ماضى وسافر إلى طبرستان حيث مات قهراً وغربة وشوقاً. وقال هناك هذه القصيدة التى اتقن وتفنن الرحبانية فى اختيارها ما يصلح منها لغناء، ومن أبياتها.

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الرى وما أحسن المصطاف والتمتعاً وانكر أيام الحمى ثم انتسى على كيدى من خشية أن تصدعا فليت شبكات الحمى بربوع عليك ولكن ما بيتبك تدعما كأنما خلقنا للنوى وكأنما حرام على الأيمان أن نتجعما

ما تبقى لنا

لا خلاف على أن حفظ تراث الغناء القديم والموشحات بأشعارها الرائعة كان وراء جهد لا يترك أنظار الغزاليات صباح فخري. إنهم لإسهامات من كامل الخلفى ومحمد عثمان وسيد درويش، ولكنه إسهام القل. فسيد درويش قد فصح صحت وجداً فى ندامى، وديا شادى الألحان، الذى اختلط على البعض بنسبه لأبى خليل القاسى، وقدم موشح: العذارى المقاتلة، وكذلك، عزيز المشرف، ومسنيتى عز اصطبارى، ومحمد عثمان فى مغل، والقصائد، واسقنى من الرام، وقلنا مطرب الحى، والشيخ زكريا أحمد قد موشح: بنت كرم، وصفر غلى موشح: محبى غرام المقاتل، فقلت أن هناك جهوداً ولكنها جهود القل - كما أسلفنا - وحتى أمير الشعراء أحمد شوقى أدلى ببلوه فكتب أن هناك جهوداً ولكنها جهود القل - كما أسلفنا - وحتى أمير الشعراء أحمد شوقى أدلى ببلوه فكتب

وأهمية إبحار ناطم الغزالى وصباح فخري هو تدوينهما لأكبر عدد من الموشحات على النوتة بدلاً من أن تظل سماعياً وتعرض للمسقوط من الذاكرة، فضلاً عن الأداء الغنائى لهذه الموشحات، فظلت حية فى الذاكرة والوجدان.

وابتكر ناطم الغزالى ونهج على نهجه صباح فخري نمطاً فى الغناء، بحيث يبدآن بالمفتتح بموال من الغناء القديم، ثم يقدمون غناء يقارب روح العصر لكنه لم يصل أبداً إلى الإصاف أو الرخص فقد ناطم الغزالى مثلاً (سمرام) من قوم عيسى) و(عبرتنى



التبعية والغصون

إلى الأندلس، «زريب»، والذي أسس مدرسة له يعلم فيها الموسيقى والفناء، وساهم الاستقرار الذي استمر طيلة حكم عبد الرحمن الداخل وخلفائه من بعده، وحتى عصر ملوك الطوائف في تطور الفناء الشرقي ليشهد غناء خاص بالأندلس هو الموشحات التي لا يوجد اتفاق علمي على نشأتها وهل هي غناء أندلسي أم هي تأثير الغناء الأندلسي على الفناء العربي، أم هي نتاج تأثير إنشاد كنسي على الغناء العربي، أم هي نتاج التبادل الموسيقي بين الموسيقى الأندلسية وموسيقى الشرق والتي كانت متأثرة بموسيقى وأحسان الأمم الأخرى. وارتبطت بالموسيقى الشعراء الذين كانوا يكتبون لها وأشهرهم ابن سناء الملك وابن الخطيب وعبادة الغزالي.

ونظم الشعر للموشحات يختلف كثيرا عن نظم الشعر العادي من حيث تكرار أبيات وترتيبها. ويعد الأبناء المأمونين للموشحات عبادة الغزالي. وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد كما يقول ابن خلدون وشاعت الموشحات لجمدة أبحاثها والتطريب في موسيقها ورقة المعاني وأحكام صورها وفناتها.

أين نحن الآن؟

رغم كل هذا التراث الرائع والجميل، إلا أنه لم يؤسس لحالة فنائية مستمرة رغم أن بدايات القرن الماضي وحتى الأربعينات شهدت محاولات من مطربين وملحنين خاصة في «الأدوار» التي ذاعت وانتشرت مثل «يا حلوة يا مسليتي، ومن الشباك، وقمر له ليالي»، وعلى خده يا ناس، ومحاولات محمد عبد الوهاب وزكي ناصيف ورياض السنباطي والأخوان الرحباني والإخوة سحاب (فيكتور وإلياس وسليم)، وتوفيق الباشا وفيلمون وهبي، إلا أن أقصى ما تحقق هو تخليص الفناء من التأثير العثماني في الأمان واللالى والتكرار، وإنشاء فرق لإنشاد الموسيقى العربية هنا وهناك، تقدم حفلاتها بمواسم. وأصاب الوجدان جفاف وشباب الشجن وماتت الأحاسيس والقلوب وأصبح الناس ضحايا لتضجيج وبيت.

منذ أن جهر طويس، بالفناء في المدينة المنورة كما يقول صاحب الأغاني تسارع تطور الفناء وانتشاره في أرجاء الدولة الإسلامية خاصة مع تطورها وازدهارها. وتنافس المغنين والمغنيات إلى بلاطهم والسعي لإعراء الموسيقيين وشراء الجوازي والقيان وتعليمهن الغناء. وكان العصر العباسي هو العصر الذهبي للغناء، وظهر موسيقيون عظام مثل إبراهيم الموصلي وإسحاق الموصلي ومحمد وزيرياد وشاع ذكر الفئتين والمغنيات مثل سكينه ولبابية وغيرهن كثيرات. ومع اتساع الدولة العباسية دخل في الإسلام كثير من أبناء الأمم والشعوب الأخرى وتداخلت الثقافات وحاول أبناء هذه الأمم الاندماج في الدولة الجديدة. ولأن الغناء لا يمكن أن يتم دون نغم شعري، فقد توسع الفنانون في البحث عن نصوص شعرية تصلح للغناء، ووجد بعضهم بعيتهم في الشعراء من أبناء هذه الأمم. لأنهم نظموا الشعر بلغة عربية ومعانٍ عظيمة من أشهر من تخطى لهم العجينة، صفى الدين الحلي، والذي يغني له محمد عبد الوهاب قصيدة (قاتل)، ومهيار الديلمي، الذي يغني له أيضاً محمد عبد الوهاب قصيدة «عاجت بي».

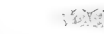


أما التطور النوعي في الفناء العربي فظهر ما عرف بالفناء الأندلسي والموشحات وهي التي بقيت ووصلت إلينا من الفناء العربي القديم. فقد حدث مع تمكن آخر أمراء بني أمية عبد الرحمن بن معاوية والعرش بـ «عبد الرحمن الداخل» صقر قرطش، من الاستقرار في الأندلس والتخذ من مدينة قرطبة، عاصمة للملكة وبنى بها القصور وحولها الحدائق وأخذ يجلب كل ما كان في بلاد الشرق «مشرق» من ترف. ويقلد ما كان فيها، وبدأ يستدعي المغنين والقيان، وانتقل كثير منهم بإرادته إلى الدولة الوليدة.

ومن أشهر من انتقل من بغداد



تميز غناء نازم الغزالي بمساحة من الحزن والشجن وهو موروث الثقافة التراكمة في المشرق والظروفه الخاصة



أما التطور النوعي في الفناء العربي فظهر ما عرف بالفناء الأندلسي والموشحات وهي التي بقيت ووصلت إلينا من الفناء العربي القديم. فقد حدث مع تمكن آخر أمراء بني أمية عبد الرحمن بن معاوية والعرش بـ «عبد الرحمن الداخل» صقر قرطش، من الاستقرار في الأندلس والتخذ من مدينة قرطبة، عاصمة للملكة وبنى بها القصور وحولها الحدائق وأخذ يجلب كل ما كان في بلاد الشرق «مشرق» من ترف. ويقلد ما كان فيها، وبدأ يستدعي المغنين والقيان، وانتقل كثير منهم بإرادته إلى الدولة الوليدة.

ومن أشهر من انتقل من بغداد

بالمشجب) (وطالعه من بيت أبوها) وعلى جسر المشجب. ومن التراث العراقي (يا غمي يا بيع الورد). ولتلمس بها شامة ودقة على الحنك ممن يشترها) ... و... وتتميز غناء نازم الغزالي بمساحة من الحزن والشجن وهو موروث الثقافة التراكمة في العراق وظروفه الخاصة. فهو ولد في دولة ثورة العشرين وذاق اليتيم مبكراً وشاهد موت الأقارب والجيران في الثورة. وموروث الثقافة الشعبية. هائل العراق عانى من افتقاد العدل وضايق شديد بين الأغنياء والفقراء، وتوارث جيلاً عن جيل أن ال البيت لفوا مصرعيهم بين ظهرانيهم وأنهم خذلوه من الإمام على إلى الإمام الحسين.

أما صباح فخري فقد طور في نمط أداء نازم الغزالي واجتهد كثيراً ويبحث ونقّب للوصول إلى الشعر القديم الذي كان يغني في الموشحات ليغني منه مفاويل افتتاح أغانيه، فغنى «حببي على الدنيا إذا غبت حشدة، ولما أنساها العيس جملها وسارت بها الإبل» ومن شعر صبر بن المارسي في العشق الإلهي غنى:

لو صافك نوح دمع عيني غرقاً
أو جرب لوغتي الطليل احتراقاً
أو حملت الجبال من أحمله
صارت دكا وغر موسى صفقا
ومع هذه المفاويل المنتقاة من الشعر القديم العباسي والأندلسي والصوفي قلت صباح فخري «خمرة الحب»، «ما لك يا حلو ما لك»، «الغنى والياسمين والورد»، «امسقى العطرش»، «فدك الياس»، «فوق النخل»، «قل للبلبلجة»، «يا مال الشام»، «ابعت لي جواب»، «وصيد العمارى».

وغنى قصائد كاملة من الشعر الأندلسي مثل قصيدة، لسان الدين، لأبي عبد الله بن الخطيب، والتي غنتها فريز أيضاً: غادك الغيت إذا الغيت همى يا زمان الوصل بالأندلس لم يكن وصلك إلا حلماً في ليال كتمت سر الهوى بالدجى لولا شموسي الغفر وغنى لآلن الملوخ وفيروز أيضاً: أحب من الأسماء ما وافق اسمها واشبهه أو كان منه مدانياً



جائزة أحمد بهاء الدين السنوية العاشرة (٢٠٠٧)

جائزة الشباب العربية للهوى كل الوطن العربي

للشباب في مختلف أنحاء العالم العربي دور رئيسي وهام في صنع التغيير وفي التفاعل مع الأحداث الجسيمة التي يشهدها الوطن العربي. وموضوع مسابقة جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين هذا العام هو: مشاركة الشباب العربي في العمل السياسي والاجتماعي..

كيف يمكن تقييمه؟ وكيف يمكن تطويره؟ وماهي العوامل التي تعيق تقديمه وزيادته؟

لقد اختارت جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين موضوعها حول مشاركة الشباب ليكون محور أنشطتها الثقافية للموسم الثقافي (٢٠٠٧ - ٢٠٠٨).

وفي هذا الإطار تعلن الجمعية عن مسابقتها السنوية العاشرة لتأليف كتاب باللغة العربية يتناول هذا الموضوع، برؤية تفصيلية شاملة وبحرية كاملة.

◆ شروط التقدم للمسابقة ◆



- ١ - الانتماء إلى بلد عربي.
- ٢ - عدم تجاوز سن الأربعين عند إقفال باب الاشتراك (٣٠ أكتوبر ٢٠٠٧).
- ٣ - تقديم ما يلي من أصل مطبوع وصورة واحدة:
السيرة الذاتية.
خطة البحث في حدود صفحتين.
فصل من الكتاب أو جزء منه لا يزيد عن خمسة آلاف كلمة.
- ٤ - أن يكون العمل جديدا ولم يسبق تقديمه لأية جهة أخرى.

◆ إجراءات المسابقة ومنع الجائزة ◆

المرحلة الأولى

- ١) يقوم المشترك بتسليم أو إرسال الأوراق المطلوبة في موعد غايته ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٧ على عنوان الجمعية برقم ٩٣ شارع قصر العيني، شقة ٣٣، القاهرة، أو ص.ب ١٨٦ الدواوين (أو الاتصال ٢٧٩٢٤٠٣٢ / ٠١٠٤٩٧٣٣٢٧).
- ٢) يتم عرض المشاريع المقدمة على لجنة تحكيم تختار من بينها ما يستحق الحصول على منحة بحثية قدرها عشرة آلاف جنيه مصري لمتابعة الكتابة. ولجنة أن تطلب من مقدمي المشاريع الحضور لمقابلة أعضائها.
- ٣) تنظم الجمعية أسبوعية ثقافية يدعى إليها الفائزون بالمنح البحثية وأعضاء الجمعية ونخبة من الكتاب والناشرين والمفكرين، ويقوم كل من الفائزين بعرض موضوعه.

المرحلة الثانية

خلال العام التالي للفوز بالمنح البحثية يقدم كل من الفائزين بهذه المنح مسودة كاملة لكتابه في موعد تحدده الجمعية.
وتختار لجنة التحكيم أفضل عمل كامل ليفوز صاحبه بجائزة أحمد بهاء الدين السنوية وقدرها عشرة آلاف جنيه مصري بجانب قيام الجمعية بالمساهمة في نشر كتابه.

Email : fabdsociety@hotmail.com
Info@ahmedbahaaeldin.com
www.ahmedbahaaeldin.com

المركز الرئيسي ٩٣ شارع قصر العيني، الطابق الخامس، شقة ٣٣، القاهرة
بريد - جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين ص ب ١٨٦ الدواوين، القاهرة
البريد - فاكس ٢٧٩٢٤٠٣٢ موبايل ٠١٠٤٩٧٣٣٢٧



حوار مع
تيمور لنك

بين الكلمة والسيف!

رافيل بالنسيا

السلطان صاحب المقام الرفيع في رحلة ثمانية أشهر قبل ذلك إلى دمشق، والقدس، وبیت لحم، والخليل، وكان الهدف في هذه المرة تحديداً مساعدة العاصمة السورية ضد هجمات تيمورلنك الذي احتل حلب، قبل ذلك.

وكانت قد اكتملت أغلب كتابات ابن خلدون في هذه الفترة، وحقق ابن خلدون فهماً عميقاً في الطبيعة الإنسانية، بالإضافة للسياسة في عصره، وانعكست هذه الحقيقة في الأوضاع التي اقترضاها والأراء التي عبر عنها في المقابلة محل البحث.

أما عن القائد المغولي تيمورلنك (١٣٣٩ - ١٤٠٥) فهو ينتمي للشعب الشاغاتاي، وهو فرع من الشعوب التي عاشت في السهول الصينية، وبعت اسمها على اسم أحد أبناء جنكيزخان (١١٦٧ - ١٢٢٧)، وأقام تيمورلنك، سلالة التيموريين، في الشرق العربي السلالة التي قضت على حكم الأتابكانيين، الأسرة التي أسسها هولاكو



العدد المائة وثلاثة - أغسطس ٢٠٠٧ م

كان العصر الذي عاش وعمل وفكر خلاله ابن خلدون - القرن الرابع عشر - واحداً من أكثر القرون في حياة البشرية تحولاً وانتقالاً. تحول وانتقال نحو التفكك والاضمحلال في العالم العربي.. وتحول وازدهار نحو النهوض والانبعث في العالم الغربي، أي تحول وانتقال بين منفتي البحر المتوسط، المكان والمجال الذي تنقل من خلاله ابن خلدون ما بين تونس والمغرب والأندلس ومصر.

حول عصر ابن خلدون وبمناسبة مرور ستمائة عام على رحيله، وفي إطار احتفاليين رعاها الملك خوان كارلوس، كتب مجموعة من الباحثين «الخلدونيين»، عدداً من المقالات والدراسات، وصفاً وتحليلاً لعصر الفيلسوف العربي/ العالي. تنشر ترجمتها العربية قريباً في كتاب يصدر عن مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع عدد من الهيئات الثقافية من بينها المنظمة العربية للثقافة والعلوم والجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر ومؤسسة التراث الأندلسي في إسبانيا. وتبدأ «وجهات نظر» في هذا العدد نشر بعض من تلك المقالات، مدركين حقيقة أن الاهتمام الفكري العالي بالرجل لم يكن إلا نتيجة طبيعية لما احتوته مقدمته من مقولات ونظريات يصلح جانب كبير منها لأن يطبق على الواقع الإنساني في عموميتة وشموله. ■

✶ المحرر ✶

■ كان اللقاء الأول بين عبدا الرحمن ابن خلدون وتيمورلنك سلطان المغول على أطراف دمشق في ١٠ يناير سنة ١٤٠١. وحدثت هذه المقابلة قبل موتهما مباشرة، وتشير عدة مصادر من هذه الفترة، بالإضافة إلى السيرة الذاتية لابن خلدون، إلى أن المقابلة الأولى والمقابلات التالية لها اختتمت في ٢٦ فبراير. استقر المخرج ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) في القاهرة، وعاش سنواته الخمس الأخيرة في الشرق. وقام بإداء الحج في سنة ١٣٨٧، وعاد للعاصمة المصرية في العام التالي، وفي القاهرة قصي أكثر من عقد، عمل خلالها بالتدريس فقط، حتى ٢٢ مايو سنة ١٣٩٩، حيث تم تعيينه قاضياً في هذا التاريخ، ثم طرد من هذا المنصب في سبتمبر سنة ١٤٠٠، وبعد شهرين استدعاء السلطان المملوكي الناصر فرج (١٣٩٩ - ١٤٠٥ - ١٤١٢) لينضم لجنته المتوجهة إلى سوريا. ولقد كانت الظروف المختلفة ليصاحب نفسه

ترجمة: أحمد بيل

السلطان الشهابي
بابريد مختار
كاسير أمام تيمور
لنك بعد معركة
أنقرة في سنة
١٤٠٢، المكتبة
لمريطانية - لندن



فقال لي: وما فعل معك؟ قلت كل خير، بر مقدمي، وأرغد فراي، وزودني للحج، ولما رجعت وفر حرايتي، وأقيمت في طله كنيسة، ورحمه الله وجزاه فقال: وكيف كانت توليتك إياك القضاء؟ قلت: مات قاضي المالكية قبل موته بشهر، وكان يظن بي المقام المحمود في القيام بالوظيفة، وتحرى العدل والحق، والإعراض عن الجاه، فولاني مكانه، ومات لشهر بعدها، فلم يرض أهل الدولة بمكانتي، فأدالوني

فحسنت حيث التفتيت ثم استدعى من مطاعته القاضي عبد الحبار بن المعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم، فأقدهم يترجم ما بيننا، وسألني من أين جئت من المغرب، لقضاء العرص ركبتي إليها الجبر، ووافيت مرسى الإسكندرية يوم الغطر سنة أربع وخمسين من المائة الثامنة، والمهرجات بأسوارها لجلوس الطاهر على تخت الملك، لتلك العشرة الأيام بعددها.

مبادرة سواء كانت من ابن خلدون أو شاه ملك القائد الشاغاني الممنول عن احتلال المدينة، وكان هدف تيمورلنك الاستمرار في غزواته في شمال أفريقيا ويبدو ذلك جليا من النقاش الذي دار بينه وبين ابن خلدون. كما أذا الأخير ذلك في سيرته الذاتية فلما دخلت عليه فاحتت بالسلام، وأوميت إيماءة الخضوع، فرفع رأسه، ومد يده إلى قبيلتها، وأشار بالجلوس

العباسية في سنة ١٢٤٨. وكان تحول الخول الشاغاني للإسلام بعد العقد الثالث من القرن الرابع عشر، ولكنه سرعان ما توغل في فزاع داخلتي انتهى بسيادة تيمورلنك، وبسقط سيطرته على مساحة واسعة ممتدة من الصين إلى سوريا. ومن الدريجان للشهيد، وقد تناقصت الأسطورة الشائعة عنه كحاكم بلا رحمة من إنشائه العديد من المساجد والمباني الأخرى في سمرقند وأصفهان وخلق الإلهام في المدرسة العادلية عند وصوله إلى دمشق. وقد كانت المدينة تحت تهديد حصار قوات الخول، وفي بداية يناير بعد عدة معارك غير ناجحة مع تيمورلنك، وتصديق شائعات عن بروز مؤامرات في غياب السلطان المملوكي، عاد الأخير إلى القاهرة، وانسحبت معظم القوات المملوكية، وزار برهان الدين والقاضي الحنبلي في دمشق معسكر تيمورلنك في ٧ يناير ليتفاوضوا على استسلام يحفظ ماء الوجه في مواجهة هزيمة حتمية، وحدث كل ذلك في ظل اندهاش أهل دمشق، وعاد برهان الدين في اليوم التالي مصحوبا هذه المرة بنبله من دمشق لمعسكر التنازل، وانضم ابن خلدون لهذه المجموعة في ١٠ يناير.

وكانت قد جرت المحادثات بين الشخصيتين، ابن خلدون وتيمورلنك، على مدار أيام متتالية، وبدأت المحادثات يجرى من حساباتها موقف المدينة كمدية تحت الحصار بعد ١٤ يناير، يحاول قادتها التفاوض على الاستسلام، وكان تاريخ الاستسلام الرسمي ٤ فبراير، على الرغم من أن قوات تيمورلنك لم تدخل قلعة دمشق حتى الخامس والعشرين، وشهد اليوم التالي المقابلات الأخيرة بين تيمورلنك وابن خلدون، وكان المخرج ابن خلدون قد غادر منطقة دمشق في ٢٧ فبراير، مما مكّنه من أن يشهد طرد قوات الخول من دمشق، وعلى الرغم من الثمن البالغ - مليون دينار طبقا لبعض المصادر - الذي سلمته السلطات المحلية لتأمين احتلال مسالم دون عنف، إلا أنه عندما وصل ابن خلدون إلى القاهرة في ١٧ مارس كانت العاصمة المملوكية مشغولة حتى سقف المسجد الأموي على الرغم من أن المقابلات بين ابن خلدون وتيمورلنك تكشف معلومات عن مميزاتهم، افترض القائد المغولي بوضوح أنه في موقع المسيطر على الشخص البارز المشهور بنزعته كدبلوماسي ابن خلدون الذي تم تعيينه ليستخلص شروط استسلام إيجابية لدمشق، وأجريت المقابلة الأولى في

يحدث تيمورلنك على عرشه، منمنمة من القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية - باريس



كتاب الزاوية



العرب وعلوم أوروبا عبد الرحمن بدوي

أبرز دور للعرب في تكوين الفكر الأوروبي هو في العلم بمختلف فروعها: الطب، والطبيعة، والكيمياء، والفلك، والرياضيات، والتاريخ الطبيعي، والفلاحة.

أما في الرياضيات فقد كان للعرب الفضل الأكبر لأنهم هم الذين أدخلوا النظام العشري في العدد، إذ كان اليونانيون إنما يستعملون في العدد حروف الأبجدية للعد من ١ إلى ٩٩٩، ثم يستعملون الشرطة والشوكة والنقطة للعد فيما بعد ذلك حتى آلاف الآلاف، وكان الرومان يستعملون سبعة أحرف من الأبجدية هي I - V - X - L - M - D - C وتدل على التوالي على ١ - ٥ - ١٠ - ٥٠ - ١٠٠ - ٥٠٠ - ١٠٠٠ ثم يضعون فوقها شرطة أقيفة تدل على أن العدد مضروب في ١٠٠٠. وجاء الهنود فاخترعوا نظام العد العشري وفيه تتوقف قيمة العدد على موضعه، فالعدد ٥ على يمين الواحد غيره على شماله وهكذا.

واستعملوا الصفر للدلالة على الخلو من الوحدة. وجاء العرب فاخترعوا طريقة لكتابة الأعداد هي طريقة «الفبار»، وهي التي انتشرت في المغرب ومنه انتقلت إلى أوروبا ولا تزال تستعمل اليوم فيما نسميه نحن الأرقام الأفرنجية. وما يسميه الأوروبيون بالأرقام العربية، وهي في الحقيقة عربية وليست أفرنجية، بينما ظل المشاركة من العرب يستعملون الطريقة الهندوستانية وهي التي لا تزال نكتب بها الأرقام في المشرق العربي حتى اليوم.

وقد دخلت الرياضيات العربية أوروبا على يد «ليوناردو بيزا» Leonardo di Pisa في القرن الثالث عشر.

فقط يفصل بين هجرتهم من السهول الصينية وظهورهم في بلاد ما بين النهرين، أو إيشاؤهم لقاعدة راسخة للحكم وضعت نهاية للتزاعات بين الحنابلة والشيعة في العراق. وهذه الإشارة الأخيرة هي موضوع واحدة من أكثر الإشارات تميزاً في السيرة الذاتية: «وقع في نفس لاجل الوجل الذي كنت فيه أن افاضوا في شيء من ذلك يستريح إليه، ويأمن به مني، ففأججته وقلت: أريدك، اللهم! لي اليوم ثلاثون أو أربعون سنة أضنى لقاءك. فقال لي الترجيمان عبد الجبار: وما سبب ذلك؟ فقلت: أمان، الأول أنك سلطان العالم، وملك الدنيا. وما اعتقد أنه ظهر في الخليفة منذ آدم لهذا العهد ملك مثلك، ولست ممن يقول هي الأمور بالجزاف، فأبى من أهل العلم. وأبين ذلك فأقول، إن الملك إنما يكون بالعصبة، وكثرتها يكون قدر الملك، وأتفق أهل العلم من قبل ومن بعد أن أكثر أمم البشر فرقتان: العرب والترك، وأنتم تعلمون ملك العرب كيف كان لما اجتمعوا في دينهم على نبينهم، وأما الترك ففي مزاجهم ملوك الفرس والأتراك ملوك أفراسياب خراسان من أيديهم شاهد بمناصبهم من الملك. ولا يساووهم في عصبيتهم أحد من ملوك الأرض من كسرى أو قيصر، أو الإسكندر، أو مختصر، أما كسرى فكثير الفرس وملكهم، وأين الفرس من الترك؟ وأما قيصر والإسكندر فملوك اليوم. وأين أهل بابل، والنبط، وأين هؤلاء من الترك، وهذا برهان ظاهر على ما ادعيت في هذا الملك.

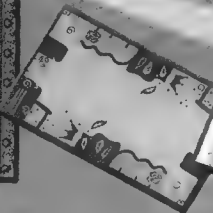
بدا في هذه المرحلة من حياة ابن خلدون عندما قابل تيمورلنك تحدياً ردياً هذا المورخ التوماني الأندلسي الأصل من المول وفاندنهم كرموز لقوة وسلطة الدولة القادرة على دعم القوة السياسية للمجتمع. لقد لاحظ ابن خلدون على مدار حياته هشاشة الهياكل السياسية في العالم العربي لهذه الفترة، من الأندلس ومغارب أفريقيا إلى الشرق، حيث كانت هذه الهياكل هشة مقارنة بالفراتر الساسانية، وترجع هذه الهشاشة إلى تقاسم القوى السياسية، وبعبارة ذلك ابن خلدون في عدم القدرة على تجديد العصبة أو شعور الجماعة بضرورة خلق دولة فعالة، فقد تمت إقامة دولة الإسلام بعد العرب بواسطة جماعة اجتماعية غير عربية، ويمكن القول إن الأتراك العثمانيين أيضاً سيأخذون هذا الطريق بعد ذلك كما هو مفهوم من سياق التحليل التاريخي لابن خلدون. ■

منها يغري جزامهم الله. فقال لي: وأين ولدك؟ فقلت بالعرب الجواسي كانت للملك الأعظم هنالك. فقال وما معنى الجواسي في وصف العرب؟ فقلت هي في عرف خطابهم معناه الداخلي، أي الأبعد، لأن المغرب كله على ساحل البحر الشمالي من جنوبيه، فالأفريقي إلى هنا برقة، وأفريقية، والمغرب الأوسط، تلمسان وبلاد زناتة. والأقصى فاس ومراكش، وهو معنى الجواسي. فقال لي: وأين مكان طنجة من ذلك المغرب؟ فقلت: هي الزاوية التي بين البحر والمحيط، والخليج المسمى بالزقاق، وهو خليج فاس، على الشامي، فقال: وسبب؟ فقلت: على مسافة من طنجة على ساحل الزقاق، ومنها التعمية إلى الأندلس، ولرب مسافتها، لأنها هناك نحو عشرين ميلاً. فقال فاس؟ فقلت: ليست على البحر، وهي في وسط التلول. وكسرى ملوك المغرب من بني مرين، فقال: وسبب؟ فقلت: على قلت: في الحد ما بين الأرياف والرمال من جهة الجنوب، فقال: لا يقتضي هذا، وأجب أن تكتب لي بلاد المغرب كلها، فاصبها ودانيتها وجبالها وإنهاره وفراة وأصماره، حتى تأتي أشاهده، فقلت: يحصل ذلك بسعدلك.

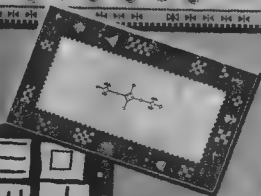
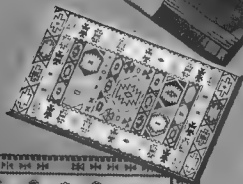


وتشير العديد من الكتابات لهذه الأحداث التي حدثت في المفاوضات وتركها لنا ابن خلدون، نظراً لمرعته بالعلم أو التثقل. كما فضل أن يسميهم خلدون وغيره آخرون تيمورلنك باستمرار لبعض الاعتراف بسبل خليفته بعبادة، ذلك الاعتراف الذي حصل عليه الأخير من الملوك البيبريين، وفي فترة أخرى من سيرته الذاتية في رسالة خاطب فيها سلطان المرينيين، كتب ملخصاً حول معرفته عن تيمورلنك والمول، بينما كان يعرض وصفاً مختصراً لتجاربه في إقامته المؤقتة في دمشق أثناء الشهر الذي قضاه مع تيمورلنك قبل أن يسمح له بالعودة لصر، ويشهد العديد من الكتابات على معرفة ابن خلدون الموسوعية الكبيرة للمول، وكانت الإشارات للمول وانتشار متكررة أكثر في سيرته الذاتية من المقدمة، حيث أعطى ابن خلدون للتأثير أهمية أقل في الأخيرة: فتكلم عنهم من حيث دورهم في إسقاط القوة العباسية وقوة السلجوقية في بغداد، كذلك عن أن هناك جيلاً واحداً

سندھ کے نثر و نثری ، نثری الاچل



دو اسات حمام



قطع موکیت



متواجد في مراكز بيع بواقی

سجاد أطفال



مدير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

أداة صلي

www.mascarpet.com

القاهرة

٢٠٥٠

دعوة للحوار

منذ إنشائها قبل أكثر من ألف عام، أصبحت القاهرة مركز الثقل التاريخي والسياسي والثقافي والاقتصادي والعمراني لمصر. وعبر التاريخ أدى تركيز السلطة وكافة الخدمات والمرافق الكبرى فيها إلى تضخمها بصورة كبيرة.

وتتمثل التحديات الحالية التي تواجهها القاهرة نتيجة الزيادة السكانية وغياب التخطيط في كيفية التعامل مع التضخم الكبير الذي تم بصورة غير مخططة في مساحة الإقليم وتخفيف الضغط الشديد على مرافقه وسرعة تحسين الوضع البيئي المتدهور وتحسين الحركة المرورية ومواجهة التأثيرات السلبية الواضحة على التنمية الاقتصادية. كما أن هناك حقيقة تؤكد أن القاهرة كإقليم لا تمثل وحدة إدارية واحدة، لكنها مقسمة على ٢ محافظات و٩ وزارات و٤ هيئات اقتصادية، الأمر الذي له خصوصيته، كما أن له إشكالياته:

أباً ما كان الأمر يبقى أن التخطيط لقاهرة المستقبل، ومع التسليم بأنه لا يصح بأن يكون حكرًا على جهة بعينها يطرح أماننا (جميعاً) تحديات وأسئلة كثيرة.. ربما من أهمها:

١ - ما هو الحجم الذي ينبغي أن يتوقف عنده الإقليم؟

٢ - ما هي اتجاهات النمو التي ينبغي السماح بها؟

٣ - هل يتم التحكم في نمو الكتلة العمرانية القائمة وعدم السماح بنموها أم يتم السماح بنموها حتى تلتنع بالمدن الجديدة؟

٤ - كيف تتم خلطة الكتلة القائمة؟

٥ - هل من الأفضل التوسع في المدن الجديدة وتتميتها؟

٦ - هل تتم إدارة الإقليم الكبير ككيان إداري واحد؟

٧ - هل يتم إنشاء جهاز تنفيذي يضم مجلس إدارته المحافظين الثلاثة، أم يتم تقسيمه إلى عدد أكبر من المحافظات؟

٨ - ما هو الأسلوب الأمثل لتخصيص الأراضي داخل الإقليم ومراحل التنمية التي ينبغي الالتزام بها ونوعيات وبرامج الإسكان المراد توفيرها في المناطق الجديدة، والإستراتيجية التي سيتم اتباعها للتعامل مع المناطق العشوائية القائمة؟

٩ - كيف يتم التعامل مع الواجهة النيلية ووضع الجزر النيلية؟ هل يتم الإبقاء عليها كما هي؟ أم يتم تحديد استعمالات أخرى لها (ترفيهية - مناطق مفتوحة - تنمية...)?

١٠ - كيف يتم التعامل مع المصارف الموجودة في قلب الكتلة العمرانية؟
١١ - ما هي الوظيفة الاقتصادية التي ينبغي أن يكون عليها الإقليم

لزيادة قدرته التنافسية على مستوى الشرق الأوسط والعالم؟
١٢ - وبعد ذلك كيف تضمن الحلول المقترحة للحفاظ على

التراث الحضاري والتاريخي للقاهرة؟

ولا ننشأ جميعاً على أن الأرقام والمعلومات يمكن أن تشكل بداية جادة لحوار عميق وهادئ حول هذه القضية التي لا يمكن أن تستأثر حكومة بعينها بصلاحيات وضع حلول نهائية لها، تدعو «وجهات نظر» المهتمين والمتخصصين في هذا المجال إلى الكتابة إليها إثراء للحوار.

المحرر



كل الخيارات مفتوحة

أحمد المغربي



الوزير أحمد المغربي

طرق، بل إنها مناطق جديدة للتنمية وتجري دراستها على هذا الأساس. ونأمل أن تتمكن من نقل السكان أو قدر كبير من الزيادة في السكانية إلى تلك المناطق الجديدة. كما بدأنا برنامجاً لإقامة قرى جديدة بالقرب من القرى القديمة لوقف زحف المباني على الأراضي الزراعية.

وبينما تحدث إليكم، لدينا بالفعل ٢١ قرية كل منها قادرة على استيعاب ١٠ آلاف شخص على مر السنين، ونحن نستهدف بناء حوالي ٤٠٠ من تلك القرى لتستوعب حوالي ٤ ملايين شخص في السنوات المقبلة حتى العام المستهدف وهو ٢٠٢٢. كما أننا نزيد المعدل الذي تنمو به المدن العمرانية الجديدة والمجمعات الجديدة كي تشجع الاستيطان هناك بمعدلات أسرع لتخفيف الضغط بشكل فعلي عن القاهرة

فيما يتعلق بتطور القاهرة على مدى التاريخ نجد أن مساحة القاهرة في عام ١٩٠٠ الثنين وأربعين كيلومتراً مربعاً فقط وكانت تغطي ١٥ مليون نسمة.

وبعد خمسين عاماً كانت ١١٠ كيلومتراً مربعاً وتغطي ٥ ملايين نسمة. وفي عام ٢٠٠٠ كنا نشكل مساحة مساحتها ٥٢٥ كيلومتراً مربعاً وكان لدينا ١٣.٥ مليون نسمة. وفي الوقت الحالي تغطي القاهرة ٢٢٢٠ من إجمالي عدد السكان (٢٢٪) من عدد سكان المناطق العمرانية. ومن بين ٢٢٢ مدينة في مصر، تغطي مدينة واحدة ٣٣٪ من سكان المناطق الحضرية. وهذه أرقام مقزعة. ونحن نبحث أسباب ذلك. نجد أن ٢٥٥ من الأماكن بالمجاعات موجودة في القاهرة، و١٤٪ من أسرة المستشفيات موجودة في القاهرة الكبرى، و ٤٠٪ من الصيدليات موجودة في القاهرة الكبرى، و ٤٣٪ من إجمالي الوظائف العامة والخاصة متوفر في القاهرة الكبرى. وهذا رقم شديد الخطورة في الوقت الحاضر. وليس مستغرباً أن القاهرة الكبرى كانت ولا تزال منطقة جذب كبيرة بالنسبة لكل هؤلاء

العدد للمائة وثلاثة - أغسطس ٢٠٠٧ م

نتفق على أنه في وقت ما في مستقبل هذا البلد لا يد من محاكمة هذين القانونيين ونسيان أن المجتمع وافق عليهما في يوم من الأيام.

كما قلت من قبل، لا بد أولاً أن تكون لدينا رؤية ويجب أن نضع هذه الرؤية معاً. ولكن قبل أن ندخل في الطريقة التي يتم بها وضع هذه الرؤية، سوف اتطرق إلى بعض الإستراتيجيات التي نتمتعها الآن. لا أريد أن يكون لديكم إحساس بأننا ما دمنا نتحدث عن عام ٢٠٥٠ فمفني هذا أننا سنوكل كل شيء وننتظر حتى عام ٢٠٥٠ قبل أن نبدأ في معالجة الوضع. بل الواقع هو أننا نعمل الآن على مسارين.

المسار الأول هو تحسين نوعية مناطقنا العمرانية في الوقت الحالي. ونحن نضع لأول مرة خطط تطوير شاملة لحافظات مصر ومناطقها المختلفة. ويجري الشيء نفسه بالنسبة لكل مدن مصر. ولدينا حوالي ٢٢٢ مدينة. وكذلك بالنسبة للقرى. وهي المرة الأولى في تاريخ البلاد التي يكون فيها أي نوع من الخطط العمرانية للقرى. إن لدينا ٤٦٧ قرية ولأول مرة سوف يكون لدينا خطط لها. لم يسبق أن جرى تخطيط قطاع أحد الريفي من قبل. ولا يمكن أن يصدق أحد على الإطلاق أنه في عام ٢٠٠٠ لم يكن قد جرى أي تخطيط للمناطق الريفية. لقد خطه المواطنون تحيطاً علياً ولم يكن هناك تخطيط على هذا القطع. هذا كله يتغير الآن. فنحن الآن في منتصف الطريق تقريباً نحو الانتهاء من وضع خطة تنمية حضرية لكل قرانا. وقد تأخرنا في ذلك حوالي ٥٠ و ١٠٠ عام. غير أننا قد بدأنا على أقل تقدير.

المسار الثاني هو التعامل مع المناطق العشوائية القائمة بالفعل، حيث لدينا خطط لتحديد مجتمعاتنا الريفية. ولا أريد أن أخلق تضالاً هنا بل أن أري حكومة، بما في ذلك هذه الحكومة. سيكون باستطاعتها إحداث أي أثر كبير

■ ■ ■ سوف يقول البعض، لماذا ٢٠٥٠؟ أحد الأراء الطريفة التي سمعتها هو أن وزير الإسكان يحاول ضمان بقاءه في منصبه حتى عام ٢٠٥٠. وحقيقة الأمر هي أنني أتطلع فقط إلى عام ٢٠٤٠، مما يؤكد عدم صحة هذا الرأي.

كانت القاهرة عاصمتنا طوال الألف سنة الماضية. وكل أنشطتنا، الاقتصادية والسياسية وسائر الأنشطة جميعاً - تتركز في منطقة القاهرة الكبرى. وهو ما أدى إلى هذا النمو الضخم للقاهرة بمعدلات أعلى من معدلات زيادة عدد السكان لدينا. وفي عام ٢٠٠٤، أدركنا أن هناك مشكلة كبيرة في تدهور بيئتنا العمرانية. وأحد أسباب ذلك قانون تجريم البناء على الأراضي الزراعية، وهو القانون الذي بدأ عند تقديمه وكأنه شيء نشارك فيه جميعاً. وهو عدم السماح بمزيد من التنمية العمرانية على أرضنا الخضراء، أي أرضنا الزراعية.

واليوم يمكننا أن أقول لكم إذاً إننا بدأنا بتحويل - ليس الأثر الأولي للقانون - فحسب، بل كذلك الأثر اللاحق له. فحسب نجد أن القانون لم يكن جيداً بالقدر الذي بدأ عليه في أول الأمر. ويمكن أن نضيف ذلك إلى قانون آخر كان المجتمع سعيماً عندما جرى تقديمه لأول مرة، وهو القانون الذي حدد الإيجارات التي يمكن بها التعامل في الشقق والبيوت في السوق وثبتت تلك المعدلات وسمة أخرى أصبح لدينا عجز في الإسكان نتيجة لهذا القانون. في أوائل الستينيات، سمعنا جداً لبرؤية الإيجارات التي تنخفض، ولكن إذا نظرنا إلى ما يحدث اليوم فاعتقد أننا جميعاً

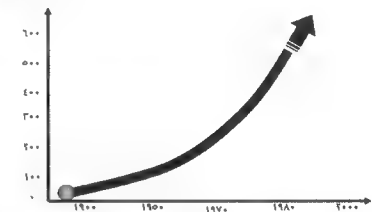
محاصرة ألقاها وزير الإسكان المصري باللفة الإيجارية أمام غرفة التجارة الأمريكية بالقاهرة الشهر الماضي

ترجمة: أحمد محمود

تطور الكتلة العمرانية لإقليم القاهرة الكبرى



- الكتلة العمرانية ١٩٠٠ ٤٢ كم^٢ عدد السكان ١,٥ مليون
- الكتلة العمرانية ١٩٥٠ ١٢٠ كم^٢ عدد السكان ٥ مليون
- الكتلة العمرانية ٢٠٠٠ ٥٢٥ كم^٢ عدد السكان ١٣,٥ مليون



تضاعفت الكتلة العمرانية للإقليم خلال العقود الثلاثة الأخيرة بنسبة ٢٧٠ %

خارج القاهرة، أخيراً لدينا الموقع، وهو مقابل للقاهرة الحديثة. وهناك لجنة تعمل على تخطيط الموقع ومن المنتظر أن ينتهي بنا الحال بمدينة حكومية من الطراز الأول تتصل مباشرة بالقاهرة الجديدة. وسنعمم جميعاً مؤخرًا عن تطوير كامل لمنطقة شمال الجيزة وتبين لكم الخرائط الصرّح بين المناطق المخططة تخطيطاً سليماً وتلك المخططة تخطيطاً أهلياً، فمنطقة المهندسين بالكامل كانت مخططة في الخمسينيات بواسطة وزارة الأوقاف، وترون بعد خمسين عاماً أنها لا تزال تبدو منطقة مناسبة إلى حد ما والآن انظروا ماذا جرى للمنطقة المجاورة لها، منطقة شمال الجيزة أو منطقة إمامية وما حولها. وهذا أمر خيب، ليس أمامنا طريق لدخول سيارات المظاف إلى هؤلاء الناس، وليس أمامنا طريق لتوصيل خدمات الإنقاذ إليهم، وليس هناك طريق لإيصال وسائل المواصلات المناسبة. وليست هذه هي البيئة التي سوف يفتل مصريو القرن الحادي والعشرين أن يعيشوا فيها ولا بد أن نعمل الآن لأن هذا ليس بالامر الذي يظل هادئاً إلى الأبد. لقد درنا تجارب الدول الأخرى لتحديد إستراتيجيتنا للتنمية والتخطيط للمناطق المتدهورة عمارياً، واكتشفنا أن الطريقة التي تناسق قدرتنا المالية هي دخول تلك المناطق الرئيسية وبعض تلك المناطق

لم يعد بإمكاننا الانتظار حتى نرى الوضع التناقصي مركز نشاطنا التنموي الرئيسي يتدهور إقليمياً ودولياً. لا بد لنا من تصحيح هذا الوضع. إن لدينا أكبر الموارد البشرية في هذه المنطقة، وربما مورد من أكبر الموارد البشرية على المستوى العالمي. ولا بد لنا في الواقع من الحصول على رأس المال لتستفيد من هذا المورد شديد الأهمية. ولا يقتصر الأمر على المال، بل يشمل كذلك مستويات المعيشة، وأطفالنا جميعاً لنا الحق في الحياة في مدينة نظيفة، ومدينة يتحرك فيها المرور بسرعة مقبولة، ومدينة لا يوجد بها مستويات خطيرة من التلوث، هذا هو حق كل واحد منا. ومن واجبتنا كذلك أن نمرر معاً في طريقة لجعل الخطة تتجج. عندما نتحدث عن عام ٢٠٥٠ هناك دائماً احتمال، كما قلت من قبل، أن الحكومة قدمت هذه الخطة حتى إذا ما ذهبت لتجدد معها هي المشكلة سوف تقول لك تعامل وتحدث معي في عام ٢٠٥٠ لأن تلك خطة طويلة الأمد. ولكن الأمر ليس كذلك، فأنا سوف أضع أمامكم عينة من بعض المشروعات التي يجري تنفيذها في القاهرة الكبرى الآن كي أعطيكم الثقة في أن هذه ليست طريقة تكتفي من الحكومة للهروب من مواجهة المشاكل الموجودة حالياً والتي يجب علينا مواجهتها دون انتظار. سمعتم جميعاً عن نقل الوروات إلى

الصحي، والطرق، وبالقى الخدمات، وبالمنااسبة، يدافع هذا المجتمع أربعة أضعاف لتكلفة تلك الخدمات في المناطق غير المخططة مقارنة بالمناطق المخططة. ولو كان تخطيطنا قد سبق البناء، لكنت تكلفة البنية التحتية التي يتحملها المجتمع لا تزيد على ٣٣٪ مما يتكلفه المجتمع الآن لتوفير البنية التحتية الضرورية في تلك المناطق العشوائية. والكومعة لا تدفع، بل أنتم من تدفعون. وأنتم الآن تدفعون ثلاثة أضعاف ما كان يمكن أن تكون عليه التكلفة لو أننا قمنا بالتخطيط قبل البناء. ولكن هذا لم يحدث للأسف، وبالنسبة للمتدهور البيئي، فإننا جميعاً لدينا قصص مرعبة يمكن أن نخبركم بها. وبالنسبة للمرور، وجد، اظن أنني سمعت ما يكفي من القصص المرعبة اليوم فقط بحيث إذا سمعنا لهدد القاعة بالهديت عن المرور فسوف نطل هنا حتى عام ٢٠٥٠ ولن نحزروا أي تقدم شأن هذه الخطة. لقد صدمنا جميعاً عند سماعنا عن الشركة الأمريكية الكبيرة التي قررت نقل مقرها الرئيسي من الولايات المتحدة إلى دبي. أنا شخصياً صدمت بعض الشيء. فقد كان يجب أن تكون مصر هي المكان الطبيعي لتلك التوسعات في المنطقة. إننا بكل تأكيد نفقد مؤلفنا التناقصي، وهذه مسألة تتعلق بمستقبلنا المالي كمجتمع. فليس من الترف الحديث عن القاهرة الكبرى في عام ٢٠٥٠. ذلك أنه

المواطن من كافة أنحاء البلاد كل هذا التكلس يؤثر بالضرورة على البنية العمرانية لعاصمة البلاد

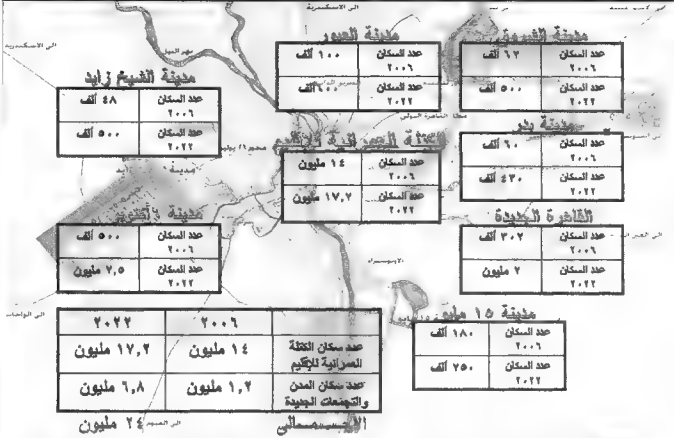
إذا تركنا الوضع على ما هو عليه، فمن المحتمل أن نعيش في عام ٢٠٢٢ في مدينة تصم ٢٨ مليون نسمة. أنتم تشكون اليوم، ولكن انظروا حتى عام ٢٠٢٢ وسوف ترون كيف سيكون الحال. لا بد أن نفعل شيئاً، فهذا ليس خياراً وليس شيئاً يمكن أن نصبر عليه، إذ لا بد أن نتحرك الآن لأننا سوف نواجه مشاكل شديدة الخطورة إن لم نفعل شيئاً. ومع ذلك فإن أهدافنا وخططنا متواضعة.

وإننا لا أقول إنني ينبغي علينا التحرك الآن لإبقاء عدد السكان عند معدل ١٦ مليوناً. بل إنني أأمل فقط أن تتمكن من احتواء الزيادة في عدد سكان القاهرة الكبرى ليصبح ٢٤ مليوناً بدلاً من ٢٨ مليوناً. وهذا رقم ضخم، ولكنه هدف جيد، وهدف يمكن التعامل معه ويمكن التخطيط بلوغه.

فماذا عن النمو السكاني للمناطق غير المخططة هناك ضغط مبالغ فيه على البنية التحتية في المناطق غير المخططة بما هي ذلك المرافق. وعندما يصل الناس إلى هناك نضطر إلى تزويدهم بخدمات مياه الشرب، والصرف

العدد المائة وثلاثة. أغسطس ٢٠٠٧ م

الوضع الراهن والمتوقع لسكان إقليم القاهرة الكبرى طبقا للمخطط المعتمد



الوضع الراهن لإقليم القاهرة الكبرى عام ٢٠٢٧

عدد سكان الكتلة العمرانية لإقليم حاليا ١٤ مليون بالإضافة الى

١,٢ بالمدين الجديدة المحيطة

يضم الإقليم ٢٢% من اجمالي سكان مصر

يضم الإقليم ٤٣% من اجمالي سكان الحضر

يتمركز بالإقليم:

- ☐ ٥٥% من أماكن التعليم الجامعي
- ☐ ٤٦% من اجمالي أسرة المستشفيات
- ☐ ٤٠% من الصيدليات
- ☐ ٤٣% من فرص العمل بالقطاع العلم
- ☐ ٤٠% من فرص العمل بالقطاع الخصب

العدد المائة وثلاثة. أغسطس ٢٠٠٧ م

مدينة المدينة المغلقة!

إيريك دينيس

مسطحاً مساوياً لا يزيد على ثلث المدينة والصواحي الحائلية التي جرى تشكيلها وإعادة تشكيلها على امتداد ألف سنة نشأت عشرات المجتمعات الفاخرة ذات البوابات التي تصاحبها ملاعب الجولف ومدن الملاهي والعيادات والجامعات الخاصة على الطريق الدائري مثل أحوالها مراكز التسوق (المولات)، على خلفية المنطقة الحضرية، المحصورة، المدسجة بشدة، وضع ذلك النموذج للمدينة، الأسبوعية، غير النشطة الكثيفة التي حلها الحرفاء والشرقيون، جنباً إلى جنب أفق مدينة جديدة أشبه بلوس أنجلوس، تقاس من الآن فصاعداً طبقاً لسرعة السيارة، ويتميز هذا البعد الجديد للقاهرة بهروب النخب الحضرية الأمر الذي جعل تخفيف اكتظاظ المركز الحضري أكثر وضوحاً. ويتناغم إعادة التشكيل الجذري هذا لمنظر العاصمة، التي يدعوها من يروجون له إلى النظر إليه على أنه لهضة عمرانية، تنافساً لثاماً مع مؤشرات التحضر الاقتصادي والتكيف الهيكلي الذي يحركه صندوق النقد الدولي.

ولكن ثبات المجتمعات ذات البوابات، فإنها تحمي الحرافة الشائعة الخاصة بالمدينة الكبيرة التي يمكن أن ينس المرء فيها نفسه في الهائل المنزلي المخصص وسائل الإعلام على مستوى عالمي، وتتحقق تلك الحرافة، ويستغل المروجون أكثر وأكثر وصمة «الشارع»، التي تنشرها وأخيراً العاصمة العربية باضتبارها مصمماً للمخاطر الإرهابية التي هي بالضروة «إسلامية»، وبالإضافة إلى كون الخطر الإسلامي مرفوضاً، فالسلطات المصرية تستغلها لتفكك التحدي السياسي، بينما تشجع شكلاً بعيثاً من أشكال إعادة الهيكلة الاقتصادية. فالتنظيم الحالي يعيد توجيه إلحاح القائلين ومصالح النخب المصرية المباشرة وينقلها من خلال تأكيد أنساق السوق والأنساق الأمنية، التي تعد المجتمعات ذات البوابات ملحقاً من ملامحها.

في إطار هذا المنظور إلى أن تبدو المجتمعات ذات الأبواب نافذة مبرزة على واقع التحضر في مصر. ويسمح تحليل هذه المستويات بعيش المدينة الخاصة تفرض بها آليات التحكم في المخاطر الاستيعاب الاجتماعي (الجانب العكسي للنوعية) وكيفية تحديثها للمخاطر نفسها. فالمدينة الحضرية

السادس من أكتوبر، بعيداً جهة الغرب على هضبة صحراوية. وقد بقيت روجته وأولاده الذين لم يهاجروا إلى العاصمة في قريتهم بالقرب من المنصورة بالذلتا، لم تذهب زوجة أحمد المنصوري إلى القاهرة منذ أكثر من أسبوعين، إنها تأتي فقط لزيارة ابنة عمها في «يوتوبيا»، ذلك المجتمع القريب ذو البوابات، إنها تأتي متأخرة لأخذ أطفالها بعد الفطرة التي تشنها على مركز التسوق. وما هم قد عادوا من قضاء فترة بعد الظهر في مدينة الملاهي بصحبة ماريا الخادمة الحبيشة، يلعب الأطفال الآن في حمام السباحة في حراسة محمود فرد الأمن. وتعرف ماريا، الخادمة الحبيشة، أنها سوف تعود إلى غرفتها، وهي غرفة صغيرة بلا نوافذ خلف الطبخ، ولكن في وقت لاحق من ذلك المساء، وما هم قد الصيغ، سوف يكون عليها المساعدة في الطهي بعد وضع الأطفال في أسرهم.

بهذا السرد الروائي نصل إلى الهضاب الصحراوية المحيطة بالمدينة وضواحي القاهرة، فنحاذي الشرق ونحاذي الغرب، ومنذ اثنتي عشرة سنة أو يزيد، أدى الترويج لإنشاء المباني السكنية الخاصة إلى تملك مساحات شاسعة من الفضاء العام، بحيث باتت في أيدي مقاولي التنمية العقارية. والواقع أن أكثر من مائة كيلومتر مربع تحت الإنشاء، أي أن

التجارية، فهو لم ينجح ذلك الاحتكار المهم للأيس كريم، وضاعت منه فرصة شراء إحدى العمارات السكنية، وتظل كلمة «السر» الخاصة به هي «المخاطر»، ربما كان الأمر بسبب ذلك الانخفاض في قيمة العملة الذي لا يعرف أحد منه مخرجاً، أو من جراء اختفاء العملة الصعبة، ومن حسن الحظ أنه حصل على عقد توزيع محترم مع سلسلة فنادق دولية لشراء كرتونات الحليب التي يبعثها في مصنع الصغير، وسوف يكون عليه الذهاب إلى هناك غداً لتسريع الإنتاج قبل الذهاب إلى المكتب، يكاد لا يكون لديه الوقت الكافي للاتصال بابته الذي يدرس بالسنة الثالثة بدمرسه الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن، ولكن داخل سيارته تلالشي القلق وهو يتبعد عن وسط مدينة القاهرة ماراً بالأهرام إلى داخل الصحراء، ويصل السيد المنصوري بعد ذلك إلى بيته، حيث يعبر بوابات مجتمعه السكني الجديد ديم لاند.

هناك يمر على أبي محمود، حامل أدواته المعتاد عند لعب الجولف، فقد أنهى يوم عمله ويتنظر التلفزيون الذي يأخذه إلى شقته الصغيرة ذات الأربعين متراً مربعاً التي يشاركه فيها حوالي عشرة آخرين من الجرسولات والعمال الذين يقيمون في أقدم أحياء مدينة

■ لن يعطل المرور أحمد أشرف المنصوري كثيراً هذا المساء، فضاءه لا تطير له في تخليصه من اضطراب وسط المدينة من خلال الطرق المتوية فبعد أن يطلق السائق العنان لسيارته ويغمر للشهر، يصعد الملح ويدخل في الطريق الدائري العلوي الجديد، يتجه بسرعة نحو الحي المدينة الجديدة ذات البوابات في مستوطنة السادس من أكتوبر التي كانت ثورية في يوم من الأيام. ويدور إلقاء ولو حتى نظرة خاطفة، يمر السيد المنصوري فوق ذلك العالم غير المعروف الذي تجمع الملاحون في كوك مقعد لتعاهي من الطوب الأحمر والنفايات والمساكن التي بنوها بأنفسهم ومشروعات الإسكان القديمة التي أقامتها الدولة. وعندما يخطر بباله أن يدير راسه، فإن ذلك يكون لتأكيد أنه قام بالاختيار الصحيح في الانتقال بعيداً عما يهتبه عالم متخلفاً ما زال ميتاً على مصر، ذلك العالم الذي يحطم من قدر صورة القاهرة ويؤذيها فهو يعرف أنه التحقق مرة أخرى بمستقبل مصر. ويظن أن هذا الجمع قد يتحول في أية لحظة إلى حشد مشير للنخب يدفعه من يعرف ما الذي يجعل خطبة الشيخ الرثاءة تحرك الناس.

لم تكن حرارة الجو أو ضجيج الشوارع شديدة الزحام يهتق سيارته مكيفة الهواء. ويذكر أحمد أشرف المنصوري في جولته جولة، تتبعها مناقشة في المبنى الاجتماعي بالنادي مع صديقه ياسين الذي يعمل بوزارة المالية، ثم تشية قصيرة إلى البيت، ها هو ضغط يومه العصبي يخف بالفعل. منذ الثامنة صباحاً بدأت الحيلالات تنتاب أحمد وهو ينظر من خلال نوافذ الطابق الحادي عشر في مركز التجارة العالمي المشرف على وزارة الخارجية ويطل على الكورنيش المحاذي لنهر النيل، إنه يمر بصداقة في معاملاته من كتاب.

Cairo Cosmopolitan Politics, Culture, and Urban Space in the New Globalized Middle East (القاهرة الكونومبوليتانية) Edited by Diane Singerman and Paul Amar AUC Press, Cairo- New York

ترجمة: أحمد محمود

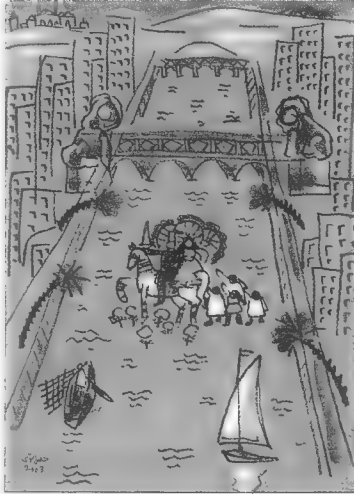
تجد العاصمة المصرية المولمة نفسها الآن عند نقطة عدم استقرار، حيث تتأرجح بين المجتمع الذي تؤدي فيه النزعة القدرية واللعن دوراً مهماً في إدارة الأزمات والكوارث، ومجتمع المخاطرة، الذي يتميز بعدم اليقين



الدفاع عنها، لأن التشدد السياسي والمارسات المستبدية تتزايد، ولكنها تعزى باستمرار إلى التامر الأجنبي، مع إنكار ظهور جهنم وثنى العكاسي. ويصور المناقشات الداخلية (١٩٩٢). وفي هذا السياق تظل المخاطرة هدفاً متناقضاً ينتج معايير استيعادية. بينما يستحوذ من جديد على خرافات الأسلاف ومعقداتهم وعقاد صناعتها من أجل السيطرة على الأشكال الحائلية من الاحتكار السياسي واستقراره المجتمعات ذات البوابات أحد أكثر منتهجات هذه الحياة الجديدة من المخاطرة واحتكار السياسة لنفساً للانزواء وكشفاً عن بوطن الأمور. فهي تكشف عمليات الإخلال بنظام اصنام المعيشة والمعاصرة في المدينة، أي ديناميكيات إضفاء الطابع المكاس على النظام الأخلاقي، الليبرالي الجديد وتبريره من خلال خطاب المخاطرة (بارك ١٩٩٦).

وقد أشعل تقديم الدولة لأسلوب حياة استيعادي جديد قبيل الانحصر، فممنذ عام ١٩٩٤، عندما بدأت وزارة الإسكان بيع قطع أراضٍ على نطاق واسع في الصحراء المتاخمة للقاهرة، تجاوز عدد وحدات مشروعات الإسكان الصالح قدرة لسوق الاستيعابية بسرعة كبيرة وتضم منطقة القاهرة الكبرى عدداً محدوداً من أسر الطبقة المتوسطة؛ ففي الوقت الراهن لا يتجاوز عدد الأسر التي تتجاوز بمقاتها التي جنيه (٣٣٠ دولاراً بأسعار ٢٠٠٥) شهرياً ٢١٥ ألف أسرة وتبلغ نسبة هؤلاء ٩٥ بالمائة من السكان الأكثر ثراءً. ومع ذلك فإنه في هذه السوق المحدودة، تملك ٣٢٠ شركة الأراضي وأعلنت عن مشروعات يبيع إجمالي عدد سكانها المقيمين المثالية في ساكني. وفي السنوات التالية للانحصر الاقتصادي أقيم أكثر من ثمانين مشروع عقارية ذات بوابات، حيث بيعت قطعاً كبيرة قبل إنشائها، واستقرت أوائل الأسر. وفي عام ٢٠٠٣، وسد طرحت تلك الشركات حوالي مائة ألف وحدة سكنية من الفيلات والشقق في السوق فمن أين ستأتي هذه الأسر الغنية كلها؟

يؤتويها، مرتعات المعاصرية، بغرلي هيلز، بل هيلز، بل فيل. مينا جاردن سيتي، دريم لاند، هذه بعض المجتمعات ذات البوابات



ويحيى هذا التحديد كذلك التعارض الإسلامي التقليدي بين الفلاح والحضرى. وبين المجتمعات المستقرة والمجتمعات البادية. تجد العاصمة المصرية المولمة نفسها الآن عند نقطة عدم استقرار، حيث تتأرجح بين المجتمع الذي تؤدي فيه النزعة القدرية واللعن دوراً مهماً في إدارة الأزمات والكوارث، ومجتمع المخاطرة، الذي يتميز بعدم اليقين. ويصبح من المستحيل فيه أن يعزى الشك إلى أسباب خارجية أو لا يمكن التحكم فيها. والواقع أن مستوى المخاطرة يتوقف على القرارات والاختيارات السياسية، فهي تنتج على نحو صناعي وعلى نحو اقتصادي، ولذلك تصبح انعكاساً من الناحية السياسية. تغبر أن مصر من منظور أورليك بك التحليلي تدركنا بأن حلول التحديث لا يمكن

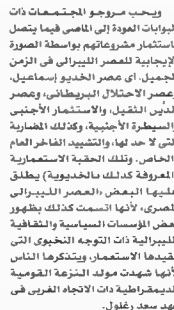
عشوائية، المشتقة من الكلمة العربية «عشوائى» وهو ما يدل على المصادفة، في بداية التسعينيات من القرن العشرين لوصف الأحياء الفقيرة المزخمة بالمساكن المتواضعة، ومدن الضيق، ومدن الفقراء التابعة التي قامت بواجهه الدائى، أى تلك الأحياء غير القانونية وغير المنسوبة، وبحلول نهاية التسعينيات باتت هذه التسمية لا تعبر الفضايات فحسب، بل وسكان تلك الفضايات كذلك، حيث يشمل ذلك ما يقارب أغلبية المدينة باعتبارهم أشخاصاً تجمعهم المخاطر، وخطين، وضالين. وصورة الشخص الصالح أكثر ما يخيف هذا المجتمع الحضرى. فقد كان الفلاح، الذى يُنظر إليه على أنه الصورة مهمة الملامح لذلك المهاجر القادم من الريف الذى كان يملك عاملاً زراعياً، ولا يزال يخيف المجتمع الحضرى.

وأولويات الأمن تُعكس لمصلحة مستعمرات الضواحي الصحراوية؛ فهي مواقع دفاعية حصينة في مواجهة لعاصمة الضاحية. وفي وسط هذا الانعكاس تتولى الشركات العقارية العالمية والمحلية والهيئات التابعة للدولة نقل السلطة إلى رجال الأعمال المرتبطين ببناء هجين جديد من أسلوب الحياة الأمريكى المتوسطي المولم. هي وسط أسلوب الحياة الجديد هذا توجد النخب المصرية، وهي نفسها قريباً أرخبيل مجتمعات المدن الصغرى التي يدبرونها وكأنها إناجرات تجريبية كثيرة للتدبيرراطية الخاصة المقتبلة. وتسمح المجتمعات ذات البوابات، ضاحية شأن المخطط الفسيح، للنخب التي تعيش فيها بمواصلته المسيرة القسرية نحو التحرر الاقتصادي الاحتكاري، دون إعادة توزيع للثروة، بينما تحمي نفسها من كل أثاره الفضاة ومخاطره. وبالعطرية نفسها، تضم تلك النخب من جديد إلى النادي المتدري للمواصم الخاص بالأرخبيل العالمى من الملائات المسورة (كالديبرا ٢٠٠٠). وحينئذ ينشأ القلق المحتمل المقيم بالشعور بالذنب وبريتيد بمعاذاة سكان المدينة العالبيين مخفياً تحت الرهط العالى للمدينة، طبياً لخطاب مضاد للنزعة الحضرية يدمج الثلوث وطبعية، حيث يبرهه بالفرق والحريمة واحتجاجات العنيفة ضد النظام. وفي هذا المنظور النخبوي، أصبحت القاهرة مجعاً لصادر الإزعاج لم يد هناك ما يمكن عمله حياله سوى الهروب أو حماية المرء لنفسه نفسه. كما أنه يعاد ترديد المخاطرة الحضرية. ويعاد لتبب نفسه ترديد البيئة الحضرية، شكل جزئى.



سوف أعقب في بقية المقال التطور المادى للمجتمعات ذات البوابات، والترتيب لها، وتكلمها. وبعد ذلك سوف أعرف خطابات المخاطرة التي تلحق أساساً لإدارة المسافات الاجتماعية المتجددة وتكثف شرعيتها، غير أنه من المناسب أولاً أن أحدها من ناحية بالخوف والمخاطرة والخرافة والبيئة الحضرية. يتعدى مجرد المصادفة أنه أنه ظهرت في مصر على وجه الدقة كلمة

أدرك كليرجيه، وهو أول عالم
جغرافيا حضرية فرنسي التقيد بعض
الشروعات الحضرية شرقية الطابع
السياسية الخيدوية في عصره، تلك
التوترات والمخاطر الناجمة عن عمليات
إيمان المفاخر الحرة. فقاد نخبة
المتفانية إلى التبرق نسج القضاء
الحضري وإن كان هو نفسه يتى ببعض
الشروعات في المناطق الحضرية، ول يوم
شيع نظرة تشعب بالتحين إلى «العصر
الليبرالي» في أواخر القرن التاسع عشر
أوائل العشرين الذي ألقى الخاضع
تدعوا هذه النظرة إلى رؤية الصلة
بين عصر المتحدر في عصر المدينة،
في تلك نتائج التطور الحضري الخاصة
بهما. وكانت أواخر القرن التاسع عشر
القرن العشرين فترة إبطاء مفار
يزت تركيبة العاصمة حتى يومنا هذا
أردو (١٩٨٩).



التي يجري إنشاؤها ويجري تسويق هذه المشروعات العقارية باعتبارها الموقع الأفضل لأسلوب الحياة ما بعد العاصمية، حيث اخترعت لتكون هي منطقة وسطى بين مثل «فورتس أمريكا» الجغرافية ومدن أباتشيدي المخاطرة الجديدة في جوهانسبرج (إلكالي كسانيد ١٩٨٧). ومع ذلك فإنه إذا كانت مجموعات الميالت تستجيب استجابة عامة للمفهوم الكوني الخاص بالمدينة الحمية، التي يحيط بها سوا وتضمن الاستقلال الكامل، فليس هذا مجرد استعجال لنمط عالمي. إذ يتضح كذلك تأثير دور ملكيات نمط دول الخليج الخاص بالمعيشة الضخمة. فإذواق الخليج ممتلئة في خراف الزبوك الضخمة من نذهب وشرشات بارزة وأعمدة كلاسيكية جديدة، والأناطاس المصناعات وأشكال التملك بواسطة المقيمين «مهجنة»، حيث تجمع بين التأثيرات المحلية والعربية، كما تنفق على قيم من المدن العالمية (السعيد ٢٠٠١).

وفكرة البحر المتوسط كذلك إمار دلالتي أساسية بالنسبة لخصر باعتبارها بلد يقع على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، مما يشير إلى الدنوي مؤلفيات القرى

قبل أن تطلع في اليوم الذي يصبح فيه المقطم (الهيبة القريبة من القاهرة) منزلها تتناثر فيه الفيلات ويربطه الترام بالقاهرة، كما طالب توسان كاني في عام ١٩٠٥، هل يمكن

وفى عملية مشابهة، يفرض الدولة رقابة مشددة على كل أشكال تمثيل حزب الباسماتسي للمواطنين، وتزدهر المؤسسات التجارية واتحادات رجال الأعمال كذلك على الصعيد الجماعي. رجال أعمال من المناطق النائية يبيعون الجديدة، والتزاماً بصيقات الشرف، الوطني الجديد الحاصل بالبلديات الجديدة والتكيف الهيكلي الذي يحظر لتدخل المباشر من الدولة في مجال الاستثمار، هؤلاء تعرف التحالف بين الدولة، هؤلاء المقاولون المأمون الذين

من التهمة الحضرية الخاصة. وعرضت
على جاردن، على التلفزيون، في أحد
البرامج الإعلانية التي جعل فيلارت جاردن
القديمة، وهي منطقة سكنية بوهيمية
وتعتبر غريبة، في أوائل القرن العشرين،
وتظهر عليها تعاملي الراشدين القوية.
وقد بنيت جاردن سيتي القديمة في
بداية القرن العشرين على ضفاف نهر
أنجليا، على أطراف وسط المدينة
القديمة، وإعادة شكلها بدهو شبه
هواء الواحة. ولأن تزهر جاردن سيتي
استقبل، بالمتى الحر في تلكه، في
الصحراء العائنة، بينما تمتد جاردن
سيتي إلى مساحات الأبراج شاقبة
والارتفاع ونقاط التفشي العسكرية التي
تضم بعض مكان أجنب وسفارات لا
تأخذ قيمته هناك. وهي أماكن أخرى،
تتخذ الفيلات أسماء حكم مصر في
القرنين التاسع عشر والعشرين. فارق
إسماعيل، الخ. بل إن حفيد البارون
ميران الأصلي سمع اسمه في الترويج
لشروع دهبوبس الجديدة.

إذا كانت إعادة كتابة الماضي هذه ممكنة من الآن فصاعداً، بل ويستعان بها، فحينئذ يكون من الضروري أن نسمح، شأنها في ذلك شأن رد الاعتبار

يوتوبيا، مرتفعات القطامية. يشرى هيلز، پالم هيلز، بل هيل. مينا جاردن سيتي. دريم لاند؛ هذه بعض المجتمعات ذات البوابات التي يجري إنشاؤها. ويجري تسويق هذه المشروعات العقارية باعتبارها الموقع الأفضل لأسلوب الحياة ما بعد العاصمية.



أفضل، نتجه إلى مجال الجغرافيا البنائية ونظرية الاستيلاء. (théorie du rachat) التي صاغها ريتشارد (٢٠٠٠) اعتماداً على كتاب ديهاريه وريتشارد (٢٠٠٠، ١٢١).

كثيراً ما كان يستعان بالأعراض الاكتئابية وتفكير المزاج الاكتئاسي والقلق المثار الناتجة عن المناطق الحضرية التسمية بالتركيز الصناعي (الظروف غير الصحية، والأضطراب الاجتماعي...) لتفسير رحيل السكان البورجوازيين المشتركين في مواقع التجمع المتجاور، إلى فيلات الضواحي أو إلى ملاكمهم في الريف. (لا أن تلك البناى البعيدة الصخرة تدل على شيء آخر غير الهروب. فهي تميز التساع الحضرية، وتكسر تجانسها، وتكتسب قيمياً جديدة بفعل ديناميكيات الاستيلاء (rachat) التي تغذي النظام الاقتصادي

يتم الاستيلاء على القسم الاجتماعي للعاصمة ويصاد نشيبتها، وبالتالي عكسها.

التفاوض على المظاهر

لا يبرر العيش في الصحراء عن نفسه. كما ترمز الصحراء إلى كونه أرض الموتى، فهي تظلم مرتبطة بالإنزاعات المتعاقبة للحجيات وزيارة الموتى. وحينئذ فإن جعل الصحراء جذابة يفترض، من ناحية، أن هناك نفوراً شديداً من العاصمة المكتظة بالسكان وأن تصيراً مميّزاً إلى حد كبير جداً قد طرأ على قرية الصحراء. ويجري إعادة التكوين الإيكولوجي في توتريين الرهص والجادية، وبين وسم الصحاير والناهر والبالعة في تقدير النخبة والصحراء التي يجري الترويج لها منذ أكثر من عشرون عاماً على أنها فضاء لإقامة المصانع الملوثة، والطبقة العامة مع ظهور المد الحديثة، ليست جنة عدن، كما أنها ليست المواقع المثالية لتلقي اليوتوبيات الحديثة (مع أن إحدى المدن الجديدة ذات البوابات في السادر من أكتوبر تسمى يوتوبيا). إن تغيير الإدراك يجري تشجيعه على نحو اجتماعي من خلال الخطاب الليبرالي الجديد الذي عرف الصحراء بأنها المنطقة البكر لإعادة تأسيس المجتمع المصري.

بعد الاستقلال

تدبر الفضاءات المشتركة والإصاغة والطرق بأموال الصناديق المشتركة التي تضمها في بورصة القاهرة.

يظهر هذا النوع من الديمقراطية الخاصة في مصر في الوقت الذي نجد فيه أن الاستبعاد السياسي والضعف قد تكثف على المستوى الاجتماعي القومي بهدف تسمية النخب بالمتجموع السياسي للمجتمع ذي الأسوار، وهو شكل من الانفصال الطوعي والتنظيم الذاتي الاستبدادي الذي يسهله الدولة والبورصة، إلى تشكيل وحدات مستقلة يمكن فيها العيش في الديمقراطية تشاركية على نحو مباشر دون اشتراط الديمقراطية الأساسية لبلد ككل. أو إنشاء متع وصول تلك الديمقراطية. وتجزئ مجتمعات النخب ذات الأبواب بناء الديمقراطية الخاص حينما يكون التمرر الاقتصادي في كل الأحياء يجريها مصحوباً بنقض التحرش. وتتمدد خصخصة الإصلاح إلى خصخصة السياسة، مما يسرع دوامة الاستبعاد، والحرمان من التصويت، والفقر. وهو الأمر الذي يؤدي إلى تجريد القوة العاملة، التي هي أحد الموارد الأساسية التي تملكها مصر في السوق العالمية للسلع والخدمات، من حقوقها وقدرتها.

ومع أنه من الواضح أن حركة العيش في الصحراء وحركتها تصاعد المخاطرة الحضرية، فليس من الممكن فهم تلك الحركة على أنها مجرد تجنب للمخاطرة، ففضاءة المجتمعات ذات البوابات شكل ذو قيمة ثابتة يستثمر المكاسب المشتركة المتدفقة مباشرة من عملية التجرير والخصخصة، ثم يثبتها في ترتيب كوني/ محلي جديد، وهذه التوجيهات مكتوبة بالحجر والعقارات، لتبرير لشهوة المستخرج من الإثراء العام ومن الأراضي العامة في سياق التضخم، الذي انخفض مقارنة بثمانينيات القرن العشرين، ولكنه يتميز بانخفاض شديد في قيمة العملة. ويتجسد كبار أصحاب المصلحة العاملين للمعايير في القطاع الخاص الحصول على الأراضي والأموال كينما يتحاشون تناقص السوق. ويشمل هؤلاء الماعلون الماعون ووزارة الدفاع، والسلك الجديدة المصرية، ووزارة الإسكان والجمعة العمرانية، ووزارة الزراعة واستصلاح الأراضي، ووزارة الأوقاف، وشركات التأمين العامة... إلخ.

ولكن تفهم هذه العملية بشكل

تضام العالم الثالث. حين حصلت مصر على استقلالها. حتى السبعينيات يمثل فترة مظلمة لتعريف افتقارها الواضحة إلى الألفية. وكردة عمارتها وبينتها التحتية، وليس بمجازاتها الاشتراكية. وتشير التماثلات مع الحضارات العقارية في الزمن الجميل إلى أن المستثمرين الخاصين هم وحدهم، وليس الدول الثورية، القادرون على خلق المدينة وتبنيها على نحو دائم. غير أنه يجب القول بأن هذا التشابه لا يفضي الطابع الرومانسي على روح المشروع الحر الليبرالي الجديد أو بعض القيم الأخلاقية وأساليب الحياة النخبوية فحسب، بل إنه يعيد كذلك تشكيل أنماط الإنتاج. فالواقع أنه في كلا العصرين النخبويين، في ذلك الحين والأن، تقدم الحكومة إرثها العام، فهي تفتح مساحات خاضعة من الأراضي لتسقيفها بين هاشم من شركات التنمية العقارية الخاصة. بينما تشجع تدفق رأس المال من خلال بيع الأراضي.

إن فالتشابه الحالي لا يتعلق بالأسلوب أو الوجهة أو نسق الصور الرمزية فحسب، فهو يشير إلى التخر من الوهم فيما يتعلق بالديمقراطية والحكومة والقومية، وكذلك مشروع الحديث السائد منذ عام ١٩٥٢. هناك كذلك إحساس بتفسير الأولويات في الجو بصورة عامة. وهو يطابق في الآخر مع روح الحكومة الحضرية والشركية الصالحة، التي يروج لها البنك الدولي. فهل أمام الدولة الكيفية هيكلية في مصر بديل بالفعل؟ هل يجب عليها إعادة بناء تعاضد مع مستمرى النخبة الكوزموبوليتانيين كي تظل قائمة؟

نقض التحزب السياسي

تمثل المجتمعات ذات البوابات النتيجة الاجتماعية الأساسية للتحزب الاقتصادي الجديد، ففي هذه المجتمعات تتحقق الديمقراطية الخاصة. وبينما يقرر أن الجسمة العامة لا يمكنها ضمان رفاة المواطن العامة والدفاع عنها، تتولى جماعة وصيفة من الأشخاص ذوي العقليات المتشابهة بنفسها مسؤولية إدارة حماية أسلوب حياتها. فجماعة كادنة مدينة مينا جاردن ذات البوابات، على سبيل المثال،

كانوا يتولون من قبل تشييد الإسكان الشعبي، ككتلة واحدة، يعملون الآن كمقاولين شبه خاضعين، حيث يبنون المنازل الخاصة يستفيدون من الفروض المقدمة من البنوك العامة، وهو ما يقاس على أساس القيمة المتوقعة والمبايع فيها للأراضي المشتراة بسعر رخيص جداً، حيث تخضع الدولة لبيع لشركات التنمية العقارية.

وفي الوقت نفسه، يصبح الير والإحسان من جديد قيمة بورجوازية حضرية وطريقة تعرض الدلتا لايد منها لصورة المواطن المصلح والمسلم الصالح، ويشكل خاص، نجد أن مطاعم الفقراء الشعبية التي لم يكن لها وجود منذ عام ١٩٥٢، قد جرى إحياؤها، بينما خفضت قائمة المنتجات المدعمة إلى أربعة أصناف (الزيت والسكر والدقيق والخبز) وتتألف مخزونها باستمرار (كريم ٢٠٠١). وتعد موالد الير (مواليد الرحمن) التي تشتمل بالتظاهر والتشابه في شهر رمضان، التي بدأت في أواخر الثمانينيات، نشأجا دينياً

الثراث الإسلامي، وتزداد وضوحاً أكثر فأكثر. وهي تشكل الآن صورة رمزية للاتصال بين البورجوازية وأهل الحضر. كما أنها تجسد الاستحراق المشروع لشهوة الذي يجري من خلال الإهتمام بإقامة أكبر مائدة، وهي تلك التي توفر الطعام لمعظم الأماكن. كما أن هذه الموائد مسخرة لهبة الضفاد، فالمراسمة الرسمية والدينية هنا، مثلها مثل إعادة كتابة التاريخ الوطني للعصر الملكي الاستعماري، تعني الشرعية تكون التعبير الليبرالي الجديد مناسباً للنخبة الاجتماعية ومنظمااته الحضرية. ويمكن كذلك قراءة مشهد الظلم الاجتماعي والصداقات في ناحية المخاطرة، أي مخاطرة الارتقاء الشديدة، فالممثل الحضرى مفروض باعتباره العلامة الوحيدة مع الفقراء وسيسلستهم الوعيدة لئلا ينفوس اجتماعي، بينما تشرطه في المناس الأخير. وليست هناك وسائل أخرى مسوح بها لإعادة توزيع ثمار الخرى. يبدو هذا العمل المقسم بالتعبية للعالم الحضرى الجديد، المرتبطة بالصر الليبرالي ما قبل ١٩٥٢، فترة البناء الوطني لتخطيط العام (الاشراكي، الحالي)، التكامل، فمنذ ذلك الحين بات عصر الخصخصة الثوري، القومي العربي، الذي شهد

مدينة المن الغاشية



للقدرة على الإبداع من موظفي الدولة المدنيين إلى النخب والمستثمرين، ومن المجال العام إلى المجال الخاص، وهو ما يوضحه الاستبعاد المميز للمؤمّج.

لؤدى هذه الطريقة لرؤية التنمية العقارية على أنها زيادة إلى وضوح قصص النجاح الشخصي، وهي القصص التي كانت محسوبة في قلب العاصمة وفي مفاهيم العام والقومي والاجتماعي، ففي المدينة تسحو هذا النجاح متطلبات الكشافة والقرب واللإلفة التي يفرضها التعايش والتنوع الاجتماعي والتمازج، وفي المدينة الشعبية، يحمل نقص الفضاء العرض المتباين لـالإبداع، أو التميز الفردي مستحيلًا بدون مخاطرة الاحتكاك، وفي العاصمة القديمة، لا بد من قصر مشاهد الفردية على الفضاءات الداخلية الخاصة وشبه الخاصة، كما يفنّادق السياحة الكبيرة ذات الخمس نجوم، من أجل التماشي مع معايير الحكمة المرتبطة بالفضاء العام الحديث في فاعرة القرن العشرين.

وفي المقابل، تقدم الصحراء البعد والمنظور، فالترفة المتسمة من الأرض تدعم اتساع مجال الرؤية، وطقوس المدخل والممرات التي تجسد عظمة المسكن الجديدة، وبذلك تقام تكتيك متعاقبة بين الخروج من التكتيك والوصول إلى إنهاء أعمدة الفيئات وسلاسلها. أولاً، هناك الانقطاع على منظر الصحراء، التي يعقبه المدخل الضخم للمدينة الحديثة، وأخيراً المرور خلال الأبواب المحروسة للمجتمع ذي البوابات.

تقدم أقمعة الصحراء عرض نجاح المرفع عظيمة وتباه، فمعارسة الفيئات تعبر عن ذلك بوضوح من خلال النكوص إلى استعراض الشفاعات الكوزموبوليتانية متعددة الشفاعات: حكام السياحة، والمبداء والأعمدة الكلاسيكية الجديدة، والمرج، وأشجار الصنوبر، والجرار، ويشير الجرار بقوة إلى امتلاك السيارة، التي ظلت رمزاً طويلاً بمثابة نقل للفضاء الخاص إلى داخل الفضاء الحضري المزدهم،

أصبحت الصحراء ذلك الفضاء الذي يجري غزوه وإعمارها، ليس لأصابع تتعلق بتحفيظ الكثافة وإحفاظ على الأراضي الزراعية بحسب، بل كذلك، وقبل كل شيء، من أجل إنتاج عامل زراعي جديد وساكن حضري جديد، أي رالداً حقيقياً للمجتمع الجديد (فانثيت ١٩٩٥)، وتقريباً لهذه النظرة الثورية، تقدم المجتمعات ذات البوابات على أنها وريثة المشروع القومي لغزو الصحراء، فالمستثمرون الخاصون، الذين حلوا محل الدولة، يعمدون بناء الأمة وفقاً للأساليب الليبرالية الجديدة، وبالإضافة إلى المروجين، الذين تطلقهم وسائل الإعلام إلى أنهم من المشاهير بسبب جهودهم لإعمار الصحراء وتضخيمها، قد يرى مشترى الفيئات في المجتمعات المسورة أنفسهم رؤاداً يعملون من أجل توسيع الفضاء القابل للسكن، وبالتالي يعملون من أجل تقييم المصلحة العامة المتجسدة في الأرض المصرية، ومن بين أوائل سكان المجتمعات ذات البوابات، مثلك عدد لا بأس به من السادة-الزراعيين الذين لديهم خبرة مباشرة في تحسين الأراضي، مما سمح لهم بتدوين الصحراء، وتقسيم صورة الرائد الصناعي، البطل، الساكن على النجوم، للمشتريين والمروجين بتحويل الانتباه عن التملك الخاص، وشديد الاستبعاد في أي الأحوال، الأراضي العامة، وبالتالي عن إخفاء الفضاء والموارد المحيطة بالعاصمة، وبذلك تحول الرغبة في التمييز عن الفرق الفردي، وعرض المرفع لرأسماله، والمضاربة بدون القلق بشأن المجتمع أو الشؤون العامة، العام، إلى أرض الطبيعة الوردية، وقوع من التجديد التمازج، والفقر، وتظاهر بالشجاعة من جانب المستثمرين.

اعتباراً من ذلك اللحظة، لم يعد يُنظر إلى العيش في الصحراء على أنه رجل إلى الهامش، بل باعتباره نقلاً لمركز المدينة وتكريزاً جديداً على أماكن الإبداع. ويعد هذا بمثابة عرض واضح لإعادة تركيز فضاءات القوة التي تصاحب إلى حد ما توسع المجتمعات ذات الأنواب.

يصاحب هجرة الفضاءات التحريفية هذه الخاصة بالمجتمع النموذجي وبالتجسيات الزاوية، إلى صواحي الجديدة للقاهرة انتقال رمزي

يرغب في الوقت نفسه بأن يرى. ولأن شكل الأمن المرتبط بترويج المجتمعات ذات البوابات يكشف عن هذا النحو، فهو يعبر عن شفافيتها. وبذلك الإغلاق الطابع المتشدد للانقطاع الاجتماعي ويشير بوضوح إلى رغبة المروجين، شأنهم في ذلك شأن المشتريين، في فصل أنفسهم طواعية عن الجماهير الباقية خلفهم في مناطق المدينة كثيفة السكان. ولكن النموذج يبدو معرضاً للخطر إلى أقصى حد، فهو يستجيب لطلبات التميز والإظهار، ولكنه يؤكد في الوقت ذاته عدم الأمان بدلاً من أن يحمي منه. وهو ينتج المخاطرة في مدينة تظل شديدة الثقة بنفسها إلى أقصى حد.

تقاطعات المخاطر

الليبرالية الجديدة

تشكل ظاهرة المجتمع ذي البوابات عند تقاطع نوعين من المقاتل الاستبدادية المشروعة: الجغرافيا الاستبدادية الجديدة للقاهرة الليبرالية الجديدة تمثل من ناحية وجهة عالية لنوع يعينه من التحور، وهو ذلك النوع الذي يشير المديح والتأييد من خارج مصر، مثلما باركت صحيفة «يون ستريت جورنال» في عام ١٩٩٧ المشروعات الجديدة تحت عنوان «إلى أي مدى وصلت مصر، (دول ستريت جورنال، ١٤ أبريل، ١٩٩٧). ومن ناحية أخرى، تفرض جغرافيا المدينة ذات البوابات إعادة تعريف المخاطر، فما تسمى بالهذه العمرانية تبرز وتشهد على أداتية سياسة التحضر وعلى التقويض الجديد للقرارات التي سوف يصيد تشكيل مصر من أجل رجال الأعمال المتقدمين، بل إنه تأويل من تيربرهده المتطورات من خلال تأويل المخاطر المقابلة للمبادئ العامة التي ترتبط بأسلوب الحياة الخاص ببعض الإنسان على نحو منفصل بين طبقته وعشائره، وداخل تجمعات صغيرة محمية وصعدمة وتدار إدارة ذاتية، بشكل ديمقراطي. ويظهر هذا النمط الناشئ للتقسيم المنطق الحقيقي للإصلاحات الليبرالية الحالية، التي تزيد باستمرار من صلاية الشهد الاجتماعي في مواجهة العديد من التأثيرات المضادة والبنائات والمقاومات.

اعتباراً من تلك اللحظة. لم يعد ينظر إلى العيش في الصحراء على أنه رحيل إلى الهامش. بل باعتباره نقلاً لمرکز المدينة وتركيزاً جديداً على أماكن الإبداع. ويعد هذا بمثابة عرض واضح لإعادة تركيز فضاءات القوة التي تصاحب إلى حد ما توسع المجتمعات ذات الأبواب

١٩٧٥

اللحظات والنماذج والكلية

من منظور الدراسات الحضرية. هل من المقبول في هذا السياق تعريف مدينة اليوم. تلك المدينة المعولمة الكبيرة جداً بصفة خاصة. بأنها توليفة من العناصر المختلفة. ومن التنوع. ومن الكثافة المريدة للترجمة الكوزموبوليتانية والإبداع؟

لا بد لنا من توفير هذا التعريف مع الحقائق الجديدة التي لا تقل كلفة. التي تقول إن موضوع السياسات الحضرية الجديدة هو الكفاح ضد توليفات العناصر غير المتوافقة. والقضاء على التنوع. وتجريم الكثافة والاختلاط والتقريب. وهذه السياسات تفصل وتنشئ تراثياً يتجاوز كثيراً ذلك التراث الذي يتطلبه المنظور الوطني

البسيط. ونموذج المدينة الكونية الكوزموبوليتانية الأوروبية. وهو بلا شك خرافى وسحبى ومركزى النزعة في حد ذاته. فهو ليس نموذجاً مثالياً، مغيباً في الوقت الراهن. كما أنه ليس نقطة مغيبة للمقارنة. وربما كانت مدن المستوطنين الاستعمارية الأمريكية والنيستيويات ما بعد الصناعية نقاط مقارنة أكثر لفتاً للانتباه. أو ربما كانت القاهرة مدينة «تعرضي» الموضات الليبرالية الجديدة بطريقة «مثالية» بالمتنوع العلني على نحو يتسم بالتناقض والإمراج.

تُعرض المجتمعات المصرية ذات الأبواب باعتبارها الشكل المطلق للمخاطرة. ومع ذلك فهي تولد بوجهيها نفسه الكثير من أشكال المخاطرة الاجتماعية، والهشاشة، وقابلية التعرض للخطر التي يمكن أن تحول دونها كل

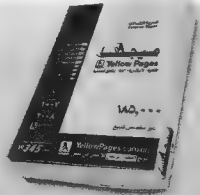
التأريخ المادية والخطابية الخاصة بالجغرافيا الليبرالية الجديدة والإسكان الصخر. والواقع أن المجتمعات المسورة تترك الهشاشة القومية وتنتج المخاطرة الاجتماعية المعمة التي تدعى ضمناً إذا حدث أن المجتمعات ذات الأبواب قُضمت صورة عن مصر في الفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٠. فليس مستغرباً إذن أنها تكسر في قلب الأزمة المالية التي أعقبت عام ٢٠٠٠ في مصر. فمن الواضح أن الرسملة الصخمة التي كانت لازمة للإنشاء المعمم الاستعماري لتلك المناطق الصحراوية كانت أحد الأسباب الرئيسية لأزمة السيولة وانفجار فقاعة البناء التي أدت إلى انهيار أسعار العقارات وانهيار الاقتصاد القومي بصورة عامة. وظهر نموذج التنمية العقارية الخبيث في وسط الأزمة القومية. وربما بات معادلاً للمخاطرة ذاتها. وينعكس

أخفاض قيمة استثمارات المضاربة في المجتمعات ذات الأبواب، التي يدعمها بصورة كبيرة الكثير من البنوك الخاصة العامة. ومن المؤكد، كما يبين تيموش ميتشل، أنه من المهم رؤية الرأسمالية وهي تعمل باعتبارها تحويلاً للارياح والقروض لأحابة أكثر الرغبات غير منطقيّة، التي اتخذت في سنوات الانتعاش شكلاً عبارة عن أرض وحجر، محولة الصحراء إلى مكان قابل للسكنى (٢٠٠٢). والفجرت الصقاعية. وانهار الاقتصاد المصري بعد عام ٢٠٠٤ (قبل أن يبدأ في التحسن من عام ٢٠٠٤). ولكن المدينة الكولونيالية الجديدة الليبرالية الجديدة، التي تعد تجسيدا للمخاطرة والنزعة الاستعمارية، اتخذت بالفعل شكلاً لتشكل العالم الاجتماعي وتقيده وتعيد تشكيله. لقد تعمّرت القاهرة تقيراً جديراً. ■

وسع فرص إختيار اترك

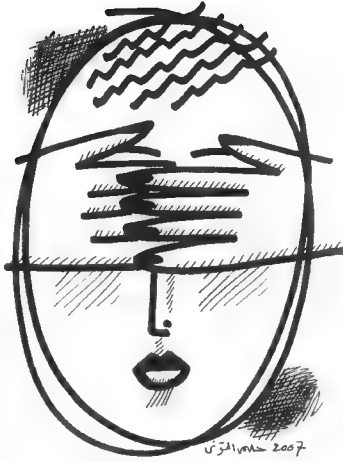


Yellow Pages
دليل الأعمال
ستجد فيه كل شيء



YellowPages.com.eg
دليل التليفون الرسمي للأعمال في مصر

اطلب نسختك الجانية
اتصل 19345



■ في ليلة رمضانية عام ٢٠٠١ دعيت لحضور لقاء يضم حينها من رؤساء شركات تكنولوجيا المعلومات والبرمجيات والاتصالات سيتحدث فيه الدكتور أحمد نظيف وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات. في ذلك الوقت، حول الخطط والمشروعات الحالية والمستقبلية في مجال تكنولوجيا المعلومات بالبلاد، حضرت اللقاء واستمعت لحديث الوزير. وحينما فتح الباب للمناقشة وقف أحد الحاضرين طالبا من الوزير أن يتحدث الوزارة بهذا في إلقاء بعض الضرائب المفروضة على صناعة البرمجيات ومعاملتها معاملة الإنشاج الذهني المطبق على مؤلفي الكتب والأغاني الذي يمنح تسهيلات كبيرة. فرد الوزير إنه أعد مذكرة بهذا الشأن لوزير المالية ومصلحة الضرائب، لكن أحد رؤساء الشركات ذكر أنه حصل فعليا وسنذ فترة على فتويين من مصلحة الجمارك بأن البرمجيات إنتاج ذهني معفى من بعض الضرائب

توقفت كثيرا أمام إجابة الوزير ورد رئيس الشركة .. هذا الحوار القصير أثار بوضوح إلى أن حركة تبادل المعلومات بين الأطراف الثلاثة، مصلحة الضرائب ووزارة الاتصالات والشركة التي حصلت على الفتويين، لم تسمح بوصول المعلومة إلى ثلاثتهم بشكل صحيح وفي الوقت المناسب، فالضرائب أصدرت الفتوى ونسيت، والشركة حصلت عليها ولم تبلغ وزارة الاتصالات وأخواتها من الشركات. ووزارة الاتصالات لم تتابع، بدليل أنها لا تزال في بداية مشاور إلغاء الضريبة، والسؤال، ماذا كان سيحدث لو أن معلومة الفتويين انتقلت منذ صدورهما للوزارة وللشركات التي لا تكف عن طلب العور؟

أضعف الإيمان أن الوزير كان قد استثمر الجهد السابق في تحقيق خطوة للأمام في هذا الموضوع بدلا من أن يبدأ من الصفر.

وفي اللقاء نفسه طلب أحد مسؤولي اتحاد الصناعات المصرية أن تبنى الوزارة قضية المعلومات في قطاع الصناعة، لأنه لا توجد معلومات يعتمد عليها حول هذا القطاع، وكان رد الوزير أنه ليس وزيرا للمعلومات ولكن وزيرا للاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، ومن ثم فليس وحده المسئول عن المعلومات

تقودنا هاتان الواقعتان السريعتان إلى واحدة من أخطر القضايا المتعلقة بالثمنية المعلوماتية والتي تعتبر (فريضة غالية) (أو حرية المعلومات) أو حرية الوصول إلى المعلومات وسدولها.

حرية المعلومات الفريضة الغائبة



جمال محمد غيطاس

والصعوبة البالغة والقيود والعقبات المتعددة التي تقف في وجه تناولها وتفتح المعلومات وانسيابها ما بين الأطراف المعنية بها داخل المجتمع.

ولكن اقتربت قليلا من هذه النقطة، ناقشتها مرارا مع الدكتور أحمد الحضاوي الأستاذ بهندسة القاهرة وخبير تكنولوجيا المعلومات، وفي ضوء هذه المناقشات يمكن القول إن العلاقة بين القيود أو العوائق التي تقترض انسياب وتدفق المعلومات من ناحية، وبين مشروع النهوض بتكنولوجيا المعلومات من ناحية أخرى تعود إلى أن تكنولوجيا المعلومات هي الأدوات أو الأوعية التي يمكن من خلالها جمع وتخزين ومعالجة وتحليل وإدارة المعلومات وتنظيمها وتوزيعها بين الجهات التي تطلبها. أما المعلومات فهي المحتوى الذي تملأ به هذه الأدوات والأوعية، ومسئوليتها تتقاسمها الجهات المنتجة والمستهلكة للمعلومات، ما بين هيئات سيادية ووزارات وهيئات عامة وخاصة وغيرها.

بعبارة أخرى، تشبه تكنولوجيا المعلومات السلاح الذي يطلق الرصاص بسرعة صوب هدف محدد، أما المعلومات فهي الرصاص أو الذخيرة نفسها، التي لا بد أن يملأ بها السلاح كي يعمل ويستفيد منه. بل يمكننا تناول القضية بشكل آخر فمثلا، ما الذي يمكن أن نجنيه من وراء إنشاء طريقة سريعة عالية الكفاءة لا يمر عليها أحد؟ أو مخرائن ضخمة لا تدخلها بضائع؟ أو أراض مستصلحة لا يزرع فيها شيء؟

هكذا الحال في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فنحن لن نجني شيئا من إنشاء شبكات معلومات بينما لا توجد معلومات تدور بداخلها، ولن نحقق الكثير لو نشرنا الإنترنت في كل مكان، ثم لا نوفر للمواطنين معلومات ذات قيمة على الشبكة تحقق لهم فوائد ومصالح مباشرة، ولن نحدث توظيفها فعلا لتكنولوجيا المعلومات في خدمة قضايا المجتمع المختلفة ما لم تكن قطاعات ووحدات المجتمع المختلفة مفتوحة على بعضها البعض، وتقبل بأن تتبادل فيما بينها المعلومات الضرورية بحرية وسلاسة وشفافية ووضوح.

ولذلك فإنه حينما لا تتوافر البيئة المجتمعية والقانونية والاقتصادية التي تسمح بالتدفق السريع والسهل للمعلومات، ولا يتوافر الوعي الكافي بأهمية المعلومات وكيفية التعامل معها وإدارتها، ستصاب جميع مشروعات تكنولوجيا المعلومات بالضمور والهزل في النتائج، وتتحول مع الوقت إلى بناق فارغة من الطاقات، حتى لو كانت محتوية

حيثما لا تتوافر البيئة المجتمعية والقانونية والاقتصادية التي تسمح بالتدفق السريع والسهل للمعلومات. ولا يتوافر الوعي الكافي بأهمية المعلومات وكيفية التعامل معها وإدارتها، ستصاب جميع مشروعات تكنولوجيا المعلومات بالظهور والهزال في النسيج.



وينبغي أن يتاح للأفراد ووسائل الإعلام النفاذ إلى المعلومات المتاحة. فمن المبادئ المهمة لمجتمع المعلومات حرية النفاذ إلى المعلومات واستعمالها. من أجل إقامة المعرفة وتراكمها ونشرها وينبغي تشجيع تقديمية وسائل الإعلام وتنوع ملكيتها. وفي بداية عام ٢٠٠٢ أصدرت منظمة اليونسكو تقريراً حول خدمات تطبيقات الإنترنت في الدول النامية، وأشارت فيه إلى ما يسمى بنطاق المعلومات العام، ويقصد به تلك المعلومات المتعلقة بالأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والتجارية والعلمية والتعليمية في أي دولة، والتي يجد المواطن نفسه محتاجاً إليها لا محالة. وهو يبيع ويشترى ويطلب ويستعمل... الخ. ويستهدف نطاق المعلومات العام تحرير البيئة القانونية والإدارية الحاكمة لتداول المعلومات، لتسمح بتدفق حرسريع للمعلومات في الاتجاهات المختلفة. وراي التقرير أن نطاق المعلومات العام حيوي بالنسبة للبحث والتعليم والابتكار وللتنمية الوطنية، وللحفاظ على التنوع الثقافي، وهو أيضاً مكون حيوي لتسليم معلومات على قائم على المشاركة، وحيوي للمخاية أيضاً عند تطوير خدمات وتطبيقات الإنترنت التي تخدم التنمية في المجتمعات المحلية. تكون هذه المعلومات في العماد الأساسي لأي خدمة تحقق مصالح مباشرة وجوهرية للمواطنين في تعاملاته اليومية.

ويقول التقرير إن السلطات العامة على كل المستويات تعقب أكبر المصادر المهمة لمعلومات النطاق العام، ولذلك يقع على عاتقها مسؤوليات تجاه المواطنين تتمثل في، تحديد المصادر الفاضلة لنطاق المعلومات العام، والحفاظ عليها وتحسين مستوى مصادر المعلومات المتاحة للمواطنين، من خلال تشجيع تحويلها إلى العصر الرقمي، والترويج والعمل على تكوين وصول عادل ومنصف خاص المعلومات من قبل الجميع، وبشكل خاص من خلال الإنترنت.

وكرر التقرير على أن وجود نطاق المعلومات العام يعد مهما للغاية لكي تقوم شركات الإنترنت والمجال من المتخصصين ببناء محتوى محلي من المعلومات على الشبكة، وربطها ارتباطاً وثيقاً بالمستخدمين، وقال التقرير إن تهيئة المحتوى والتطبيقات للاستجابة للاحتياجات المحلية تعتبر أساساً للأساسيات للكيانات الصغيرة ومؤسسات حيوية في نجاح توظيف الإنترنت في عملية التنمية، وأنه في العديد

ويتناول البند ٢٠ و٢١ هذين ميدان المعلومات العام المتاح. فيذكر البند ٢٠ أنه (يُحظر تمييز تقاسم المعارف العالمية لأشخاص التنمية وتديمها بواسطة إدارة الحواجز التي تعترض النفاذ المصنف إلى المعلومات لأغراض الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتعليمية والعلمية ومن خلال تيسير النفاذ إلى معلومات الميدان العام) بينما يذكر البند ٢١ أن وجود نطاق معلومات عام يتسم بالثراء يعد من العناصر الجوهرية لنمو مجتمع المعلومات وتحقيق منافع متممة مثل الجمهور التعليم، وفرص العمل الجديدة، والابتكار وفرص التجارة والتقدم العلوم. وينبغي أن تشمل المعلومات الموجودة في الميدان العام بسهولة النفاذ إليها لدعم مجتمع المعلومات، وينبغي تدعيم المؤسسات العامة مثل المكتبات والمحفوظات والمراكز والمجموعات الثقافية وغيرها من نقاط النفاذ القائمة على المجتمعات المحلية، للتعويض بصفاته المعلومات الوظيفية والنفاذ الحر والنصف إلى المعلومات.

وتطالب البند ٢٣ بتشجيع الوصول بحرية للبحث والمعارف العلمية والثقافية، ونشرها على نطاق واسع دون قيود وبإتصال، ويرى أن مؤلفي المحتوى ونشائريه ومنشئيه وكذلك المبرسون والفنانون وأصحاب المحفوظات وإسماء المكتبات والدارسون بدور نشط في تعزيز مجتمع المعلومات، ولا سيما في أقل البلدان نمواً، من خلال إتاحة الوصول بحرية لهذا المحتوى.

وتناول الإعلان بعض القضايا الخلاقية مثل استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأغراض التي لا تتسق مع الأهداف المتعلقة بصون الاستقرار والأمن الدوليين، وقد تكرر بشكل معاكس على تكامل البيئة التحتية داخل الدول، لكن البند الذي تناول هذه القضية كان واضحاً في التأكيد على أن إجراءات منع استعمال موارد المعلومات والتكنولوجيا في أغراض إجرامية وإرهابية يجب أن تتم بشكل يتسق مع الحاجة إلى الحفاظ على حرية تدفق المعلومات ووفقاً للمفاهيم القانونية لكل بلد. وفي البند ٢٦ يدعو الإعلان التركيز على جديد ويشدّد على مبدأ حرية الوصول للمعلومات والحصول عليها، قائلاً: (لا بد لأي مفهوم لمجتمع المعلومات من وجود وسائل مستقلة وتعددية وحررة وفي النطاق القانوني لكل بلد على أساس الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وخاصة منه المادتين ١٩ و٢٩،

عن الرؤية المشتركة عالمياً لمجتمع المعلومات قائلا: (مجتمع المعلومات يرتكز على الناس ويستطيع كل فرد فيه أن يخلق المعلومات والمعارف وأن ينقل إليها وأن يستخدمها ويتقاسمها)، ولغنى هذا أن ركيزة مجتمع المعلومات هي أن يكون الفرد حراً في أن يولد، ويستخدم ويتقاسم المعلومات، ثم يأتي البند الثاني من الإعلان مؤكداً أن هذه ركيزة أخرى (يقوم مجتمع المعلومات الذي نشده على المبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأن يكون قادراً على تحقيق النفاذ الشامل إلى المعلومات واستخدامها في خلق المعارف وتجميعها ونشرها) وهنا يستخدم كلمة (النفاذ الشامل) بمعنى حرية الوصول للمعلومات والحصول عليها.

وفي البند الرابع من الإعلان ترفع درجة وضوح هذه الروح بشكل كبير لتجعله من أكثر البنود صراحة في الربط بين حرية الحصول على المعلومات وتداولها وبين إنشاء مجتمع المعلومات نفسه، حيث يعتبر أن مبدأ الحرية والحق في الحصول على المعلومات هو الفرضية المنطقية الضرورية التي يقوم عليها مجتمع المعلومات، ويقول نص هذا البند (إن حرية التعبير وحرية الرأي، والحق في استقاء المعلومات والأفكار وتلقيها ونشرها بعض النظر عن الحدود الجغرافية على النحو المأس في المادة ١٩ والمادة ٢٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هي الفرضية المنطقية الضرورية التي يقوم عليها مجتمع المعلومات). ويخصص الإعلان أكثر من بند للحديث عما يمكن تسميته بنطاق أو ميدان المعلومات العام، الذي يتعين توفره على كل مجتمع على حد ما بين المجتمعات وبعضها البعض، كأساس جوهري من أسس مجتمع المعلومات ونطاق المعلومات المقصد به المعلومات المتعلقة بالأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والتجارية والعلمية والتعليمية في أي دولة، والتي يجد المواطن نفسه محتاجاً إليها لا محالة، وهو يبيع ويشترى ويتعلم ويستعمل... الخ. ويهدف نطاق المعلومات العام لخلق البيئة القانونية والإدارية الحاكمة لتداول المعلومات، لتسمح بتدفق حرسريع لهذه المعلومات في الاتجاهات المختلفة، ويتعامل الإعلان مع نطاق المعلومات العام باعتباره أساساً حيويًا بالنسبة للبحث والتعليم والابتكار وللتنمية الوطنية، وللحفاظ على التنوع الثقافي.

على قواعد مبادئ عملاقة، وشبكات معلومات مترامية الأطراف، وبرمجيات (الخرموضة)، ولو وجدت هذه البيئة المواتية، ستظهر هواند الشبكات المختلفة القائمة على تكنولوجيا المعلومات، بما يشيع جواً من الثقة في هذه التكنولوجيا لدى المجتمع وصانع القرار، فتشعل الصناعات المتعلقة بالمعلوماتية. من برمجيات ونظم وشبكات وغيرها. على مكانة أعلى، وتعزز أهميتها السببية لدى المجتمع بمختلف طبقاته وأجياله. فتحدث زيادة في الطلب على منتجاتها وخدماتها، وتتحرك الأمور للأمام.

اهتمام دولي

وعلى المستوى الدولي تحظى قضية حرية الوصول للمعلومات وتداولها باهتمام بالغ، وقد تجلّى ذلك بصورة واضحة خلال فعاليات القمة العالمية لمجتمع المعلومات بدوريتها (جنيف ٢٠٠٣ و٢٠٠٥)، حيث أكدت وثائق القمة وقراراتها وفعاليتها على أن مسألة (الجزء والحرية) التي يطلب من جميع الدول دائما الالتزام في توفيرها مما لمواطنيها قد تغيرت الآن إلى أصبح على الجميع مراعاة أن الأمر بات مسألة ثنائية وليس ثنائية الأطراف. فليس مجتمع المعلومات المعصري لم يعد مطلوباً من الدول أن توفر لمواطنيها الخبز الجيد فقط، بل لابد أن يكون معهما المعلوماتية والبيان والحاسب وشبكة المعلومات، لأنه بدون هذا الطرف الثالث الجديد سيكون من الصعب، وربما من المستحيل توفير الخبز أو الحرية.

وقد كان من السهل أن نلمس هذه الرسالة في إعلان الإعلان الصادر عن دورة جنيف ومقررات لجنة النسيج، فبدأت حرية الوصول للمعلومات والحصول عليها وتداولها ظهر كروح عامة تسري في القسم الأكبر من بنود الإعلان، فبعد المسطور الأولي تعبر بنود الإعلان عن هذا المبدأ بصيغ الكلمات متنوعة، فشاركه خبر عن حرية الوصول إلى المعلومات (بالنفاذ إلى المعلومات) وتارة أخرى تحدثت مباشرة عن حرية الحصول على المعلومات ونشرها، وفي مواضع ثالثة تروط بين حرية المعلومات والحرية العامة الديمقراطية وآليات الحكم، ثم تعود في مواقع رابعة وتقرن حرية الحصول على المعلومات وتداولها بقضايا الحقوق المحلي والتنوع الثقافي وحماية حقوق الفئات المهمشة وغيرها. فالبنود الأولى من إعلان الجاني يتحدث

إحساساً حقيقيًا وتكنولوجيا معلومة بأهمية وجود صناعة تكنولوجيا المعلومات للمجتمع ككل، وهكذا ينظر الآخرون إلى هذا القطاع ويدخلونه ملعب التنمية، ليخدم خطط التطوير والتحديث في المجتمع.

تري لو سارت الأمور بالعكس وجاء وفد من هونغ كونج بغرض استيراد شحنة من البضائط المصرية.. ما الذي كان سيحدث له كي يصل إلى الجهة المستولة على الإنتاج أو التصدير؟ أغلب الظن أنه كان سينصف اليوم كي يصل إلى الفندق الذي سينزل فيه، ثم يبدأ رحلة كعب داير قبل أن يعرف اسم منتج أو مصدر واحد، بينما صناعة تكنولوجيا المعلومات في واد آخر.. ماذا؟ لأن التعامل مع المعلومات من هذا النوع وسرعة دوراتها في مصر أقل كثيرا مما تتطلبه ظروف وتحديات مصر، وما تقتضيه حركة الأحداث والتفاعل اليومي بال مجالات المختلفة.



لنا أن تنصهر حجم فرص العمل، والتطبيقات والإبرامج الحاسوبية لتتفرع مشروع ضخم يصمم لمكتبة ولتتفرع جميع التطبيقات التبادل التجاري بين مصر ودول العالم منذ الخمسينيات وحتى الآن في قاعدة بيانات حكومية أو تجارية خاصة مثلا، وكم من الخبرات يمكن بناؤها حول هذا المشروع، وكم من الخدمات يمكن أن يقدمها المستثمرين ورجال الأعمال، ولصانعي القرار في الحكومة، إذا ما قام هذا المشروع بـ:

1- إتاحة المعلومة.. بمعنى توفيرها في توقيت يتناسب مع الاحتياج الزمني لها، فمعلومة تتعلق مثلا بطبيعة سوق الزيتون في مصر تحتاج توفيرها لشخص يطعمها فيحصل عليها بعد عدة شهور تكون خريطة السوق قد تغيرت خلالها، ومن ثم يصعب من الخطأ الاعتماد على مثل هذه المعلومة في اتخاذ أي قرار.

2- دقة المعلومة.. أي تكون المعلومات والبيانات التي تقدمها هذه الجهات على درجة عالية من الدقة وتحاطب الاحتياجيات الحقيقية، فمثلا النظام المتبع حاليا في الجمارك المصرية يستخدم ما يطلق عليه الكود المتجانس، وبالتالي تأتي المعلومات التي توفرها الجمارك عن حركة البضائع والأسواق دون المستوى الذي تتيحه نظم التكويد الموحدة والطبيعية في دول أخرى، والتي تساعد أكثر في متابعة حركة أي بضائع سواء على مستوى الشركات أو المستوى القومي.

هذه الواقعة جعلتنا نساءل: كيف طرأت معلومة وصول المجموعة ومقر إقامتها وهدفها من الزيارة، ثم مررت بالعديد من الجهات، ثم جرى التعامل معها واستثمارها بهذه السرعة الهيبة وتحويلها إلى إجابات عن أسئلة لم يبدأ أصحابها طرحها بعد، ثم تقديمها في مكانها وولقيتها الصحيح؟ الأمر ببساطة أن هناك نظاما مستقرا وعالي الكفاءة لتتوير المعلومات داخل هونغ كونج، يجعلها تتدفق في اتجاهاتها المناسبة في الأوقات المناسبة، لتتوفر أقصى قدر من الكفاءة والسهولة والسرعة في العمل، وتعتبر النظام حجر الزاوية في التقدم والتميز الذي حققته هونغ كونج، ويرتكز على سلسلة من قواعد البيانات وشبكات المعلومات والاتصالات المرتبطة ببعضها البعض، والمتوحد على بعضها البعض، أي يقع سره بالكامل في قلب قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات هناك.

لفانصرو في هذه الواقعة أن المعلومة انتقلت من الورقة إلى قاعدة بيانات الجوريات في المطار، ونقلت على الفور إلى قاعدة بيانات أخرى تتابع اتجاهات وزيارات الوافدين إلى البلاد، وتعاملت معها أيا، وقامت بتوزيعها قاعدة بيانات أجنبية معلومات أخرى خاصة بالقطاع المعنى بالزيارة، ويدورها قامت شبكة القطاع بتوزيع المعلومة على كل العاملين به، ليبادرو بالاتصال بالمشروع، وفي الوقت نفسه أرسلت قاعدة المعلومات إلى الفندق ليختاروا منها.

هذا النظام ليس أجهزة وبرامج وآلات، ولكنه قبل كل شيء بيئة مفتوحة تتداول فيها المعلومات بحرية وشفافية، وتديرها عقول لديها مفاهيم وتصورات وأفكار وإساليب تعمل قدرا عاليا وعصريا من الوعي بأهمية المعلومات وكيفية التعامل معها، وضرورة توفيرها ولتأجيلها، حيث يحتاج إليها في الوقت المناسب بدقة عالية.

وهذا المثال يكفينا كيف أمكن لهذه المدينة أن توفر خدمات فعالة وعصرية لمواطنيها وزوارها، وتوفر أيضا فرصا واسعة للنمو والتطوير والبحث والإضافة، أمه شركات تكنولوجيا المعلومات، وذلك كله بالاعتماد على نظام معلومات عملاق، يستمد قوته الحقيقية من البيئة المفتوحة لتداول المعلومات، والمشاركة الفعالة من قبل سلسلة من شركات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، سواء التي وصلت في تطوير البرامج والتطبيقات أو التي استثمرت في إقامة قواعد البيانات، أو بناء شبكات الاتصالات والمعلومات.

وأهم ما في هذا المثال أنه أوجد

من المسافرين الذين وصلوا ثوبا مله اسماءه بيانات تحوي بندا خاصا بالعرض من الزيارة، وبسرعة شديدة كتبت مجموعة المسافرين أن العرض استطاع سوق مكونات الحاسبات والتعرف على شركات أو موردين يمكن التعامل معهم، وبعد حوالي ساعة كانوا أمام موقف الاستقبال في الفندق الذي قرروا الإقامة به، وكانت المفاجأة أن بانتظارهم قائمة بأسماء وعناوين جميع الشركات والموردين العاملين داخل البلاد، ذلك أن ما يزيد على ٢٠ شخصا من هذه الشركات اتصل بالفندق بالفعل طالبها بتحديد موعد مع المجموعة لعرض ما لديهم من منتجات والتفاوض حول تصديرها.



في مجتمع المعلومات العصرى لم يعد مطلوبا من الدول أن توفر لمواطنيها الخبز والجريه فقط، بل لا بد أن يكون معها المعلومات والبيان والحاسب وشبكة المعلومات



من الدول النامية تحتل الجهود الخاصة بتوليد محتوى محلي على الشبكة مرتبه ثانية أو ثالثة فيما يتعلق بصناعة الاتصالات والمعلومات عموما، في حين أن ذلك واحد من أهم البؤابر في عملية تنمية مجتمع معلوماتي منصف وعادل، يشمل كل اللغات والخصوصيات الثقافية.

المستوى المحلى

الحاصل فعليا أن هناك قيودا قوية تعوق تدفق المعلومات بحرية فيما بين وحدات المجتمع المختلفة، ومنها مثلا العلاقات العارشة من القرار الجمهوري رقم ٢٢٤ لسنة ١٩٨١ التي تنص على أنه لا يجوز لأية وزارة أو هيئة أو جهة أو فرد أو أفراد بالهكومة والقطاع العام أو الخاص أن ينشر أي وسيلة من وسائل النشر أو الإعلام أي مطبوعات أو نتائج أو بيانات أو معلومات إلا من واقع إحصاءات الجهاز المركزي للتنمية العامة والإحصاء، والإحصاءات غير المقررة ضمن برامج الجهاز لا يجوز نشرها إلا بموافقة الجهاز.

وعليا تشكل هذه المادة قيودا كبيرا على جميع ومما أوجع وإضافة لتدوير المعلومات ضمن الوحدات المختلفة المذكورة للاقتصاد المصري، ويسببها أصبح لزاما على الشركات التي تريد معلومات حقيقية عن الأوضاع السوقية المصرية أن تحصل على سلسلة من الموافقات قبل بدء إجراء دراسات السوق، ثم نشر الموافقة بالجريدة الرسمية، مما يستغرق أسابيع وربما شهورا، والمجهش أن تجد في الجريدة الرسمية المصرية قرارات رسمية تستمرق صمحات من الجريدة وهي تشهد عن موافقة صدرت لإحدى الشركات بدراسة سوق محافظات الأطفال بمصر.

و لا شك أن سير الأمور على هذا النحو ينحصر تأثيرها كليا مع متطلبات البنى صناعة تكنولوجيا المعلومات، التي تقوم بالأساس على نقل المعلومات (كذلك نجدت عن بناء قواعد بيانات، وإنشاء شركات تعمل في مجال خدمات المعلومات، بينما لا يوجد من هذا النوع ممنوعة عن حركة وتتدفق المعلومات؟ إلى الواقع العملي يمدنا بالتذكير من الأمثلة والمواقف الدالة على عمق هذا البعد في التنمية المعلوماتية، ومنه الواقعة التالية التي قالها لى الدكتور الحماوى:

في يوم من أيام عام ٩٦. أي قبل ١١ سنة من الآن، وصلت مجموعة من المصريين إلى مطار هونغ كونج، وإثنا فحص الجوازات طلب الضابط المسئول

شمولية المعلومات .. بمعنى أن تغطي المعلومات جميع أوجه النشاط الذي تتعلق به قدر الإمكان، فمثلا الممرات الخاصة بمنتج معين تتطلب معرفة حجم الأسواق لإلحاقها بالمنتجات من هذا المنتج سواء متزليا أو تجاريا أو لصنيعها، ويتطلب ذلك مطابقة البيانات من مصادر مختلفة سواء من جهة المصنع أو المستهلك أو مقدم الخدمة أو الموزعين أو المستهلك، وسيلة توفير المعلومات وسرعها، حيث يجب أن تستخدم وسائل متطورة تساعد على توفير المعلومة المناسبة فقط، وبسرعة مقبولة لطايفها

هذا المثال المتعلق بالتصاريح المتداول التجاري يمكن تكراره بشكل أو بآخر في العديد من القطاعات الأخرى التي يمكن تصنيفها ضمن نطاق المعلومات العام، مثل: معلومات الجمارك، وهي مصدر للحركة التجارية على مستوى الدولة، وبياناتها حاليا متأخرة سنة على الأقل، وقيمة المعلومات الجبركية في توافرها للحمل في نوعيتها، فهي لا تتطلب للدراسة الاقتصادية والتاريخية، ولذلك يجب توفير هذا البيان يوميا بل وفي نفس اليوم.

الحكومية والوزارات وشركات قطاع الأعمال العام: مثل المعلومات الخاصة بالانقاصات والأعمال التجارية التي تعد بالآلاف شهريا وربما يوميا. فهذه البيانات عادة ما تخرج بشكل جزئي، علاوة على أنها لا تتوافر في مصدر أو قاعدة بيانات واحدة، ولذلك يجب أن تطرح هذه البيانات وتتم ترسيبها في ظل قاعدة بيانات متكاملة.

معلومات المرور: مثل البيانات التي تتيح تتبع بيانات حركة السيارات وتداولها، والتي يمكن استثمارها في الخروج بمؤشرات مهمة عن الاقتصاد المصري ككل.

إن غياب معلومات من هذا النوع كان من أسباب ضعف صناعة المحتوى المحلي سواء في الإنترنت أو لدى الشركات التي



**النظام ليس
أجهزة وبرامج وآلات،
ولكنه بيئة
مفتوحة تتداول فيها
المعلومات بحرية
وشفافية، وتديرها عقول
تدرك أهمية
المعلومات وكيفية
التعامل معها**

معلومات البناء والإسكان والمحليات: تعتبر البيانات البيئية الخاصة بحركة تراخيص البناء والإسكان: من أهم المؤشرات التي تتيح معرفة حركة البناء العمراني، ومن ثم خدمة الشركات العاملة في قطاع المقاولات بأفرجه المختلفة، وهي أحد المؤشرات الاقتصادية المهمة التي يستخدمها العالم المتحضر.

معلومات السجل التجاري ومصلحة الشركات وهيئة الاستثمار: يوجد في مصر حوالي 2 مليون سجل تجاري، ومن شبه الاستحيل الحصول على بياناتها على الرغم من أهميتها القصوى للمستثمرين القدامى والجدد على السواء، إما بسبب التعقيدات الإدارية والروتينية، وإما لأنها غير محدثة وغير مجهزة للتعامل العوري.

المعلومات التجارية لدى وراثة الخارجية والتعاون الدولي: مثل المعلومات الكاملة عن الاتفاقيات التجارية بين مصر ودول العالم، واتفاقيات المنح والقروض والمساعدات، فهذه المعلومات تكاد تكون غير معروفة بشكل متكامل للفاطية العظمى من أصحاب الشركات، ويصعب الحصول عليها بشكل فعال، وذلك على الرغم من أن هذه المعلومات تعتبر أساسا لحركة التصدير.

المعلومات التجارية بالمصالح

تقدم خدمات المعلومات والمحتوى خارج الإنترنت، وكان عاملا من العوامل التي أضعفت الطلب المحلي على تكنولوجيا المعلومات، ويرجع ما يعرف بظاهرة الطلب الكامن على تكنولوجيا المعلومات، وإلى تعنى وجود احتياجات حقيقية لدى أطراف كثيرة بالمجتمع للتحويل نحو تكنولوجيا المعلومات، لكن أحدا لا يعي هذه الاحتياجات جيدا، فيحولها إلى طلب طاهري ويبدد إلى تحقيقها.

ومن أخطر النتائج التي ترسنت على هذه النقطة أن الشركات المحلية الطامعة للتصدير حومت إلى حد كبير من فرصة الاستفادة بالسوق المحلية كحلبة الاختبار وتميز قدراتها على الخروج للأسواق الخارجية، ففقدت لاتعاقلا مثل هذه المعلومات، وعدم القدرة على تحريرها وغياب الإحساس بأهمية تطويرها في أشكال مناسبة من قوائم تكنولوجيا المعلومات المختلفة. لم تتوافر لهذه الشركات الفرصة لتصميم واختبار وتشغيل نظم معلومات مصرية قوية يعتمد عليها في مجال المور أو الجمارك أو الضرائب أو غيرها، يمكن الخروج بها للأسواق الخارجية كسبحة أعمال يستند إليها

وأهمية ذلك تتمثل في أن أي شركة تريد الترويج لمنتج أو برنامج في الأسواق الخارجية للخارج تواجه عادة بأسئلة مثل مفتاح الدخول إلى عالم التصدير، وهي: هل جرى استخدام وتشغيل هذا البرنامج عمليا في بيئة العمل الحقيقية؟ وماذا حقق من نتائج عند استخدامه؟ هل أحدث توفيرها في الوقت؟ ما مدى التحسين الذي أحدثته في كفاءة أداء الأعمال؟ هل هو برنامج يعتمد عليه فعلا؟ بعبارة أخرى ما هي سابقة أعمال هذا البرنامج؟

في هذه الحالة .. (إذا لم يكن لدى الشركة المنتج للبرنامج سابقة أعمال فعلية، فعليه الرجوع من السوق التي تحاول دخولها، أو مواجها مصاعب في التسويق لا قبل لها بها، سواء من حيث التكلفة أو الوقت، لأن السوق الخارجية لم تعد مكانا سهلا أو مفتوحا، فالفرص تضيق بسرعة والمنافسون يتزايدون، وانتهى.. تقريبا. زمن اختبار البرامج الجديدة أمام مرة في أسواق التصدير العالمية، خاصة إذا كانت هذه البرامج من إنتاج شركات تنتمي لبلد من بلدان العالم الثالث كمصر، ومن ثم لم تعد هناك مجال لتتنس في هذه شركات تكنولوجيا المعلومات المصرية سابقة أعمالها وسجل نجاح تطبيقاتها ونظمها سوى السوق المحلية، وتكون فيها قليل من المنافسين العالميين الموجودين محليا، ولشكلا أن القيود المفروضة على تدفق المعلومات تعد من الأسباب التي تعوق هذا الاتجاه

ولذلك فإن هذه الأمثلة السابقة من المعلومات وغيرها الكثير، يجب أن تتوافر يوميا بالجدوة المناسبة وبالشكل المترابط امام من يطلبها ويحتاجها من المستثمرين وأصحاب الشركات والقائمين على صنع القرار الاقتصادي، سواء هي الجهار الحكومي أو القطاع الخاص، وقيل كل شيء أمام صناعة تكنولوجيا المعلومات، ومن الطبيعي أن يتم توفير هذه المعلومات على مراحل في ظل إطار متكامل يشهد صناعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ليس بهدف خدمة الحكومة ولكن بهدف خدمة الدولة، والدولة تكون من الحكومة والقطاع الخاص معا، وتحويل المعلومات إلى إتجائية، وهي قيمة القطاع الخاص مما يتطلب أن تتحول هذه البحور من المعلومات إلى نظم متكاملة، تهدف أولا إلى خدمة القطاع الخاص، والذي يستيج تويلا للفرزينة العامة للدولة عندما ترتفع إنتاجيته، وقد أثبتت الدول المتقدمة الأساليب التالية لكي تنصص وصول هذه المعلومات إلى مستخدميها وذلك من خلال،

بناء قواعد البيانات الأساسية (البيانات الخام) في الجهات الحكومية، إعطاء تراخيص استخدام لشركات قطاع خاص متخصصة ذات خبرة، لكي تتصل بهذه القواعد الأساسية، وتحصل منها على بيانات خام،

تقوم هذه الشركات المتخصصة بمعالجة البيانات الخام، وتحويلها إلى معلومات ذات قيمة اقتصادية حقيقية، وتوفرها للشركات التي طلبها بمقابل زهيد، سواء بالاتصال المباشر أو في شكل تقارير دورية وما شابه،

بناء على رد فعل واحتياجات السوق من معلومات يتم تعديل وتحديث قواعد البيانات الأساسية

هذه الأساليب كانت الأساس في بناء بيئة معلومات حرة سهلة التداول وتنتمى بالشفافية، وهذه البيئة قدمت لصناعة تكنولوجيا المعلومات فائدة تبت، الأولى، أنها شكلت لها مصدرا للاستثمار والعمل والنمو والتطوير وفتح آفاق جديدة للعمل أمام الشركات والمؤسسات العامة في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والثانية، أنها سهلت الطريق أمام هذا المطاع لكي يكتب كل يوم أرضية جديدة وأهمية أعلى داخل منظومة المجتمع الإدارية والاجتماعية والحياتية،

ولو نظرنا إلى الولايات المتحدة مثلا، نجد أن بيئة

السفير ومهمته عند اتخاذ قرار بإياداه إلى العراق. فقد ذهب السفير للعراق والانس لا يعرف لوقت سفره ولا المستوى الذي يمثل ولم تتمكن الصحافة من الحصول على هذه المعلومات ونشرها على الناس في موعدها. ولذلك وقعت الخارجية في مرمى العديد من السهام الجارحة. فعيايا معلومة مستوى التمثيل جعل الجميع يرجع الاغتيال إلى رفع الخارجية لمستوى التمثيل إلى درجة السفير. هاضطرت الخارجية للإفراج عن وثائق نشرتها صحيفة هبسية الأخبار بعد اغتياله بعدة أيام. أكدت إنه ذهب لليبيا لبعثة وليس سفيرا. وغيب المعلومة الخاصة بتوقييت وصورة لبعثاده سطل على رقبة الخارجية اتهامها أخيرا بفتحها للسفير إلى هناك بناء على تعليمات من وزيرة الخارجية الأمريكية خلال زيارتها القصيرة للقاهرة في وقت سابق على الاغتيال. في حين أن الرجل كان يعمل ببعدها قبل محنة السفارة بأسابيع. وهكذا دفعت الخارجية. ومصر كلها. ضمن عدم توافر المعلومات في توقيتها المناسب. ولو دققنا النظر في الغالبية الساحقة من القضايا المنجية التي اشرت جدلا أو قادت بعض الزعماء لوقوف امام الحاكم سنجد أن حالة (فتح المعلومات) المذكورة محتمما وصحيفا صاعلة في تلك الاونة لأن فتح المعلومات هيا الظروف لتسويق الاستنتاجات والانتقابات والتنمية والمحتوى السامع غير الموثق داخل الصحافة بما فيه من تجاوزات وتهور بدلا من المنطق المستند إلى معلومات ترسم حقائق الواقع يصدق وجرة واحرام. وأزعم أن مثل هذا المناخ افقر حالة من الضبابية وعدم الوضوح لا تشيد احدا. فهو من ناحية يحرم الصحافة من ممارسة النقد والمهجوم على الأوضاع الخاطئة بالطريقة الصحيحة الواجبة المحترمة. ومن ناحية أخرى يحرم من تعرض للنقد من ادعاه. يدافع عن نفسه بطريقة صهيبة. بعبارة أخرى يلحق الضرر بالطرفين فلا يكون الهجوم إيجابيا ولا الدفاع ناجعا. وهنا قد يكون تساؤل ما سبب حالة الفكر العولاني التي تعميها الصحافة؟ هناك عشرات الاسباب التي يمكن أن تسوقها في هذا الصدد. منها على سبيل المثال أن لدينا إرثا يبروقراطيا وقانونيا رسيخ بالتمسك ثقافة مضادة لحرية تداول المعلومات. ليس فقط صحفيا واعلاميا ولكن بين الإدارات المختلفة داخل الوزارة الواحدة وربما بين الأشخاص داخل الإدارة الواحدة. فمثلا هناك المادة العاشرة من القرار الجمهوري رقم ٢٩١٥ لسنة ١٩٦٤ التي تنص على انه لا يجوز لأية وزارة أو هيئة أو جهة أو

واكثرها وضوحا ما تكشف من معلومات هاجمة عن أن نسبة من محلات عمر افندي معلومة للأفراد أن هذا يتشكل عانها قانونيا واجرائيا امام الصحافة. وظهر المادون على الصحافة في سوف (رد الصل) حال نشر هذه المعلومات على الناس. مما يدل على أنهم (فوجئوا بها). أما المتعرضون فلم يتحركوا من توفير بيانات ومعلومات تتعنق اليانية العامة بإيقاظها أو يبدحون موقف أنصار الصحافة. وقد انعكس الفكر المعلوماتي حول الصحافة على الصحافة. فحرمته هي الأخرى مما تستحق من معلومات عن الصحافة. وفي ظل هذا الحرمان تعرضت للاستغلال من الفرضيين وبنت غير قادرة على قيادة الرأي العام صوب موقف محدد.



ولو عدنا بالذاكرة للواء قتيلا سنجد أن هناك العديد من القضايا الماثلة التي إذا ما قرأناها معلومات سنصدم بحالة (فكر المعلومات) التي تعميها الصحافة. فمن قضية المبادئ الرأسمالية لم تكن هناك آلية تكفل للصحافة الوصول إلى الوثائق الحقيقية المتعلقة بالقياس في داخل وزارة الزراعة وأجهزة الدولة الأخرى. فلم ينشر مثلا نص قرار إلغاء لجنة المبادئ ولا حثيات صفوره لأنها بسيطة كانت معلومة وممت. وإسماء من وقعوا تحت للصحافة معرفة الأعداد الدقيقة والحقيقية للمبيدات التي دخلت البلاد بصورة مخالفة وممت. وإسماء من وقعوا على أمر استيرادها. ولم تظهر وثائق أو معلومات ترسم خريطة واضحة لسار هذه المبيدات منذ لحظة خروجها من الموانئ وحتى رسوها في الأرض. ومن الذين تداولوا مع المواصل التي استخدمت فيها وممتي. والمواقع الجغرافية التي وصلتها ونسب الاستخدام في كل منطقة. وهم شخصيا تعامل معها. ونسب بقاها في الشربة والخاصية والخصائص والفائدة. ولو كانت هناك البنايات تضمن حق الصحافة في الحصول على هذه المعلومات في التوقيت المناسب لاستطاعت الصحف أن تقوم بدورها في بداية الأرمة وليس بعد مرور حوالى ست سنوات على ارتكاب هذا الخطأ.

ولم تكن قضية خطف واغتيال السفير المصري ببعثة امام حال من قضية المبيدات. وفي اعتقادي أن جزءا كبيرا من المارق الذي واجهته وزارة الخارجية في علاقته مع الرأي العام آنذاك كان يعود إلى أن الخارجية لم توفر منذ البداية معلومات كاملة للناس عن

وجهات النظر بين البليين. ولا أحد يعرف ما هي القضايا التي بحثت في العلاقات الثنائية هل هي تجارية أم صناعية أم سياسية. وما الذي تم بحثه وما هي وجهات النظر التي تطابقت .. لا معلومة!!

وفي صفقة عمر افندي تعرض المجتمع لحالة استقطاب حادة بين من شنوا الهجوم الصارخ على الصحافة ومن دافعوا عنها باستماتة. وبسبب غياب المعلومات الأولية والبيانات الصحيحة قتال الطرفان ولا يزالان دون أن يتمكن أي منهما من حسم موقف الرأي العام لصالحه. هاداهون واصحاب القضية بدوا كما لو أنهم لا يملكون معلومات حاسمة متكاملة عن الصحافة. وهناك عشرات الأدلة على ذلك لعل أبسطها



لنا أن نصور

حجم فرص العمل،
والبرامج المطلوبة
لتنفيذ مشروع جمع
وتفهرسة جميع
اتفاقيات التبادل
التجاري بين مصر
والعالم منذ الخمسينيات
وحتى الآن



المعلومات المتوحدة حرة التداول. وقررت فرض عمل لا يقرب من عشرة ملايين شخص. فقد تقديرات الدكتور الحناوي. يعملون يوميا في جمع وتحليل ونشر هذه النوعية من المعلومات. التي تمثل عين وأن هذا الاقتصاد. وبحكم هذه العلاقة تشريعا مجموعة من القوانين أعطاها قانون حرية المعلومات أو Freedom of Information Act (FOIA). وهذا القانون تيممه جميع الدول المتحضرة. ومصر هي أسى الحاجة لقانون مماثل. حيث أن ٩٠% من المعلومات تملكها الدولة

قراءات معلوماتية

أغلب الأحاديث التي تدور بمصر حاليا حول أوضاع الصحافة والإعلام والنشر. تنصب في غالبيتها السابقة على الأبعاد الأخلاقية وميثاق الشرف الصحفي وجودة النقد والأبعاد القانونية كالحجس في قضايا النشر وحرية الصحافة والقبول الفروصة على النشر واصدار الصحف والأبعاد الاقتصادية والمالية للصحف. ويوسط الصبغ لم يحط هذا (الهم الوطني) (بالقراءة المعلوماتية) التي يستحقها والاهتمام بما يكفى بقضية حرية تداول المعلومات وتأثيرها على ما يجري بالصحافة. والمعارفة أن هذه القراءة غابت على الرغم من أن الصحافة في الجملة هي في التحليل الأخير قناة توصيل وجبة (معلومات) إلى الناس لكي يستخدموها في تكوين رأي أو اتخاذ موقف. ومن هنا يصبح من الخطأ أن نناقش قضايا الصحافة والنشر ونهمل معانها الصحافة في (الشع المعلوماتي) الذي يحمل ما تقدمه من معلومات دقيقة وكاملة وحديثة في توقيتها المناسب شذيل جدا أمام ما تنضج من معالجات فكرية وسطحية واستنتاجات وشائعات وتخمينات شخصية لعشرات من القضايا والظهور الوطنية هائلة الأهمية. وهو وضع غير مقبول لأنه يفقد بعض الأطراف القدرة على شن هجمات سليمة تحظى بالاحترام. ويعقد أطرافها الأخرى القدرة على الرد بدفاع إيجابي فعال.

فيما نلاحظ (معين معلوماتية) إلى الكثير مما يكتب أو ينشر حول القضايا الساخنة الجارية سنكتشف على الفور الجصور القوى والظهور الجباب القوى لحرية تداول المعلومات. وقد مثلا ما يشير حول المقالات والباحثات بين كبار السنوليين ومضيفهم مستجدها تتحدث عن بحث العلاقات الثنائية وتطابق

كتاب الزاوية



العرب والفلسفة الأوروبية

عبد الرحمن بدوي

دور العرب في تكوين الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى دور مزدوج: دور الرسول الحامل لهم رسالة اليونان في الفلسفة، ودور الفاعل المؤثر بما ابتكر وأنتج. فمن طريق العرب عرفت أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مؤلفات أرسطو وقطعا من فلسفة أفلاطون وأبرقلس، ومعالم من فلاسفة أفلاطون. إذ قام المترجمون في طليطلة وفي صقلية، وهم الذين تحدثنا عن نشاطهم في مسهل هذا البحث، بترجمة كتاب «البرهان» من منطق أرسطو أغنى «التحليلات الثمانية» و«السماء والعالم»، و«الكون والفساد» و«السماع الطبيعي» و«الأثار العلوية»، كما ترجموا كتاب «الخبر المحض» المنسوب إلى أرسطو، وهو في الحقيقة فصول منتزعة من «إلهيات» أبرقلس.

وعن هذا الطريق عرفت أوروبا أرسطو وأبرقلس. فكان لهما أثر هائل في إخصاب الفكر الأوروبي الذي سرعان ما خضع لفلسفة أرسطو خضوعاً تاماً.

وأعمق من هذا أثراً بكثير، أثر الفلسفة العرب أنفسهم في أوروبا لما أن ترجمت بعض مؤلفاتهم إلى اللاتينية، وبعض اللغات الأوروبية الحديثة الناشئة، وترجم يوحنا الإيساني «منطق» ابن سينا، وترجم جنديسافلي (غضائيه) بمصباح يوحنا الألباني قسم «الطبائعية» من كتاب «الشفاء» وقسم «النفس» و«الإلهيات» من «الشفاء» لأين سينا أيضاً، كما ترجموا «مقاصد الفلاسفة» للغزالي. ومن ناحية أخرى ترجم جيراردو الكريمني جملة رسائل للكندي، فيلسوف العرب، منها رسالة في العقل ورسالة الجواهر الخمسة، كما ترجم، فيما يبدو، رسالة «في العقل» للغزالي.

الموجودة بقواعد البيانات، دون أن تقوم بالحصول عليها بنفسها بشكل مباشر. والثاني، أن معظم الموظفين في جميع الدرجات يعمدون إلى إخفاء المعلومات اعتقاداً منهم أنها مصدر القوة، وإيها إما أعطوا المعلومة فهدوا سر قوتهم، ولذلك يجب أن يحدث تغيير تشريعي يجرم من يخفي المعلومة عبر السرية. أو غير المحمية لأسباب أمنية. أسوة بما هو معمول به في الخارج، كما يجب العمل على تغيير هذه النظرة، حتى يفتتن الجميع أن قوة المعلومة في قوافرها وليس في حجبها داخل الأدرج.

والنوع السابق يجعلنا نطالب بضروة إصدار قانون يضمن حرية تداول وتبادل المعلومات، بين مراكز وأطراف ووحدات الجهاز الإداري والاقتصادي والخدمي للدولة سواء حكومة أو قطاعاً خاصاً، بما يوفر للمواطن والمستثمر وصاحب القرار دعماً قوياً، من خلال المعلومة الصحيحة في الوقت المناسب، ويضفي على الاقتصاد المصري قدراً من الشفافية والوضوح، وينقش عنه غبار سئس طويلة من قصر المعلومات وعدم دقتها، ويؤهله للتعامل بكفاءة مع التغيرات الاقتصادية المعقدة التي يمر بها الاقتصاد العالمي حالياً، والذي يتحول بسرعة إلى اقتصاد المعلومات أو الاقتصاد الشبكي، وبما يهيء بيئة مناسبة تساعد في دفع مشروع النهضة بتكنولوجيا المعلومات للأمم، من خلال فتح فرص للاستثمار وتقوية أوضاع هذه الصناعة داخل المجتمع والدولة.

ولابد أن تُشد قوة هذا القانون في تحرير المعلومات لتشمل المعلومات الموجودة لدى الحكومة وما يتبعها من هيئات وشركات ووزارات وخلافه، ولا يكون محصوراً فقط على القطاع الخاص والاستثمار، لأن الجهات الحكومية هي المالكة للتأليبية الساقطة من المعلومات والبيانات المتوافرة في البلاد، وفي المقابل على القانون أن يضمن الحماية الكاملة للمعلومات التي لا يصح تداولها، فتحرير المعلومات لا يعني تزويد المعلومات بجميع أشكالها متاحة لأي شخص من أي جهة، فالمعلومات المتعلقة بالأمن والأموال العسكرية وغيرها من الحالات ذات الحساسية، لابد أن تظل محمية تماماً ولا يتم تداولها إلا بمعرفة الجهات المختصة فقط، فليس مقصوراً على ولا من حقه أن يطالب بحرية تداول المعلومات التي ترى الأجهزة المختصة بالدولة أنها تتعلق بالأمن القومي أو تدخل في عداد أسرار الدولة.. لكن نحن نطالب بتحرير المعلومات التي تدخل في (نطاق المعلومات العام) وبأن ينظر إليها كحق من حقوق الإنسان.

فرد أو أفراد بالحكومة والقطاع العام أو الخاص أن ينشر بأي وسيلة من وسائل النشر أو الإعلام أي معلومات أو نتائج أو بيانات أو معلومات إلا من والبع إحصاءات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، والإحصاءات غير المقررة ضمن برامج الجهاز لا يجوز نشرها إلا بموافقة الجهاز، وعلى الرغم من أن هذه المادة تعتبر شبه ميتة إلا أنها واحد من الأسباب التي لعبت خلال العقود الماضية دوراً في ترسيخ الثقافة المضادة لحرية تداول المعلومات.

من هذه الأسباب أيضاً أنه ليس لدينا حتى الآن تحديد واضح للمعلومات المسموح بنشرها والإطلاع عليها والمعلومات المطلوب الحفاظ على سريتها، والحاصل أنه باسم الدواعي الأمنية وأصلحة العامة تم تقييد جميع المعلومات ويحرم الصحفيون، ومعهم الناس، من حقهم الأصيل في الحصول عليها. يمكننا أن نضيف إلى ذلك أن القصر الأكبر من المعلومات المهمة والحيوية للصداقة لا يزال بأيدى فئة من الموظفين والمسلطين المنتشرين في شتى الجهات والهيئات العامة والخاصة، يتعاملون مع المعلومات بمنطق الاعتقال. لأنهم نشأوا ومارسوا حياتهم الوظيفية وفق قاعدة الحجب التلقائي للمعلومات في أكوام الورق والمستندات وأرثال الملفات، ولم يسمعو بعد بالتغيرات الهائلة في مجال الحريات السياسية وحقوق الإنسان عالمياً ومحلياً، وأن سمو لا يتصلون وإن تغسلوا فعلى مضمض ويروج مقترعة بالجدبيد وتوافقه للجدبيد، ولم يعد هناك مفر سوى التعامل معهم بقوة القانون.

وخلاصة القرامة (المعلوماتية) لهذه القضية أنه إذا ظلت المعلومات محتجبة ومحجوبة فمن تكون هناك مصالحة حرة مسؤولة تمارس دورها برشد وفعالية. وسيظل المجتمع بأسره عرضة من وقت لآخر لوجاه من الاحتقان والاستقطاب الحاد صحفياً وإعلامياً.

الجل .. قانون لحرية المعلومات

إذن نحن واقعياً إزاء حالة حجب للبيانات والمعلومات أو عدم الاكتراث بها داخل المجتمع ككل، بما في ذلك مجتمع تكنولوجيا المعلومات نفسه، ويبدو أن ثقافتنا الحالية، كما يقول الدكتور الحفناوي، تمنع نشر المعلومات لسببين، الأول: الخوف من أن تستخدم المعلومات التي يتم توفيرها من قبل الضالبي، وعليه فيجب أن يصدر قانون يضمن صراحة على أنه لا يجوز لمصلحة الضالبي أن تستفيد من المعلومات

القول بأن الغزو اللغوي الثقافي هو أخطر أنواع الغزو جميعا ليس بالقول الأيديولوجي بل هو قول ذو مصداقية علمية عالية من وجهة نظرنا للرموز البشرية التي تؤكد على مركزية الرموز البشرية في هوية الإنسان



دواسطة منظومة الرموز البشرية الثقافة في اللغة المخطوفة والمكتوبة ودهم مركزية اللغة في هوية الإنسان وبالتالي في بروز ظاهرة الرموز البشرية الثقافية في المجتمعات والمجتمعات البشرية، فإن لظهور تعريف مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية العربية المعاصرة لا يدرك اللغة كعنصر مركزي وأساسى للثقافة، فقد عرف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد رنارد تيلر (١٨٧١) الثقافة Culture بأنها ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والمعتقد والقيم والأخلاق والتقليد وآتى ومقدرات ومعدات يمتلكها الإنسان كمعضو في المجتمع، ويتلخص في تصور هذا التعريف التلاشي للثقافة في كونه لا يشير إلى اللغة ولا يعطيها الصدارة في مكونات منظومة الثقافة أو الرموز البشرية، والحال أن اللغة هي منسقة ظاهرة الثقافة نفسها كما بينا، أي أن العلاقة علاقة عضوية جدا بين اللغة وثقافتها، ومن ثم يتضح قصور تعريف مفهوم الثقافة الذي لا يتضمن بكل وضوح صدارة اللغة في تعريف مفهوم الثقافة البشرية (١٩٧٣ W. White).

يتبين مما سبق أن نظريتنا للثقافة، الرموز البشرية تتركز على أن الثقافة هي ذلك الجانب غير البيولوجي الفيزيولوجي لهوية الإنسان المزدوجة (الرموز البشرية والجسم) كما يبين الرسم في هذه المقالة. وأن جانب الرموز البشرية الثقافية هو بيت التقصيد في هوية الكائن البشري، أي أن لظوق هذا الأخير على نية الثقافة الإنسانية لا حصر وسيادته عليها كانت من الجانب غير المادي في هويته المزدوجة، وأن الرموز البشرية الثقافية، وإن اللغة المخطوفة والمكتوبة هي مصدر تمييز الجنس البشري ومن سواه بمنظومة الثقافة. ومن ثم، فإنسان ليس حيوانا طبعيا حسبكم، قال قدام الملاسلة بل هو أيضا كائن رموزى / ثقافى بالطبع وبمعناه أخرى، فتشيز الكائن البشري عن سواه من الكائنات الأخرى بالظفر على استعمال اللغة في تشكيلها المنطوق والمكتوب، بطريقة لا خيار له فيه، لكن يكون وحده مخلوقا رموزيا / ثقافيا بالطبع، وبمصطلح العلوم الاجتماعية الحديثة، يسهل القول بأن علاقة الإنسان بالمنطوق والمكتوب جدا بين لغة المنطوق والمكتوب على نية البشر، من جهة الإنسانية، من جهة تانيه.

ونظرا لكونه منظومة الثقافة، الرموز البشرية في صلب هويات الأفراد والأجماعات

خلو الرموز البشرية من عاملى الوزن والحجم في فهم سرعة ثورة الاتصالات في عصر العولمة، فتشكى بذكر مصع الأمثلة، فمما تصل الرسائل والوثائق المرسله بالفاكس والإنترنت بسرعة كبيرة مقارنة بالقيام بنص الرسالة باليد، العادى أو حتى السريع ويمكن تفسير ذلك بكل بساطة في أن الرسالة بالفاكس والإنترنت تلقى عاملى الوزن والحجم للشيء المرسل، وهذا يعنى أن هذا النوع من المراسلة يحذر الشيء المرسل من مصطلحاته المادية (الوزن والحجم) فيبعده إلى طبيعته الأولى المتمثلة في أن ليس للرموز البشرية وزن وحجم، وبانقياب المطلق أصلا ليهيئ المنصيرين في كل مكونات منظومة الرموز البشرية تتأهل هذه الأخيرة بكل ما يفسر أيضا من شدة سرعة تنقل الكلمة تشبه ما يورى من السرعة المبهتة لتسل الكائنات الوحيدة والمتاهيرية. وهذا ما يفسر أيضا من شدة سرعة تنقل الكلمة عبر الصوت، فأصبحت مضرا للأمثال فتطير طائرة الكونكورد بسرعة كبيرة، فترجع من سرعة الصوت، فترجع هذه السرعة الفائقة لكون أن الكلمة المنقولة عبر الصوت في الفضاء البسيط هي مسافة قريبة بين الأفراد أو إنشاء تهاقمهم على مسافات بعيدة بالوثائق الجوفاء الممنوعة أو الفارة / الممنوعة في كلمة ليس لها في الأصل لا وزن ولا حجم، وبالتالي فهي طليقة سرعة بغيرتها لا يعرقل نقلها سرعة الوزن والحجم، هذان العنصران الماديان.

اللغة ونشأة الثقافة

عند التساؤل عن أهم عنصر في منظومة الرموز البشرية / الثقافية يلف وراء ميلاد هذه المنظومة الميزة لتجلى البشرى، فإن اللغة البشرية المكتوبة والمنطوقة تكون هي وحدها اللغوية لبروز ظاهرة الرموز البشرية / الثقافية. يمكن تخيل وجود بقية عناصر الرموز البشرية كاديس والعم والفكر بدون حضور الرموز البشرية / الثقافية. والمكتوبة. ومن ثم جاءت مشروعية اعتبارنا أن اللغة هي أم الرموز البشرية جميعا. ونظرا لكون اللغة المخطوفة والمكتوبة في نشأة منظومة الرموز البشرية أو الثقافة بتعمير علمى الأنثروبولوجيا والاجتماع على الخصوص، فإن وصف الإنسان بأنه حيوان ناطق وصف مشروع جدا لأن أكثر ما يميز الجنس البشرى عن بقية الأجناس الأخرى ويعطيه السيادة عليها

الناطقة باللغة الفلمنسية، من ناحية أخرى (International 2006 Courier) إن مركزية الرموز البشرية في هوية الإنسان كما تجل في الرسم أدت عندنا إلى بروز مفهوم جديد نسميه البيولوجيا الرموزية Symbolobiology أى أن الرموز البشرية تؤثر في هندسة جسد الإنسان من حيث بنية دمه وقول أمده حياته. إنه مفهوم معاكس لمفهوم السوسيولوجيا Sociobiology الذى يرى أنه يمكن تفسير الكثير من السلوكيات الاجتماعية والثقافية البشرية انطلاقا من معطيات بيولوجيا الإنسان (١٩٧٥).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المدارس العسكرية والنظريات المعاصرة في العلوم الاجتماعية لا تبني، كما نفعل نحن، الرموز البشرية كمركز لكل أو على تشكيل هوية الإنسان وسلوكاته وحركة المجتمعات والحضارات الإنسانية. يتطلى هذا على الماركسية والبنوية والتخليق النفسى والسلوكية Behaviorism وغيرها من نظريات ومدارس العلوم الاجتماعية.

الجوانب المتعالية للرموز

البشرية وثورة الاتصالات

وبالتعمق في محاولة فهم طبيعة الرموز البشرية تتجلى عدة معالم أصابع أخرى حولها.

أ. ليس للرموز البشرية وزن أو حجم بالعينى المادى للأشياء، أى أن هذه الرموز البشرية ليست ذات طبيعة مادية بل طبيعة غير مادية / روحية / متعالية / transcendental. وبمعناه أخرى، يتجلى جوهر الإنسان وأعم ما يملكه في هذا النوع من الرموز البشرية المتعالية (الوثاوى) ٢٠٠٥ ب، ١٢٠٨). ويتضح هذا كثيرا مع رؤية المبادئ والحكماء والعارسة على مر العصور. فافتران مثلا يؤكد في أياته المتعددة على أهمية أووية تبنى الرموز للرموز البشرية من تعلم القراءة والخطب في العلم وكسب رهان التفكير الدائم والاتصاف بالقيم النبيلة مثل العدل والخلق الفاضل (وإنك لعللى لعل عظيم). إذ الرموز البشرية في المنظور القرآنى وفي الرؤية الموضوعية التحليلية، كما رأينا في الرسم، هي بيت التقصيد في هوية الإنسان فيها وحدها جاء لتشيرف الجنس البشرى بالقيادة والسيادة (العلمانية في هذا العالم / الكون.

ب. أما على مستوى توظيف مفهوم

أما سيادة الجنس البشرى هي ذات علاقة قوية وبمباشرة بالعلمى ؛ و الهوية المزدوجة والرموز البشرية والعنصر المشترك بين هذين العلمين هو منظومة الرموز البشرية وهكذا يتحلى الجور الممركى والجاسم لمنظومة الرموز البشرية في تشكيل الإنسان وحده من السيادة / الخلافة في هذا العالم / الكون ومن ناحية أخرى، فقد كاتنا المجلة الأمريكية Scientific American سائلي من تفسير علمى لسبب بطء النمو الحسى عند بنى البشر، لاد المسؤلون في المجلة بالصلصمت لما يقرب من السنة. وعندها أسأنا السرد في ١٩ أكتوبر ٢٠٠٥ كان خالينا من الإجابة على سؤالنا.

إن اكتفت مراسلتهم الإلكترونية بالنصيحة التالية: الرءاء تصطح الموالع الإلكترونية لعل الأنثروبولوجيا لعل تقرر على إجابة لسؤالكم، وفي غياب معلومات علمية حول الموضوع من هذه المجلة الأمريكية المشهورة رأينا طرح فرضيتنا للتفسير.

إن الرموز البشرية تسمح بتعمير المعلن ٢٠٠٥ فالجسم الجسمى البطيء عند الإنسان يمكن إرجاعه إلى كون أن عملية النمو عنده تشمل جهتين: الجهة الجسمية والجهة الرموزية البشرية، وهذا خلافا للنمو الجسمى السريع عند الكائنات الأخرى بسبب فقدانها لمنظومة الرموز البشرية بمعناها البشرى الواسع والمعقد، وهذا يعنى أن نمو الكائن البشرى على مستويين يلاذ إلى بطء عملية النمو ككل عنده، أى على الجهتين.

وهناك مشروعية لوصف هذا الإطار التحليلي للرموز البشرية بأنه عبارة عن نظرية لأن النظرية في ذلك الإطار الفكري الذى يفسر هذا من الطواهر المختلفة، وهذا ما تقوم به نظرية الرموز البشرية عندنا. فالعلم ٢٠٠٦ ٣، ١ الميزة للإنسان في الرسم هي صفة مركزية الرموز البشرية في هوية الإنسان.

ومن ثاى مصاديق استعمال الرموز البشرية لبناء نظرية لهمم وتفسير طبيعة الإنسان وسلوكات الناس وشؤون مجتمعاتهم كما سوف نرى في تفسير عدة ظواهر اجتماعية ومجتمعية وبخاضرة مثل ظاهرة الأمية العربية وحوار الحضارات وأسالة العلاقة المتوترة بين كذا وكذا، من ناحية، وبين قسمي المجتمع البلجيكي المنطقية اللغوية في هذا العالم / المنطقة بالفرنسية ونظيرتها الفلمندرية

رموز كيبيك ويليجيا

تمثل كيبيك إحدى المقاطعات العشر التي تكونت منها، هذا البلد الهامشي الأطراف في شمال القارة الأمريكية. هو نظام الحكم السياسي الفيدرالي هو الذي يربط المقاطعات العشر ويجعلها تتمتع رسمياً إلى وطن واحد هو كندا. لكي يكتسب وبقية المقاطعات الكندية لا تكاد تكون أن أمة لأنها لا تتكلم لغة واحدة ولا تدين بدين واحد. إلا اللغة الفرنسية هي لغة أغلبية سكان مقاطعة كيبيك، بينما اللغة الإنجليزية هي لغة معظم سكان المقاطعات الكندية التسع الأخرى. ومن ناحية أخرى، غالبية مواطني كيبيك يدينون بالديانة المسيحية الكاثوليكية، بينما تعتقد أغلبية سكان بقية المقاطعات الديانة المسيحية البروتستانتية. ومن ثم، فمن الصعب اعتبار كندا أمة. لعقدان توفر الاشتراك في لغة واحدة على الخصوص بين كل سكان المجتمع الكندي، إن هذا الاختلاف في أهم عنصرين للرموز البشرية (اللغة والدين) بين كيبيك وبقية المقاطعات الكندية الإنجليزية يحفز حالة التوتر السائدة بين كيبيك والسلطة الفيدرالية منذ عقود. بالتحريز الانفصالي بكيبيك، *parti québécois* لتتلقى باكثر من استفتاء قصد الحصول على انفصال كيبيك عن كندا أو تمتع كيبيك في الفيدرالية الكندية بصفة المجتمع الخاص. Une société distincte داخل المجتمع الكندي الكبير.

وعلى مستوى آخر، اهتم الباحثون الاجتماعيين بدراسة ظاهرة العزلة بين *Les deux solutions* في مدينة مقاطعة كيبيك وخاصة في مدينة مونتريال التي يسكنها كثاقلون في المائة من أهل كيبيك الناطقين بالفرنسية وعشرون في المائة من الكنديين الناطقين بالإنجليزية. فالجوعتان لا تفران نفس الصحف ولا تستمعان إلى نفس الإذاعات الوطنية ولا تشاهدان نفس المحطات التليفزيونية ولا تلبسان عموماً إلى نفس الطعام وبمعارة أخرى، فتشكل كل مجموعة لغتها جعلها في حالة عزلة عن بعضها البعض رغم توأجدها في نفس الحي وحتى في نفس العمارة وذلك هو المعنى السوسولوجي لفهم العزلة في المجتمع الكيبيكي الحديث (Porter 1967, Rocher 1990)

ويشابه الوضع في ويليجيا مع نظيره في كندا بسبب وجود لغتين رئيسيتين في المجتمع الكيبيكي الذي يتكون من مجموعتين رئيسيتين هما الملمنديون *Flandams* ولولنديون *Les Wallons* ... يتجاوز سكان منطقة فلندرا أكثر من ملايين بينما لا يبلغ عدد سكان منطقة فالونيا ٤ ملايين. تتحدث المجموعة الأولى اللغة الفلمندية وتتكلم الثانية اللغة الفرنسية. أدى ويرؤى هذا الاختلاف في اللغة على

الباحثين في شؤون الأمم والشعوب (بركات ٢٠٠٠ : ٦٥-٩٦). ويأتي اشتراك أغلبية سكان الأقطار العربية في الدين الإسلامي ليبرز، من جهة، حقيقة وجود أمة عربية إسلامية في الفضاء الجغرافي بين الخليج والمحيط. ومن جهة أخرى، يزيد الاشتراك في اللغة العربية بين الشعوب العربية في قوة التصامن بين المجتمعات المكونة لهذه الأمة. فالأحاطات المتكررة تفيد أن الأغلبية الساحقة من المواطنين العرب المسلمين يظهرون بطريقة عموية اللاشعورية تعاطفاً أكبر مع الشعب الفلسطيني المكافح مقارنة بتعاطفهم مع الشعوب المسلمة المكافحة في البوسنة والهرسك وفي الشيشان وفي الفلبين.

فالتحليل السوسولوجي لهذه الظاهرة يشير إلى مدى أهمية دور اشتراك الناس في لغة واحدة في زيادة درجة التعاطف بينهم. وبالتحديد، الخلدوني، فعامل اللغة والدين هما أقوى عناصر منظومة الرموز البشرية في تشكيل صلاية الصبغة/ التصامن بين بني البشر. فالأمة العربية هي، من جهة، نتيجة لاشتراك معظم مواطنيها في اللغة العربية والعقيدة الإسلامية. ومن جهة ثانية، فإن مصدر تضامننا على مر العصور يأتي في المقام الأول من اشتراك شعوبها في منظومة رموز بشرية واحدة تنصهرها اللغة العربية والدين الإسلامي.

ومن هذا المنظور، فالأمة العربية هي أمة منظومة ثقافية أو رموز بشرية مشتركة. والرموز البشرية بطبيعتها، كما بينا، ليست عناصر ذات وزن وحجم، فتأثيرها في التعاطف والتضامن بين الناس لا يابه كثيراً بالعراقل المادية التي قد توجد بين هؤلاء مثل الحدود الجغرافية والسياسية بين الأقطار. إن الرموز البشرية قادرة على تجاوز عوائق المعطيات المادية الفاصلة بين الشعوب وتشكيل هذه الأخيرة من التواصل والتضامن كأن شيئا لم يكن من العراقل المادية.

ولا بد من التذكير بالشروع بهذا الصدد أن الرموز البشرية تنصت بحدس بقاء / حياة طويلة قد تصل إلى الخلود. فانتشار اللغة العربية والعقيدة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً فيما يسمى اليوم بالعالم العربي مثالان على تأهل الرموز البشرية لبقاء الطويل الذي يقاس بالقرن والآلاف السنين. ومن ثم فالتضامن العربي ثقافياً تصامن طويل النفس عبر العصور قد يصل إلى أبعد الأبدان باعتبار صعوبة تخيل زوال اللغة العربية لغة القرآن الكريم كتاب المسلمين القدس داخل العالم العربي وخارجة (الباقوري ١٩٨٧). ومن ثم فإن هذا التضامن الرموزي البشري/ الثقافي بين الشعوب العربية مؤهل للاستمرار إلى مالا نهاية، فهو تضامن يختلف عن تحالفات الشعوب اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً التي طمأ تكون تحالفات نظرية قصيرة العمر.

والمجتمعات الإنسانية فإنه من المناسب استعمال نظرية الرموز البشرية في فهم وتحليل العديد من الظواهر والنقضايا. هي أو بين المجتمعات والأمم والشعوب والحضارات البشرية. فنتقصر هنا على تحليل أربعة أمثلة ميدانية تبرز فيها مساهمة نظرية الرموز البشرية في فهم والتفسير لها. فود هذا إلقاء الضوء، من ناحية، على ظاهرة الأمة العربية وأزمى كندا وويليجيا. ومن ناحية ثانية، ننظر إلى قضيتين مرتبطتين أكثر بعضهما البعض الذي نعيش فيه. تتمثل القضيتان في حوار الحضارات وخاصة بين الغرب والإسلام ثم خطر الغزو الثقافي الغربي (والأمريكي) على الخصوص، على بقية شعوب العالم.

ظاهرة الأمة العربية،

لقد كتب الكثير عن العالم العربي كمجموعة من الأقطار المستقلة في بعضها البعض في العصر الحديث. فهي، من ناحية، مختلفة على أكثر من صعيد، فعلى مستوى لغتها فهي للغة العربية الاستعمارية العربية. فمعظم المجتمعات العربية بالشرق العربي وقع احتلالها من طرف الاستعمار البريطاني بينما استعمرت فرنسا بلدان المغرب العربي: الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا. أما اختلاف الأقطار العربية على مستوى نظام الحكم فحدث ولا حرج. فهناك أنظمة الحكم الملكية والأميرية والسلطانية والجمهورية العسكرية. وينقسم الوطن العربي إلى مجتمعات غنية بسبب الثروة النفطية وأخرى فقيرة أو متوسطة الدخل.

ومن ناحية أخرى، فالمجتمعات العربية متجانسة على مستوى المنظومة الثقافية: الرموز البشرية. فاللغة العربية هي اللغة الرسمية لكل هاته المجتمعات وهي أيضاً المصدر الرئيسي للهجات العربية العامية بحيث تجعل التواصل بين مواطني الشعوب العربية أمراً سهلاً. أما دين أغلبية سكان العالم العربي فهو الإسلام. يرى المختصون في العلوم الاجتماعية الحديثة أن عامل اللغة والدين هما أكثر العوامل الرموزية (الثقافية) المتجانسة (Cultural Markers) المحددة للهوية الثقافية للشعوب (Kivisto 2002 : ١٤). وبالتالي فتشافة الوطن العربي هي ثقافة إسلامية عربية توحد بين الأقطار العربية من الخليج إلى المحيط. إلى أن الرموز البشرية التي تشترك فيها المجتمعات العربية تؤسس بينها تلقائياً وحدة ثقافية قوية سابقة للوحدة السياسية الهشة التي طأها نادي وينادي بها العرب الحديثون. في العصر الحديث، فالوطن العربي له بهذا الاعتبار أهم العوامل التي تؤهله ليكون أمة بآتم معنى الكلمة. فاشترك مجتمعات عديدة في لغة واحدة على حاسم في تكوين أمة منها في رأى



شعوب المنطقة

اللغة المنطوقة

والمكتوبة هي مصدر تمييز الجنس البشري عن سواه. ومن ثم، فالإنسان ليس حيواناً ناطقاً فحسب بل هو كائن رموزي/ ثقافي بالطبع

الخصوص إلى توتر بين الطرفين قد يضع حداً لبلجيكا كما نعرفها اليوم فتقيم كل مجموعة دولة خاصة بها الانتخابات البلدية في أكتوبر ٢٠٠٦ والتشريعية في ربيع ٢٠٠٧ ينتظر منها أن تزيد في درجة التوتر بين الطرفين فالأمر أكثر صخباً في فلندرا التي ينادي فيها أكثر فاشتر حزب اليمين المتطرف بالتحصول على الحكم الذاتي أو حتى على الاستقلال الذي يهدد وحدة المملكة البلجيكية التي كانت دائماً وحدة شدة (Courner International, No ٨٩٦ ٢٠٠٦، ٥٤). وكما رأينا في تحليلنا لعدم تأهل كيباك كنذا لصفة الأمة بسبب فقدان عامل اللغة المشتركة بينهما. فإنه لا يجوز أيضاً إطلاق كلمة/ مصطلح الأمة على المملكة البلجيكية

العولة اللغوية

في بداية القرن الحادي والعشرين كثرت البرامج الإبداعية واللغوية في المجالات الصحفية والمؤلفات المتنوعة حول مخاطر العولة والعولة اللغوية الثقافية على الخصوص. نظرية الرموز البشرية لا تتفق فقط مع مقولة أخطار العولة اللغوية الثقافية بل هي تقول إن هذا النوع من العولة هو أخطر أصناف العولة جميعاً.

لماذا لأن العولة اللغوية الثقافية تمس منظومة الرموز البشرية للشعوب والمجتمعات. والرموز البشرية، كما رأينا، هي بيت القصص في تشكيل هويات الأفراد والمجتمعات. أي أن انتشار لغات أجنبية ومنظوماتها الرمزية البشرية في مجتمعات أخرى بدرجة تسمح بحل بمناخاتها أو القضاء للغات والمنظومات الرمزية البشرية لتلك المجتمعات يمثل تهديداً لأهم وأغزى الموارد والعناصر (الرموز البشرية) التي تكون هويات الأفراد والمجتمعات وشخصياتها القاعدية. ومن ثم فالقول بأن الغزو اللغوي الثقافي هو أخطر أنواع الغزو جميعاً ليس بالقول الأيديولوجي بل هو قول ذو مصداقية علمية عالية من جهة نظريتنا للرموز البشرية التي تؤكد على مركزية الرموز البشرية في هوية الإنسان، كما يبين الرسم أعلاه فرياح العولة الكاسحة في مطلع القرن الحادي والعشرين تحتل بالثقافة الباب على مصراعيه لصراع اللغات والثقافات ليس بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية بحسب بل بين المجتمعات المتقدمة نفسها متعللاً ذلك في صدارة هيمنة العولة اللغوية الثقافية الأمريكية اليوم على شعوب العالم في الجنوب والشمال (Calvet ١٩٨٧).

حوار الحضارات

تساعد نظرية الرموز البشرية على فهم موضوع حوار الحضارات الذي يكتب حوله منذ نهاية القرن الماضي مقالات

وكتب كثيرة ويقام عديد من الندوات في أماكن مختلفة من العالم. يصعب الحديث عن نجاح مشروع حوار الحضارات بدون حوار ثقافات المتحاورين. إذ الثقافة/ الرموز البشرية تمثل مركزية هوية الإنسان والمجتمعات البشرية. كما رأينا في الرسم السالف الذكر. وبما أن ألعاب في المصدر الأول لنشأة الرموز البشرية/ المنظومة الثقافية لدى بني البشر. فإن تعلم الراغبين في الحوار لغات بعضهم البعض يعتبر تأشيرية عملية وفعالية لتسهيل الدخول في الحوار مع الآخرين. فمجتمعات الشمال والجنوب غير متساوية على مستوى انتشار لغات الطرف الآخر. فمن ناحية، تعرف بعض اللغات على الأقل من مجتمعات الجنوب معرفة معقولة لغات المجتمعات الغربية الاستعمارية والإمبريالية وفي طليعتها اللغة الإنجليزية والفرنسية. ومن ناحية أخرى ليس هنالك حتى معرفة بسيطة منتشرة بين الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الغربية المتقدمة للغات مجتمعات العالم الثالث.

يصدق هذا التحليل على قضية حوار العالم العربي مع العالم الغربي الإسلامي. فالدعوة على قدم وساق لصالح مثل ذلك الحوار خاصة منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الخصوص. فالغرب، من وجهة نظريتنا للرموز البشرية، أقل تأهلاً وجدياً وحسن نية للدخول في حوار مع العالم العربي الإسلامي. فلا تعرف كل الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الغربية أي لغة من اللغات الرئيسية للعالم العربي الإسلامي وهي العربية والفرنسية والتركية والأردية. ويساعد ذلك بالتأكيد على تقسي جهل عام بثقافات مجتمعات العالم العربي الإسلامي الأمر الذي لا يسمح بالتأوال إزاء النجاح الفعلي للعداء بشعار حوار الحضارات. ولابد من التفكير بهذا الصدد أن المجتمع الأمريكي هو أكثر المجتمعات المتقدمة جهلاً باللغات الأجنبية. ولعل ذلك يفسر مشروعية ميلاد مفهوم صراع الحضارات في الثقافة الأمريكية دون غيرها من الثقافات الغربية.

وفي المقابل فليس هناك جهل كبير لدى المجتمعات العربية الإسلامية بثقافات المجتمعات الغربية المتقدمة التي استعمرت العالم العربي الإسلامي أو لها أيضاً علاقة قوية به بسبب الاستقلال. لأن معرفة واستعمال اللغتين الإنجليزية والفرنسية يفيقنا حضوراً كبيراً بين النخب وبين الطبقات العليا والمتوسطة على الخصوص. وهكذا، فنظرية الرموز البشرية تشير بكثير من الوضوح بأن هناك علاقة غير متكافئة بالنسبة للرغبة في حوار

الحضارات بين العالم العربي. من ناحية. والعالم العربي الإسلامي. من ناحية أخرى. فالرموز العرفي المهم لدى العالم العربي الإسلامي في لغات وثقافات العالم الغربي يوله أكثر من هذا الأخير للترحيب والتحول والمعلم والتجسس في مشروع حوار الحضارات (الغداوي ٢٠٠٥: ٨، ١٥).

الهوامش والمراجع

• يستعمل في هذه المقالة مصطلح الرموز البشرية بدلاً من استعمالنا لمصطلح الرموز البشرية في كتابتنا السابقة (المقابلة) ب. يعني الأول الموضوع الذي قد يجده في الشاس في الست (الثقافية) في مصطلح الرموز الثقافية أي لاد استعمال كلمة ثقافة دون غيرها. ومن ثم، رأينا ضرورة تبسيط المصطلح وإعطائه أكثر ثقافية تعقيداً تحت (الثقافية) (البشرية) ليصبح اسم المصطلح الجديد (الرموز البشرية). ويعني التمت (البشرية) بكل بساطة تلك الرموز التي يتميز بها الإنسان عن سواه من الكائنات. وهذه الرموز المعبرة للجس البشري هي باختصار: اللغة المسطوقة والكتابة والمعرفة والحرفة/ العلم والشعر والأساطير والقصائد والقيم والمعايير الثقافية.

المراجع العربية

الباقر، أحمد حسن (١٩٨٧) أثر القرن الكريم في اللغة العربية القاهرة، دار المعارف بركات، طبع (٢٠٠٠) لتجسيع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات بيروت مركز دراسات الوحدة العربية الدواي، محمود (٢٠٠٤ ج ٢) مصاعب العرب في التأمل للحوار مع العالم العربي، حوار العرب مايو أيار الدواي، محمود (٢٠٠٥) مقارنة عربية في مفهوم الطبيعة البشرية، الثقافة النفسية المتخصصة، العدد ١٢، الربيع. الدواي، محمود (٢٠٠٥) في ألبدية الرموز الثقافية، من أجل فهم أدق للثقافات الهامة، الأنا، السنة ٥٢، حزيران، يوليو

المراجع الأجنبية

Calvet, L. J (1987) La guerre des langues et les politiques linguistiques. Paris : Payot
- Courner International (2006) : Dossier Belgique : La fièvre flamande, No 829
21-27 septembre. p.54-59
Kivisto, P (2002) Multiculturalism in a Global Society, Oxford , Blackwell Publishing
- Turner, J. H (2001) Handbook of Sociological Theory, New York, Kluwer Academic / Plenum Publishers , pp.1-17
White, L (1973) The Concept of Culture, Edina, MN, Alpha Editions
Porter, J (1967) Canadian Character in the Twentieth Century in the, Annals, March, p.49
Rocher, G (1990) Les deux solitudes chez les sociologues canadiens محاضرة ألقى في الذكرى الخامسة لعلمى الاجتماع والأثنولوجيا Wilson E (1975) Sociobiology The New Synthesis, Cambridge, MA, Harvard University Press



غداوي الرموز

الأمة العربية

هي أمة منظومة

ثقافية أو رموز بشرية

مشتركة. الرموز البشرية

بطبيعتها. كما بينا.

ليست عناصر مادية

ذات وزن وحجم



■ حين نعت الأقاليم العربية أباهما نجيب محفوظ، تواتر في شعار الحزن تعبيرا يصف الفقيد العظيم بأنه كان «ملك مصر والعرب»، ويبدو أن بعض النشأة، حين أدركتهم لوعة الشفق واستحسنتهم قصيدة العرفان، قد استعصت عليهم الكلمات التي من شأنها أن تضيء بلميح الخسارة وتضيي بلمام الجدارة، فما كان منهم إلا أن أعادوا تدوير ذلك القلب الذي كان قد صكه نقداً غريبون عام ١٩٨٨، وهم يعرفون قراءهم آنذاك بذلك الكاتب الوافد من بلاد «المرانة والمأذن، الذي كان قد حصل لتود جائزة نوبل للادب، فكان القلب ذو الجرس الرنان: بلزك مصر، أو Balzac of Egypt»، وكأننا نصدد قلباً آخر من تلك الأقاليم الهولوبودية بأهملية التكاليف كثيرة الأغلاط - وقتها كان مفهوماً - وأن لم يكن بالضرورة مقبولا - أن تبسح الصحافة العالمية في دعائها عن اسم الفتاة اذان قرائها، لتنعن منه

تميز القارية والمقارنة إذا ما دعى الرجلان للركوب معاً في زورق واحد للعبور لتناطئ الخالدتين؟



على لوحة الشرف الرخامية البيضاء الموجودة حتماً في مكان ما من مملكة الأدب ستجد اسمهم وقد نقشاً بصناد نور، أونوريه دو بلزك (١٧٩٩ - ١٨٥٠) ونجيب محفوظ (١٩١١ - ٢٠٠٦) - كلاهما جاء في أوائله من دون إعطاء، كلاهما مضى وحيداً فطريقاً واستمر أرضاً كانت من قبله على مشارف الخلاء - كلاهما صنع سفينة وسط الصحراء، وفي أبصر، كل في زمانه - أن الطوفان لا ريب أت، وأنه سيفرق الغافلين عن حركة الزمان، وأنه سيفرض على فلول الكلاسيكيين والرومانسيين الأخيرة انزواء فاحضاراً، وأنه سيكامل منسأة

إن نظيرة

عابرة على مستوى
عنوان الرواية عند
كل من بلزك ومحفوظ
كفيلة بإظهار البون
الشاسع بين المدرستين



بلزك العرب

داليا توفيق سعودي

وأت الحسن العتي. إلى أن مادة الرواية الحقيقية الطارحة موجودة في الواقع الاجتماعي المعاصر، فراح كل منهما يراقب العالم المحيط من منتهى، وراح وجه الرواية البدعي يلوح ويقترب كجدار من وراء شوم

ويعد أن كانت قصص الأولين محض سردي بدعي اللفظ رقيق العبارة، يسوق الأحداث الماضية كما تتساق للمحسنة الممثلة في التيسيق أو الدكرات المحررة من أية سكاكة مادية، نحو قول الملهة الإنسانية، والتلاشي، وبداية ونهاية، ورفاق الحق، والقاهرة الجديدة، وغان الخليلي، إلى جمهرة من المشاهدين تتجالح أمام أعينهم صور متحركة تكنت أحداث الحياة في الزمن الحاضر وتفتاق فيها شخص متحركة القصة قد اكتمل وصف أزيائها وهوائها، وتم غرسها في أمكنتها الصحيحة، معانية هنية تسمح المجل لتكتله الحسي من التماسيل، تكنت ما في باطنها من معان نصية كائنة، صار بإمكان أن تسم رائحة نسيون مدام، فوكيه، المعلقة وأست تقرا المصنوع الأولى من رواية، «أب جوروي، بلزك، فنتر ما يحفيه المكان من نفوس أسنة، أو أن لتأنيك رائحة الكيوسمين النعانة من شعر حميدة في رفاق الحق، لتستشعران القمل الذي تحاول الشابة أن تطرده من شعرها الطويل الفاحم لن يثبت أن يتحول إلى وسواس تتزاحم على عقلها الذي يكاد يعصف به الطموح الساحط.

وبالطبع، تستعجب مثيلة تلك الطمارة الفنية ثورة كاملة في علم الأسلوب، ثورة فخرها بلزك في عصره غير عابى بوبيل الحجارة التي انهارت على أم رأسه من كل حذب وصوب، وهي عينا الثورة التي، أدارها محفوظ، بعد ذلك من الزمان، بحكمة السحرة واستباحتها الأزنية فكان أن أعيد بمحضها تعريف مفهوم الأسلوب، لتستمر وفقاً له جماليات الكتابة الروائية عن رخاها النمط الشعري، وليصبح الأسلوب الروائي مرادفاً لبناء العمل ككل، وما يتألف من هذا البناء من طرائق سردية وأدوات تعبيرية تتغير من عمل لآخر، لتشكل في انضمامها معاً في كل من أطلع على جديد، بتغير مجازي، صدر لتزأ على الأسلوب الروائي أن يأخذ بتلاشي الحقيقية المتبادعة مثلما يلبس الشريط على الفس الهارب تحت نباح الكلاب.

ولقد كتب محفوظ الرواية الواقعية في وقت كان يسمح فيه لنسج المذهب الواقعي، وتستخدم فيه الرواية البلاكية كقراءة تمثل النموذج الباطني للتكاتب الإبداعية في أعين أزياب تيار الرواية الحديثة، هي الوقت الذي كان محفوظ يتجزأ فيه، «الواقعية»، كان على أطلع على راح يكتنح الآن زوب جرويه منذ بداية الحسينيات، وبعده بعد ذلك هي مايمست من أجل روي، «Pour un nouveau

استجابة لنداء غامض بالاستسلام والمهادنة لسلطة قد لم تكن ملازمة قد تخلقت بعد، وبالتالي ما كان ليحلي في بوكيره بالاحترام الكامل. صبحي أن تجربة بلزك الروائية قد سبقتها تجارب متناوئة القيمة والأثر، وأن في «القصة»، ما قبل محفوظ قد شهد إسهامات كاشفترات، لكن صفة المؤسس قد انصفت لبلزك ومحفوظ، كل في سبيله وزمانه، لتكون أعمالهما قد حققت السبق في التبشير بالقيم الفنية الروائية الحديثة التي استندت إليها أجيال من الكتاب بعدهما، ولكونها قد أوتيت من الشجاعة والنجرد ما جعلهما يبدان حياتهما طواعية داخل محراب صاحبة الجمال الوادع.

ومتلما بدأ بلزك رحلته بالرواية التاريخية مع رواية «البور الكليين، عام ١٩٢٩ (Les Chouans)، جاءت بداية محفوظ الأدبية مع ثلاث روايات تبسمل أحداثها في أجواء الحضارة الصرونية كان لكل منهما مشروع لكتابة تاريخ بلاده كاملاً في سلسلة من البودات، لكن بمتل ما كان الالتحاة إلى الإطار التاريخي في الحالتين فتأججاً للغبة في تلمس أثر الزمن على وجه الوجود، امتدت بلزك ومحفوظ، عبر نفس الاستدلال المنطقي

الشعر حتى يخر من فوق عرشه، وأنه سيحل من غزالج البرامة والبطولة هباء منثوراً تقوده الرياح، وأنه سيفرض بعد إقلاع السماء ومغضى الماء - صيغة تعبيرية جديدة تقول ما في الأروسة الحديثة من عامية وابتذالية ومادية ولعقد والتباس، فحيثما غاب الشعر، ساد النثر، ومن ضلع النثر خرجت الرواية. ولكن دعونا لا نحمل الرواية خطيئة الطبيعة النثرية. فالرواية، المرتبطة أساساً ببلادة النثر خاص من الجمال تنسج شرج في غير اقترات القبيح باجمل، والندى بالنبيل، تلك المدوة الرواية تتمتع بنوع خاص من الجمال ما يلفت إليه القداما، ألا وهو جمال تحليل الأشاعر إلى مركباتها البسيطة وتجزئة الأعلام الإنسانية إلى قافلتها المتواضعة، وهو ما جعل منها الصيغة الأدبية الأقدر على التعبير عن «زخم» الحماة وبعدها، وتعددية المواقف والتشخيصات والعلاقات في الحياة، ويرسم الخلفية الرحبة للعالَم بأسره، على حد ما كتبه هيجل في «فلسفة الجمال».

لهذه تلك النوع من الحسن الذي أغرى بلزك بترك دراسة القانون، وحدا محفوظ إلى هجر دروب الفلسفة،

فريقاً أدبياً، تقرب به صورة كاتب لم تكن أعماله قد حظيت بعد بثانئة كافية من قبل دور النشر الأجنبية، فلما تراءى للنوبلي، المصري عملاقاً موصلاً لمن الرواية العربية، وبدأ منجزه الأدبي مشرامى الحدود متحد المالك، ولتمتع سطح أعماله تحت ضياء وألقى بيرز حنايا مصر التاريخ والإنسان، همت أقلام من الغرب، «ذلك حتماً أنوريه دو بلزك، أبو الرواية الفرنسية الحديثة، صاحبها للمهارة الإنسانية، الخالد في «comédie humaine»)، قد نعت بعد قرن من الزمان على إهاب مصرى بمسمة النبل، ويأطى القوي الذي لم ندركه أن هذه بضاعتنا ردت إلينا»، وفرحنا، نحن العرب، بتلك الشهادة «العالية»، فومضنا في إعزاز أيقى وعقلنا في صدرة المنتر، وحين رحل أنينا الكبير، عدنا فاستعرضناهم مجدداً ضمن شهادات، عالية، أخرى، دون أن نمنع فيها النظر لخصصها ونسأول، أحقاً كان نجيب محفوظ بلزك الرواية العربية؟ وقع افتراض حسن القول قد لا يتأتى بسهولة في هذه الأيام، لنشمال، هل يكرر تاريخ الأدب نفسه؟ هل من مساحات تتأصل بطين العفريت، أم أن تتأصل السيرة والتنج والتوجه هو السمة التي



(roman). ههاجما ذلك الراوى الذى يفرضه بلزاك على قرائه، والذي يعرف كل شيء عن كل شيء، ووجوده في كل مكان في ذات الزمان، ويبادر بتقديم الأجوبة بدلا من طرح الأسئلة، ويخترط عبر وصلات وصفيّة لا تتنهد في تقديم نسخة طبق الأصل من الحياة، لكن محفوظ كان على إدراك باحتياج الرواية العربية إلى انطلاقها واقعية، واحتياج القاهرة إلى ثلاثيتها.

والأهم هو أن محفوظ، على خلاف منظرى الرواية الفرنسية الجديدة، كان يملك رؤية جلية لمهوى تاريخ الفن، فلقد أدرك مبكرا أن فكرة الارتقاء والتطور التى قد تميز تاريخ الفن لا تنطبق بنفس الصورة على تاريخ الأدب. فقد يأتي عالم بدواء ناجع لعلاج مرض ما، فيجبر، يهدد بمقدور عدم أخر بدواء مطور ينتقى معه استخدام الدواء القديم. أما في الفن، فإن مفهوم التاريخ لا علاقة له بالتطور والتحسن والارتقاء، فطموح الروائى لا ينصب على الصقل على تجويد ما أنجزه أسلافه، وإنما عمله على الأساس هو المضى في مغامرة استكشافية. ليضيق المستكشف موقعا جديدا إلى حوزة طريق لا تنتمى إليها المواقع المكتشفة سابقا، وليسعى فوق الرؤوس نجم جديد لا تنطفئ لبروقه لنجوم الأخرى، وحين تكون أول الواصين إلى جزيرة معجزة، حيث لا طريق ولا خارطة ولا نجوم هاديات، يصبح أول اهتمامك إقامة حواشٍ واقفك لماضى المحيط.

وذلك ما ارتأه محفوظ في منظومة أعماله الواقعية التى لم تكن محض نقل حرقى للبطيحية، وإنما امتلكت في الالتفات إلى كافة عناصر الحضارة المادية مع توظيفها روائيا بصورة تربط المادى بالروحى، والجسدى بالانساني، والاجتماعى بالاشخصى، والنعم بالخاص، فيها يكون صيغة إبداعية تقدم للتراث وهم الدقة والسرابة والانساني فيهم ما قدمت الواقعية الماركسية لتستمر أرض أرض للتمتع الإنسانى، التمسير الماركسي الحزبوية - حتى في أكثر حالاتها اقترابا من الأرض كونها معراجا فكريا روحيا لأدب اعتاد في طموحه الجلوس على سطح منزله لسماعه، ليرفك مندله سجد الحسنيين السامعة الشامعة وسط سماء القاهرة العشرينات الجيلة، المتطلعة بنفاد صبر إلى الاستقلال التام أو الموت الزفاد. فاطن الصعير الذى كان يصحب أمه لزيارة الأمهات والآثار المزعونة، وأبهرت أوهامه لحظة زلزال مومياء الملك

دانتي في الجمع ما بين الواقع الإنسانى والمطلق، لكن من دون الصبغ المسمى الذى اعتمدته شاعر فلورنسا، ولكن... أو ليس دانتي الجيجيرى بالتحديد هو المصدر الذى استلهمه بلزاك، واستوحى من ملهاته الإلهية عنوانها وتقسيمها الثلاثى، وأطهره كشخصية بين أبطال رواية من رواياته؟^(١) داك تلاقى الباحثين عن المدينة الفاضلة، وتلك مساحات تحاور التقت حولها خواطر نبيلة، شغلتها صفة الريادة، واستقرقتها هموم التأسيس، واستلهمت أصفى عيون قرائ الأدب، فكان تلافيفها كتلاقي أولئك الملوك الثلاثة الذين احتدوا قديما إلى أرض المهد يتابع نفس التهج زحف أن كلا منهم قد كمل طريقه الخاص.

لكنهم ما التفتوا إلى لى يتفقدوا. وما أشد ما تباعدت بهم طرائقهم...

عن الفن والأصل والصورة

في دراسته النقدية الأخيرة «الستار» (2005 Le Rideau, Gallimard) يحكى الروائى التشيكى ميلان كونديرا تجربة شخصية لا تخلو من دلالات المفيد عرضها في هذا المقام، لاسيما أن الحديث فيها لا ينأى عن بلزاك وعن مدى مقبولية فكرة إعادة تجربته الأدبى. ففى أثناء زيارته الأولى لولته بعد انهيار النظام الشيوعى فيه عام ١٩٨٩، التى تقوينا للتدوير بصديق لى بقى طوال الوقت في العاصمة «براغ»، فكان شاهدا على كل ما مر بأبالها من أحداث، قال الصديق، لىكن زحف اليوم ما حجة إلى بلزاك جديد، فما تراه هنا اليوم هو وضع شبيه بذلك الذى وصفه صاحب الملهة الإنسانية، من إعادة إلى الحياة مجتمع رأسمانى بكل ما يعتمل فيه من قسوة ومن قياء، وبكل ما يوج به من سوقيه وتدن ميعتها لكثرة الأفاقين والنصارى ومحدثى النعمة. مجتمع حل فيه العيث والقتادى محل العيث والابتديولوجى، وتنتج عن هذا التآمرين الشيوعية والراسمالية فيه الفصص تعيد إلى الأفسان أحداث روايت بلزاك بعد اقتيرها، وراج الصديق يحكى قصة مأساوية عما يكابده رجل شيوعى من جحود انطوى التزويجين من رجلين من أولى التولي في مجتمع لبال الجديد، مما يحكى أحداث رواية «الآب جوريو، الميرة لتجنح. ويد من أن يعترى المصديقى شيع من التآمر لىضاح أعداء تلك القصة الحزينة، راحا يضحكان طويلا...

ثم كان أن أخضع كونديرا ذلك الضحك إلى أمر مصفاة عقله الناقد المتشكك أبدا.

فيما لا أن التاريخ بعيد نفسه، وإعادة تعنى بالضرورة افتقارا إلى النكاه وانتفاء للأصالة وانعداما للنوق السليم، فكان صحكه هو وصديقه تندرا بافتقار التاريخ سلامة النوق، وعاد كونديرا إلى أمنية صاحبه بأن تجد بلادهما لىزاكهما الجديد، وخلص إلى أنه من المشير لىسخرة أن يعيد أحدهم كتابة الملهة الإنسانية، لأنه إذا كان بإمكان التاريخ البشرى أن يرتكب حماقة إعادة نفسه، فإن تاريخ الفن لا يستحل أفة التكرار، فإلّا من يخلق لكى يتجمل، كما المرة المصلافة، كافة عوارض التاريخ وتقلباته وتفاصيل اجتارده لذاته، الفن، على حد تعبير كونديرا، ليس جوقه موسيقيا نصحب التاريخ في ترحاله، إنما خلق الفن لى يصنع تاريخه الخاص.

إن تكرار التجربة الفنية هو ذروة الافتعال وعلامة على غياب الصدق، والتكرار لا يقتصر إلا في الفنون الهزلية الباطنة على الضحك مثل الكاركتير والتقليد الساخر (la parodie) ولحاكاة (le pastiche)، ولا يكره أن لا اللجنة التى اختارت محفوظ لنيل جائزة بول قد تكرت في حيثياتها، تمكن أدب مصر من فنون التقليد والهزل والضحكة، أو ارتداء شخص ورائته لأعمال المهرجين الزامية الرافقة الزالطة.



إن نظرة عابرة على مستوى عنوان الرواية عند كل من بلزاك و محفوظ لتكشيلة بإظهار البون التاسع بين المدينتين، فبلزاك ثمة ما يحيط محيط على انتقاء التعاونين تدعى بعدا فلسفيا رمزيا، والتى تتضمن وعودا أن تكونا الرواية بمثابة تحليق على أجواء تنبسط فيها أجنحة ذلك العزاف وتنقل فيها عين الرحابة فوق أراض شامسة من العائى الطرية، غير أن عنوان الرواية الماركسية لا ينى عادة بوعوده، وتحت اختصار القسرة، سرعان ما تنكسر أجنحة الطائر لىستقل من حائق فوق صخرة التفاصيل المادية المرفقة، على سبيل المثال، تنقضى قراءة روايت مثل «البحث عن المطلق، الضائعة» (Les illusions perdues) والأوصام وبهيساء وتعامسة الغافسة، Splendeurs et misères des

كان يلزك ضخما ومبالغا وهرقليا في كل شيء. كان مضطربا العبقريّة. جامع الخيال. جاسر الطموح، متقدّ الوهيّة، منهمر العطاء. إذ أنجز في فترة لم تتعدّ تسعة عشر عاما إحدى وتسعين رواية



ولا عى مهنة من المهى ولا عى وسط من أوساط المجتمع، ولا عى بقصة من الإرض فرنسا، ولا عى مرحلة من حياة الإنسان سواء كانت الطفولة أو الشباب أو الشيخوخة، ولا عى ملمح فى السياسة أو القضاء، فيما وصف بأنه موسوعة أدبية تقدم شهادة على عصر ميلاد الرأسمالية وصعود الطبقة البرجوازية فى بلد انتهت المصالح المادية، واندرت فيه مشاعر الوطنية، وتعدم فيه التضهير، واتحدت فيه السلطة السياسية إلى إعلاء شأن الانحطاط والمنحطين، وعادت فيه عبادة عجل الذهب، حتى علا خوار المال على ما عداه من الأصوات، واتهمّت فيه العبقريّة لربى كماله، وبجديته فى طريقتها بما فى ذلك معنى الوطن. ذاك وجه بلزك المبدع الذى اتخذت أعماله إلى قيمتهما الفكرية والفكرية، قيمته توثيقية عميقة، تبيته إلى أهميتها فى تبيته كارل ماركس وفريدريك إنجلز. ولقد سقط بلزك ميتا إثر تضخم فى القلب نجم عن الإفراط فى السفر، والإفراط فى العمل، والإفراط فى السفر، والإفراط فى طول الأمل. كان يعمل ست عشرة ساعة فى اليوم، راجيا من شدة الليل إليها، ومن أفضت القهورة السوداء بفضلة جبرية، انقضت أعمالها أوعاما، وعلى فراش الموت راح بلزك يصرخ: «أحضرنا إلى بايشون، لن يقرر على مداواتي إلا الدكتور بايشون»، وبايشون هذا شخصية طبيب ابتدعها بلزك فى رواياته، وأظهرها كحقيق المعجزات الطبية فى أكثر من موضع من مالهاته، هكذا، سيطرت على المبدع هواجس الإبداع حتى أسلمته إلى هلاوس الموت

وعلى القبر الواقع فى مداخل الأب لاشير بباريس، وقف فيكتور هوجو فى ٢١ أغسطس ١٨٥٠ يتلو كلمة الوداع، فقال: «كانت كل كتيبه فى واقع الأمر كتابا واحدا، كتابا متعرا بأحبابه، فاضنا نائون، ملأنا فى العمق، ترقى لى خصامنا فى المعاصرة فى إكمال ملامحها، فى رواجها وفهوا، تمشى ندى هناك، وقد اعترأها فرع رومانية، امتزجا كل من مظاهر الواقع، كان كتابا مدهلا، سماء صاهه، ملهات، وكان يوسع كى اسمه، تاريخا»، وقد جرب فيه كل الأشكال الفنية وكل الأساليب ..

رب بلزك فى الحادية والخمسين من عمره، قد شارك فى تحقيق حلم قديم راوده، وأجبر به معشوقته الأوكرائية مدام «انسكا» فى خطاب وصلها فى بلادها الثلجية البعيدة، حلم لا يجد غضاضة فى استكمام

فى بلزك وجه للرواية المبدع، وآخر للكتاب المتعامل مع اللغات، وثالث للإنسان، راجع للأسطورة، فنتك طليعة تكوين تتركسها معظم الدراسات البيوجرافية الخاصة بلزك، وعزها كتيبه فى مقدمة نظرية القصصه (Théorie du conte)، وأصفا، ذواته، قائلا: «بالأمر من كل عبت إلى دارى حتى رأيت عدا لا صبر له من الصور المستسخة من ذاتى، وقد تراحت فيما بينها كرايح أسماك رنجة مكسدة فى قاع برميل ..»

لكنه فى مواضع أخرى، يبيته لنا أن تلك الصور المنكسكة من ذاته ليست مكررة بل هى مشافرة مستفاد منها، بينها فى خطاب أرسله لصديقه فيما قبل رانستش قائلا: «أحمل من أضلعي كل ما يمكن أن تسمه النفس من لثافر وتناقض ..»

بلزك الأدب قوة من قوى الطليعية الخارقة، فهو الأدب الذى رسم وجه الرواية الحديثة وقدم لمكتبة العالمية أضخم الجنازات عبره البشرية على الإطلاق، وهو واحد من أربعة أدياء فرنسيين أطلق من أسمائهم نعت مبدع، الحمى عرى تداولها لغويا بين الأدباء، بلزكى، تطلق على كل ما يظهر نوعا من الطاعة، أو اسرافا فى بذل الطاعة، أو سلوكا يحكمه الإفراط والمبالغة، بحسب تعريف الناقدة الفرنسية إيزابيل توردنيه فى مقدمتها للنسعة الألكترونية لأصنام الكرامة بلزك.

وإلعل كان بلزك ضخما ومبالغا وهرقليا فى كل شيء، كان مضطربا العبقريّة. جامع الخيال. جاسر الطموح، متقدّ الوهيّة، منهمر العطاء. إذ أنجز في فترة لم تتعدّ تسعة عشر عاما إحدى وتسعين رواية، معظمها من شواغع الأدب العامى، تكون فى مجملها قصول، الملهاة الإنسانية، التى تظهر فيها ٢٥٠٤ شخصيات، من بينهم ٥٧٣ يصادون الظهور فى أكثر من رواية، وفق مبادرة لى فيررميدو، تجعل الشخصيات يتجولون بين أوقفة هذه الجارية القصصية المدهشة كما يتجول الناس على مسرح الحياة الكبير.

فى الملهاة الإنسانية، يقدم بلزك بانوراا اجتماعية وسياسية وتاريخية وفلسفية للحياة فى فرنسا النابلي الأولى من القرن التاسع عشر، بانوراا قرر مديعا إلى يقل فيها من موقف، من مواقع الحياة، أو كى رسم شكل أو نفسى لرجل أو امرأة، ولا عى أسلوب حياة

الغرب، الذى رأى فى ثقافته مرجعا سطويا مقدسا. إذ تملك إزاده الشعوب النابلية سوس الحاككة البيداوية والتقليد الأسمى. وهنا أيضا بحضور رأى الزاحل اوزار سعيد فى مقال مبكر له نشرت ترجمته عام ١٩٧٢ مجلة، موالف، اللبانية تحت عنوان، التمتع والتجنب والتعرف، وفيه ذوات لأهم الأفكار التى تناوينا واستمنا فى كتيبه صاحب الاستشراق، والثقافة والأميرالية.. فى ذلك المقال، أوضح البروفسور سعيد استشراق الغرب للشرق، من خلال طليعة عقل الرجل الأبيض المحصر الذى يحول كل ما هو غريب عن الغرب إلى صورة مستسخة من ذاته الغربية، صورة يتم التعامل معها سياسيا كمرافق تابع للوجود الأيوى الأقوى، ويظهر إليها ثقافيا وسكولوجيا كشيء أدنى لا يصح أن ينتج عنه الأكل ما هو منقول وسطحى وغير أصيل، وهى فكرة تجد جذورها عند فلاسفة التاريخ فى القرن الثامن عشر مثل الاعلى جانياتيسا فيكو والألماني جوهان جوتفريد هيردر، والنابلي ماديو بوساليتا الجغرافى الأوربية على الشعوب البادية ليجن بلوغ ذلك الشعوب من الرشد، واستبقاها للشروط التى تهلها للحاق بركب الحضارة التى كانت تقوده فى زمن ما أوربيا الاستعمارية وتمثله كنموذج عيارى.

فى ذلك الحال، يبارك المادى بأحادية الهوية، هناك إذن من يريد أن يكون بلزك هو «الأصل»، ومحفوف «الصورة»، لأن هناك من يصمر على تحقيق فكرة التمييز الهربرى بين «نحن، وهم»، ثقافة أم وإفلال، حالة التنفئة.

على كل حال، فنتأمل معا كيف كان «الأصل، المزمو»...

تسكيك بلزك
على الرغم مما قد يبدو فى هذا العنوان من تعدد وتعسف، فليد رأينا الأنسب لبحث تعهد بالحفاظ على الموصوف فى تناوله، ذلك أننا نسنا بصد المفاضلة بين «محفوفنا، ولزكنا»، فمن قد تمهدنا إلى يدفعنا ذره الهجوم الخفى إلى الشرقى فى أخطا منهجية، إنما نسمى لاقتفاء سيرة بلزك من قريب، نرى له سيطر علينا محفوف فى الطريق، ولقد رأينا إن فكرة التسكيك فى الأنسب لطليعية متصلة فى شخصية «نابليون العامة، الفرنسية، تلك الشخصية الركية، حمالة الأوجه، متعقدة الإمالات.

courtisanes) - على جودة محتواها الفنى - إلى تفسير يحصر تلك العناوين الكبيرة داخل إطار ماضى ضيق، يقوم على تشويه المعانى والأفكار، ولا أثر فيه من قريب أو بعيد، لأية دلالة ترقى بالنص إلى شاعرية العنوان

وعلى العكس يختار محفوف عنوان روايته ينسب من التواضع الحكيم والسهولة الممتعة، فهو فى مجموعة أعماله الواقعية يميل إلى اختيار اسم حتى شهير أو مكان معروف، حتى أن القارئ الغرير لير عليه فيحسه عنوانا بريشا، فما إن يشرع فى القراءة حتى تنتشع عن العنوان صفته المألوفة، وتجنح لبعها جديدة متعلما من تلكا، يتجلى الليل بالإصباح، فهناك مثل بين الضميرين، الذى كالى الاسم الأصلية للثلاثية فى التحاكما قبل تسميتهما لأغراض تجارية، يقدم مع القراءة صفته كمدلول عن منطقة شبيهة معروفة، ويتحول شيئا فشيئا إلى داليتين متصلبتين متصلبتين، بهير، والضميرين، لتنتشع مع نهاية الكتاب أن بين الضميرين، فى قصة مصرى من بين الحريين العالميتين، التى تحكى الصراع بين زمرتين (الزمرّة الأوربية المستقلة والأزمنة الغربية المتحررة المتناهية)، وهى القصة التى تيسط ميدان البحث عن الحقيقة مابين شاعريتين ماضيتين (العلم والإيمان)، هكذا تسلك النثالية المكانية إلى ثنائية زمنية فيها، إلى ثنائية فى القوى ذالى ثنائية معوية، فى تحف وأوضاع من المادى الذى يلوح به العنوان، وبنايته عملية القراءة، أو أطيقت جنتيك، واتعت صوت محفوف الهامس، سبيدلى كل الضرار الحقيقين، وصمدنى، لو أنك ارتقيت إلى أعلى شرفة فيها، والبيت يتسك من عل، فلن تسقط صرعا من حائى، لأنك ستكتشف - وبلا ليجب - أن قراءة النص المحفوظى قد أنبتت لك جناحين قرويين، يأخذاك فى بواض إلى، الملكة النور والعناجب.

خلاصة القول، الشاعرية فى روايات بلزك تتسكك بجناح إلى كياويين، الشاعرية الخفوية طائر عشاق ينمى فائرا جناحيه عملاقين من حصر الرماذ.



فلم الإصرار على إطلاق لقب بلزك العرب، عى محفوف؟ البعض يضل الأمر فى إطار نزعة الترجسية العربية التى قام عليها سلوك

العدد المائة وثلاثة - أغسطس ٢٠٠٧ م



كثور الشرق. اد يقول صاحبه للحبيبة
سنتبرته الدائمة المتعاهر في حصرية
الروايات. يتكون لياالى ألف ليلة
وليلة العرب

هكذا يطل وجه الشرق القديم من
وراء حجاب أبيص ضيف ليليم من
بعيد. في خلفية اللاوعي المحتمة. دور
منهجة من ملهات بلزاك. الذى سجل
مرارا إعجابه بترجمة المستشرق أنطوان
جالان لكاتب ألف ليلة وليلة. فهل يصح
أن ندعى أن حكايات شهردا كانت الأصل
واللهجة الإنسانية الصورة؟

أما بلزاك الكاتب فليس وجاه
أسلوبه التمييزى بعد. منيف لم يواجهه
قلم قبله ولا نقدا. كتب ماريو روك
(Mano Roques) هي الذكرى الملوكة
لوفاته بلزاك أسفا. كانت إدانة اللغفة
والأسلوب اللذين استخدمهما بلزاك في
الطروحات الأخيرة عند القباب الحركة
النقدية في مصر. ولقد لاحقته تلك
الإدانة في قبره. وراحت تنقل من كتاب
الى كتاب. حتى تحولت- رغم اعتراض
أصوات عاقلة- إلى عقيدة راسخة في
تاريخنا الأدبى.

هنا كان الإفراط غلطة لا تقتصر سواء
تجلى ذلك الإفراط في التمدد على
قواعد اللغة الصارعة أو في غزارة الإفتاح
بوجه عام. فنظرا لأن بلزاك كان ينشر
خمس أو ست روايات في العام الواحد. فقد
كان من الطبيعى أن يوصم بـ"الغنى"
بنقص الإهمال الأسلوبى. ولقد لاحقه
الناقد الكبير في رمنة السرف في مقته
سانت بوف. فأدرك رواياته في إطار ما
أسماه بـ "الآداب الصناعى" (La
littérature industrielle). كذلك الآداب
الاستهلاكية السهل الذى يظهر في صورة
روايات سلسلة في الضعف. ليقدم كما
بلا كيت. وثأرة بلا عمق. ولما نعت جمال
ولا يتسع المجال هنا لنذكر كورال

المقاتلات التى ردت أصدا تلك الحركة
الجارية وتضمنت في تقديم توصيات أكثر
سخونة منها وحده. هلقد كان للرجل
أصداء كثير. لكن الخبير لتسلازل أن يعود
نفس الإتهام بعد سنوات من رحيل بلزاك
بأقاليم عرفت عنها الرصامة ورجاحة الرأي.
من ذلك ما كتبه جوستاف فلوبير في
خطاب لصديقته لور كوتيه جاء فيه. "أى
رجل كان سيصحب ملزك لو أنه كان يعرف
كيف يكتسب فهو لم يكن ينقصه إلا هذا"
ولكى على كل حال ما كان ليتأتى تلك
مبتغى تلك منزل الذك الكم. ولا لعله أن
يفتح مثل ذلك الإتصاع. وهى ذات الجوديل
التي أثارها فلان كبير بحجم اندريه جيد
في صفحة من صفحات مذكراته حين
كتب مستشرق. يكاد يفيض أن يفهم

طموحها الوحش. التى رسمها في
رواياته. قد أقسم على بلوغ المجد أيا كان
الوسيلة.
هنا. كان وراء الإفراط في الطموح
حرمان. وما اجتمع الحرمان والطموح
إلا وكان ثلثهما الثقافة. وهى هنا ثقافت
مصرف في ماديتها. شره في أطعامه.
عقيم في ذات الوقت بفعل من الأقدار
وتركيبة الظروف الاجتماعية المحيطة.
وهو ذات الثقافة التى بنى بلزاك لاحقا
في العائيلة العظمى من شخصه. حتى
الشرقاء منهم وأصحاب الغايات المفترض
أنها نبيلة. فبنت لوحته في مجملها
كانت تموج بشعبي من الفيلان الهالجة
الهامرة. التى خرجت وراء طراندنا
البائسة. في زمن انقراض الجنس
البشرى.

"الوصول" الوصول بأى ثمن. عبارة
يطالها الناظر إلى جبين "راستنيك".
المطل الذى منحه بلزاك صفاته
النفسية. وأظهره في خمسة وعشرين
موضعا من روايات "اللهاة". راصدا تحول
الجنه في شاب ريفى طاهر القلب نقى
الطموح إلى زور داهية ورجل ملوث. وهى
عصب في ذلك فأول دروس يلتصقها
"راستنيك". جاعته على يد "فولران".
الجرم الهائل من العدالة. التى ينطق
بكامل الأفكار البلزاكية. ويلخص وفقا
الجنه في شاب ريفى طاهر القلب نقى
الطموح إلى زور داهية ورجل ملوث. وهى
عصب في ذلك فأول دروس يلتصقها
"راستنيك". جاعته على يد "فولران".
الجرم الهائل من العدالة. التى ينطق
بكامل الأفكار البلزاكية. ويلخص وفقا

الناضح) الى راستنيك (بلزاك الخمر).
التدري كيف يشق الناس سيلهم في هذه
المنيا؟ يشقونه بغيرق العبسية. أو
باهارة في الخسة. يجب أن تسقط في
صوف البشر كقذيفة. أو أن تسفل بينها
كوياب. أما الشرف فلا علاقة فيه. (... يجب
أن تلوث بديك إذا أردت أن تشرى. ولكن
يجب أن تعرف كيف تسقطهم. بعد ذلك.
فسى هذا. جساع الأخلاق فى
عصرنا (... وإذا كانت لي نصيحة أهدياها
إليك-أيها الملك- فهي ألا تثبت عند أركك
أكثر من حيثائك على أقبالك. ومنعما
يسألك أحد من رأى بعه له. والرجل الذى
يفتخر بعدم تغيير رأيه مثل من مثل من
يأخذ بغيره بغيره دائما على طريق
مستقيم. هو أبلة يعتقد أنه معصوم من
الخطأ. ليست هناك مبدائل وإنما هناك
أحداث. ليست هناك قوانين وإنما هناك
ظروف والرجل الممتاز هو من يحتض
الأحداث والظروف كى يسيرها (...
كان بلزاك ذارونيا قبل الدرويشية.
ميكافيليا إلى أبعد الحدود. وهى لم
يكن يشير إلى أدواء المجتمع الرأسمالى
الجديد بترفع الحكيم العارف ولا يتحصى
المحل المحذر الواعى. بل كان يرفض مع



أما ملزك الإنسان قلعه كان السبب
وراء مأساة بلزك الميغ والكتاب معا.
فأطفل الصغير الذى كان يقف في
حصرة أمه. كما العصفور المشلول أمام
الأفعى. والذى ظل. منذ كان طفلا
رضيعا. متخفيا نفيا تاما ما بين
الصناعات والحداد والداخلية إلى أن
أصابه اعتلال الجسد والتهزم الروح. ذلك
الصبي الذى ظل يكاد تصمييق أبية عليه
لنشفة وإمعان أهراثة من أبيضائه
والسخرة منه. والذى أدرك قبل الأوان
الأسيرة المربية لتضمين أمه لأخيه
الأصغر هنرى. أقول ذلك الصغير العز
قد شب في عالم شديد القسوة. يصوح
بأخلاقيات التزاحم والتنافس والتكالب.
وهو ككل الشخصيات الملوثة في

الراكسين. ويتهاوت مع المتهافتين.
يرصد الصراع ويخوضه. ويحذر من
لهيب الطمع وأصابه به تحترق.
وهى هذا الإفراط تبدي الأدب لصاحب
اللهاة الإنسانية. كمادة استعمالية. إذ لم
يكن بلزاك ينتمى إلى تلك القصبة
النادرة من الأدباء الذين ينظرون إلى
الص نظرة تقدسية محردة من الأطماع
والشهوات. فيهتمون بالعمل من دون
الاهتمام بالثمرة. ويرون في الكتابة
معنى لوجودهم. ويجدون فيها إشباعا
روحيا وتفتحاً وجدانيا فهو مهمما كل
التضحيات (... كان بلزك يضع على قدم
المساواة النجاحات الذوقية الشخصية
والإبداعات الأدبية. فقبل عام واحد من
وفاته. وهو مشرف على تحقيق حلمه
الكبير بلزك من مدام. أنسكا. التى
يحبها منذ ستة عشر عاما. كتب بلزاك
فيها لأخته تلك الكلمات. إنه لدعاة
لثفاخره في باريس أن يفتح المره صالون
فيه امرأة لها مهارة الملكات. ذات أصل
عريق. ومنسبة لأكثر العائلات. وهى إلى
ذلك لبقة ومنقطة وطول. ولو أن المره
استغلال ذلك الوضع ففى وسعه أن
يضمن وسيلة كبرى لتحقيق السيادة
(الهيمنة). (-). فبغض النظر عن ثرونها
الطائلة. تجلب لى هذه الإنسانية معها
أعظم المزاي الاجتماعية (... فإن لم
أصبح عظيما بفعل "اللهاة الإنسانية".
فستجلبنى هذه الزيجة عظيما.
فكان الزواج بعد طول مباحقة من
جانب المرء. كى يرضى من سيق
ما كان يصبو إليه من سيادة اجتماعية.
فقد رحل بعد ثلاثة أشهر من إتمام
الزفاف.
هاتهافت أيضا يستملك بأجنحة
إيكابوس ..

لم يكن بلزك ينظر إلى الأدب كغاية
وإنما كوسيلة. وسيلة بين الوسائل الممكنة
لكسب المال وتحقيق نوع من النجاح
الاجتماعى. لذلك لم يزد على طرق كل
الوسائل الأخرى. فمن اشتغال
بالمصاحفة إلى إنشاء مطبعة إلى شراء
صحف إلى أطعمة إلى السياسة إلى
تجارة وأعمال واستثمار (أ فقد طمع
أدبينا. عفا. أدبهم- أن يحقق أرباحا
طائلة تارة بشراء متاعهم فضة في
سردينيا. وتارة أخرى بزراعة مساحات
ضخمة من الأناناس داخل صوبات في
منزلهم). ولا كانت كل تلك المشاريع تبوء
بالفشل الذريع. مخلفة وراءها ديونا
جسيمة. هلقد كانت سببا مباشرا وراء
انكفاء بلزاك الدائم على الكتابة. ليقى
بمواعيد الطباعة وليقدم لنشره الرواية
العدد المائة وثلاثة. أغسطس ٢٠٠٧ م

تهتم وجهات نظر، وتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والمالية. وتشكر الناشئين والكُتّاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. *

تاريخ الاسترقاق وسياساته

ركري لوكمان
ترجمة شريف بوس
الطبعة دار الشروق ٢٠٠٧ ٢٦٦ صفحة



يقدم المؤلف هنا رؤية لتاريخ الاسترقاق وسياساته، ويمكن القول إنها في مواجهة رؤية ذات طابع استعماري استعماري قام به مستشرقون غير مثاليين، يمكن اعتباره رؤية متصفة إلى حد كبير.

وكن يصل المؤلف إلى استنتاجاته الأساسية في هذا الكتاب، فإنه يعود إلى المنابع الأصلية التي استقى منها هذا العلم الاسترقاق إلى الاستعماري مادته العام، بدءاً من الثقافة اليونانية القديمة التي اعتبرت الأب الروحي للفكر العرسي في صفاته العاصرة، وصولاً إلى عصر النهضة، مروراً بثقافة العصور الوسطى الأوروبية.

وهو هنا يميز بين ريتين، رؤية أصولية تنطوي إلى الإسلام باعتباره إسلاماً وحيداً، وفي في هذا الإطار تتعامل مع النص في هيئته الجامدة. دون أن تلتفت لتطبيقاته على مر العصور، ودون أن تحاول أن تستكشف ما ينطوي عليه من رماية، سمحت للمؤلفين أن يبتعدوا بوصفهم أعلم بشؤون دينهم.

واستناداً إلى هذه العكرة، فقد اعتبر المسلمون هم أنفسهم في كل زمان ومكان، وأنه لا اختلاف يذكر بينهم، وهي صورة أضرت كثيراً بالاشتغال على الإسلام والسلم، لأنها انحصرت على عملية تحليل لغوي دون أن تتجاوز إلى تحليل واقع المسلمين المعاش عبر العصور.

ويشير المؤلف إلى أن اليونانيين القدماء لم يعتبروا أنفسهم أوروبيين غربيين أو مسلمين بل ما يعرف بعد ذلك بالحضارة العربية. لكنهم اعتبروا ذاتهم جماعة مميزة ثقافياً وحضارياً وسط مجوعات من البرابرة.

وقد بلور الإغريق القدماء صورة متطورة للشخصية الاجتماعية والسياسية لدول وشعوب آسيا. وفي صورة وصفها الأوروبيون العربيون بعد ذلك بزم طويل لتدمير الشخصية الجديد بين الشرق والغرب، والذي طرقت به أدب الإسلام وحده، بعد استيعاب أصحاب الحضارات القديمة في الصين والهند، وهي الصورة التي

بالت شديدة الوضوح بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وفيما يبدو فإن هذه الصورة كانت إلى حد كبير قرينة شائعة من صراع الإغريق الطويل مع العرب، وقد أقام الأخيرون دولة قوية في إيران، قدر لها أن تهدم الدولة الإغريقية وأن تزحف على مدنها في سعيها للتوسع وتأكيد قوتها الثابتة.

هذه الصورة التي صاغها الإغريق عن أنفسهم التي أصقلت لشعرة الاستقطاب الحاد بين العرب والشرق، والتي لخصتها عبارة كيليج، الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقي، وهي أيضاً التي أعطت الأساس النظري لفكرة الاستقطاب الشرقي، إذ صار الشرق كله كتلة واحدة تحكم من خلال حاكم مطلق، والناس عبيد مستبدون، وهي بدورها فكرة غير صحيحة تماماً. إذ كان العرب أنفسهم على عصوره الوسطى استبدادياً يحكمه طغاة ربما أكثر عنفاً وأشدّ بغضا من الطغاة الذين عرفتهم المجتمعات الشرقية.

المؤلف من ناحية أخرى، يعيد الاعتبار للثقافة الشرقية والإسلامية على وجه الخصوص، فالفرابيرون وإن كانوا يؤكدون على مرجعية الثقافة اليونانية، فإنهم لا بد أن يفتروا كذلك أن هذه الثقافة لها مدينة لعملاء المسلمين في الفلك والطب والهندسة والجبر وما أسودا عليه علومهم فيما بعد. وحين جاءت المسيحية فإنها عكبت هذه الفجوة، فحسبوا بالاعتماد على التقسيمات الثوراتية للعالم، والتي يأتي فيها الأهرار في ديل القائمة، والذين كتب عليهم أن يكونوا دُعماً، للثبات، أي المسيحيين الغربيين، وللإغيار من اليهود على السواء، وحين ظهر الإسلام، ظل المسيحيون الغربيون يتعاملون مع اتباعه بوصفهم أولئك الذين همجوا ولهموا أصحاب رسالة، وحتى حين أرادوا أن يتصرفوا عليهم فإنهم لم يسعوا إلى فهمهم وإنما دراستهم على طريقة «أعرف عدوك».

في مرحلة تالية استزداه توجهات المستشرقين إلى الشرق لأسباب مختلفة، وسيتمهم هؤلاء في أصناف النالصب، أو بالإيجاب للفكرة التقليدية عن الشرق، واستيعاب الفكر المصلحيين لإدوارد سعيد هذه الجهود في دراسته المهمة عن الاسترقاق في أواخر السبعينيات، لكن العداء سببها، واستكون على الإمبراطورية الأمريكية في صفاتها الاستعمارية الجديدة أن توجهه وتؤكد، كي تستمر على منطقة الشرق الأوسط وتبذل خبراتها الاقتصادية والنفطية على وجه الخصوص.

ركن العشاق (قصص)

عبد الرشيد صادق محمودي
القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧ ١٨٢ صفحة



تصم المجموعة ست قصص، ركن العشاق، البهجة الأم، أنا تنحني، عشاء على شاطئ البحيرة، يوم تهر الجند، سوكس، وهي في مجملها تسمى إلى الموص في النفس البشرية واكتشاف دوافع سلوكها، كما أن بعضها يعبر عن صدام الأنا والآخر، وما يبدو من تفاعل أو انسحاق في هذه العلاقة المعقدة.

المؤلف متألاً في هسته الأولى ركن العشاق، يجعلنا معه إلى علاقات حب عجيبة ومتشابهة إلى درجة فانتازية تبدأ بـ «أشرف، محرو باب ركن العشاق في إحدى المحلات، والذي يحلم بكتاب يسمى، الكتاب المطلق، الذي يعلم كل شيء كل شيء، لكن هذا الصمم الذي لم يعرف الحب والذي يعيش مع الأم الحنون، توكل إليه مهمة أن يحل مشاكل العشاق ويهدئ خاطريهم، وحين يقع هو نفسه في الحب، يخاف أن يأن من أحب لها غطيط ومشيق وأحر تقيده بوصمه الأبيض لها، وهي تلتزم معهم جميعاً فترجل متحذرة من الضيق دون أن تعد فيما ترفض تلافها من أي شيء، وفي أجواء العشق المتداخلة والمرتبكة لذلك، أجزء الحول البلب التي هي برهت، كما يحبره سيد، المؤلف الصغير لدى رافقت، شقيق سوسن التي ينتظر دوره كي يصبح هو الآخر الأبعد... كان يسير بهبط ليقتل أنزل نفسه في الوحل في لحظة وسقط بحمله، ولكنه كان يريد سيارة تقطه إلى بيته بأقصى سرعة، نولا حمله لعدوه، كان عواء المرأة للذلة يظلمه، في المرأة نفسها التي تتلفها على ترويتب والتي قالت له بدلال أسراً، لا بد أنك كوتبت بأحب عشرات المرات، ومساءل نفسه، ليحب من يستغار في مستشار في أمور الحب هو الذي لا روية له ولا حبيبة».

ويتألف من ست قصص المجموعة، والتي تصم بميات مختلفة للظفر والتأويل في جماليات النص ومقاصده. كما نرى، أياها القصة التي عرضنا لها باختصار محل بالظهور، تنطوي على دلالات ليحات مرتبة كثيفة، سياسية ونفسية وإثنائية، وهو الأمر نفسه الذي يصادفنا في باقي قصص المجموعة، والتي تقعح بماتيات مختلفة للظفر والتأويل في جماليات النص ومقاصده.

المسرح الإسرائيلي

شعون لبي
إعداد وتقديم سلمان طاطور
رام الله - مدار - المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية ٢٠٠٦ ١٤٨ صفحة



يعتبر المسرح العبري في إسرائيل من أرقى إبداعات الفنون، وتقبل عليه كافة الأجيال والشرائح والطوائف باستثناء الفلسطينيين المتمزجين، لأن الديانة اليهودية المسرح وعدم تحريره، أم أن الصهيونية لا تتسع للفن المسرحي بل تحرره، وهو ما يثير تساؤلاً حول هوية هذا المسرح، هل هو نتاج إسرائيلي مدني، أم أنه تحول طراً على الفكر الديني اليهودي دفعه إلى قبول حياته المزعزعة لأنها تضع نفسها فوق الديانة، باعتبار أن الصهيونية ذاتها عقيدة سياسية.

والكتاب الذي ألفه واحد من أهم الباحثين في المسرح الإسرائيلي وهو رئيس قسم المسرح في جامعة تل أبيب، وهو أيضاً ممن يشتمون إلى تيار تقدمي مناهض للاحتلال والعنصرية والتمييز القومي، ومن الباحثين العالمين في مسرح صمويل بيكيت والمسرح الألماني المعاصر، يجيب عن تساؤل، إلى أي حد نجح المسرح العبري في التعبير بصمد حيوية عن هذا المجتمع وتناقضاته ومشاكله الجوهريّة.

من ناحية ثانية نلاحظ في الدراسات التي يقدمها الكتاب أن النصوص التوراتية حاضرة بقوة في المسرح العبري، برغم أن اليهودية تحرم من المسرح، بل أن هذه النصوص من بوطيها منذ عهد ميكر في حمة تزييت أركان الدولة الجديدة، أي أن متعلقات هذا المسرح منذ البداية كانت قوية منسجمة مع المشروع الصهيوني منذ بدايات المسرح العبري، من ملاحلة أن المسرح العبري المعاصر بدأ في أوروبا وليس في فلسطين.

وربما كانت أبرز سمات هذا المسرح في السنوات الثلاثين الأخيرة في تحرره من الالتزام بقضايا الأمة، وتحوله من مسرح ترويجي قومي إلى مسرح نقدي لاذع، في السياسة والاقتصاد والمجتمع، ولأن هذا المسرح تأسس أساساً خليج إسرائيلي فقد أحضر معه كل منجزات المسرح الغربي، ولذا فإنها المسرح حضوراً عالمياً كبيراً لم يحققه المسرح العبري،

الديمقراطية وحوار الثقافات

السيد بسيم
القاهرة دار ميريت للنشر، ٢٠٠٧، ٢٢٩ صفحة



يضم الكتاب أقساماً أربعة، يمكن اعتباره مجموعة تعبيراً عن أصداء كل أزمة الديمقراطية العربية والصراع حول حوار الثقافات، وهو يستعمل على مقالات نشرها المؤلف على مدى عام كامل تقريباً (من ديسمبر ٢٠٠٥ وحتى أكتوبر ٢٠٠٦) في صفحتين مصرية وعربية.

وهو يبدأ بمقالات موسوعة عن الديمقراطية في العالم العربي، يؤكد فيها على العلاقة الوثيقة بين طبيعة النظام السياسي وإفرازاتها الثقافية، وإلى كل يعترف بالصدور بين المطرية والتطبيق، خصوصاً أن ثمة تأثيرات داخلية وخارجية متواترة في هذا الأثر، ويشير المؤلف إلى اعتبار الديمقراطية العربية في محلها تزييف إرادة المايحين سواء كانت في انتخابات رئاسية تقوم على التنافس على مقعد رئيس الجمهورية أو في انتخابات الانقياد الرئاسية التي يتم بموجبها اختيار أعضاء المجالس النيابية، المقاطبهم وضع التشريعات، وهذا يعني أن مسألة الأغلبية التي تشترك بها بعض النظم وتراها معطياتها تنقيحاً ما تريد هي مسألة محل شك كبير، كما يلاحظ المؤلف أن مبدأ المساواة أمام القانون لا يطبق بالتساوي في المجتمعات العربية، لأنه في الدولة السلطوية، يستطیع أعضاء النخب السياسية الحاكمة الإفلات منازع حتى من تطبيق القانون، ويشهد على أن إتمام عملية التحول الديمقراطي في العالم العربي لا بد أن تشهد للصورة أيضاً لبدأ المساواة أمام القانون، والتي تقتضيها الضرورة أمام القانون، وهذا أيضاً غير متحقق، إذ سيطرة القانون، والصلوات الأوتوكراطية توجد دور عربية عديدة ليس فيها فصل واضح بين السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية، كما أن مسألة احترام حقوق الإنسان وسيادة قيم التسامح وهما من الحقوق الأصيلات في الوسط العربي محل شك كبير.

في أفكار عديدة أخرى تتضمنها الدراسات بين دفتي الكتاب، والذي ينبغي المؤلف بصياغة عناصر استراتيجيات ثقافية عربية تتضمن رسم خرائط معرفية للاتجاهات الأيديولوجية في العالم العربي، يحيط بكل أنواع الطيف الثقافي والسياسي في هذا الواقع العربي، وتقيم الوزن النسبي لكل اتجاه وتجادل، حتى يمكن تقديم صورة موضوعية للتفاعلات السياسية بين أنصار الأيديولوجيات العربية المختلفة.

فصلاً عن انه لا رقابة مطلقاً على المسرح في إسرائيل، وهو ما شجعه على العوض في كاهه القضايا بلا محاذير من أي نوع

التزويل

جمال الفيضاني
القاهرة دار الشرق، ٢٠٠٧، ٢٢٩ صفحة



تحكى الرواية عن هبة التزويل التي تعيش على الطريق النواصل بين مصر والسودان والذي يمر ببلدة حلايب، وهم - بحسب المؤلف - يتجنبون لقاء بعثات المتاجم أو البترول، إلا أن بعضاً من رجالهم عمل بالفعل كحمايين في مناجم الفوسفات، وهو ما تلبته سجلات شركة مصر للتأمين، كما أن كثيرين منهم عبروا الطريق النواصل بين البحر الأحمر ومدينة فنا في صعيد مصر، وفي الصعيد مارسوا أعمالاً شتى عملوا في جمع البلع وبناء البيوت والملاحة في المراكب النهرية وبيع الفاكهة وتجميع القطارات وبيع أشياء صغيرة في عربات الدراجة الشائبة، بالإضافة، ولديهم تقاليد راسخة ولا يسمحون للفرقاء بالاقتراب إلا وفق شروط واضحة ومحددة، لهذه الأسباب جميعها رويت عنهم أساطير وحكايات كثيرة تخلط بين الحقائق بالأوهام.

يرى الفيضاني العبادية، وهما فيبكتان كيرتان في الصعيد عن الزويلية أنهم ليس لديهم مصادر مقدسة مكتوبة، أو محسوس مخطوطة، إنما انتقلت معتقداتهم المقدسة تلك شفاهة عبر الأجيال، وقد اختفى زويل الكبير منذ عدة مئات من السنين، لا يعرف شئ على وجه الدقة، وقد بدأ عنه الشيخ المثلث، وهو يتحدث في طرابع المثلث حتى يعود من غيخته واعتقلته، لكن لذا اختفى الزويل الكبير.

تقول الروايات إنه ضاق بالعالَم وما فيه، وكانت زوجة الطاهرة النقية كالندي تتحدث في طرابع المثلث حتى يعود من غيخته واعتقلته، لكن لذا اختفى الزويل الكبير.

في هذه الأجواء الأسطورية تدور أحداث الرواية، في زمن مسخري مدته.

وتبنى موقف رند من ثلاثية الماص والعمى والمستقبل يقوم على منهج علمي ونشدي أو الواقع العربي، منجى كاملاً لا يفصل بين السبلية والاقتصاد والاقتصاد والتشاقفه ويستشير في التمثل العربي وتعامل مع العولة يعبر شطوط أو حلو

ونتمشى الاستراتيجية الثقافية العربية أيضاً حصر مشكلات التواصل الثقافي مع الغرب ومنها العلاقة بين الإسلام والعرب، والتطرف والإرهاب والهجرة العربية إلى أوروبا، إضافة إلى الدعوة للإسهام العربي في مناقشة المشكلات الإنسانية العالمية، ولعب دور فعال في حوار الحضارات

البحث العلمي في المجالات الإنسانية

مصطفى عبد الحسيب محمد
إيلي سكروسي
القاهرة دار العين للنشر، ٢٠٠٧، ٢٢٢ صفحة



تضم فصول الكتاب الستة، خلاصة الخبرة النظرية والتطبيقية في مجال متابع البحث العلمي، ويقع الأثران في الفصل الأول مدخلا نظري يتخصص تعريفاً للبحث العلمي وواقعه واستراتيجياته الأربع: الاستقرائية والاستنتاجية والتأديرة والافتتاحية، ويعرض القواعد العامة للسلوك الأخلاقي للباحث قبل أن يعرض الإجراءات العلمية التطبيقية لإعداد بحث علمي رصين في المجالات الإنسانية.

ويعرض المؤلف القائل لطريقة الوصفية في البحث وتقنياتها المناس، وهي البحث التاريخي الوثائقي والمعالجة العلمية وتحليل النظم والمعالجة المشكلات والمعالجة والمقارنة وتحليل النظم وتقنية زوم.

ويتضمن الفصل الثالث شرحاً للطريقة التحريية في البحث العلمي في المجالات الإنسانية وتقنياتها الخاصة.

ويقدم الفصل الرابع أدوات البحث العلمي في المجالات الإنسانية وهي ست الخطوط والوسائل والصادر الإكثرونية واللائحة والملاحقة والمعالجة الشخصية وصحف الإنسانية والاستقصاء واستمارة البحث ومغياص انماط التفاعل الاجتماعي والاختبار التحصيلي.

وفي الفصل الخامس سيجع صيغ ليبحث الوضع الراهن في المجالات

الإنسانية وهي الكميات والكيفية ونفسية والتطويرية وبحوث الأداء وبحوث التزاي العام وبحوث الفرق ويخصص الفصل السادس لعرض صيغ بحوث التسبيل

رحلات بنت قطوكتا
عزة سر
القاهرة كات نيوز، ٢٠٠٧، ٢٢٢ صفحة



هصول من أدب الرحلات، ترسم المؤلف فيها مشاهدات ترحل بين رؤية سائح وعين أدبية، فائقة الأدبية حاضرة كون الألفة شاعرة وكاتبة قصة، أما الرحلات فتبدؤها من اليونان ثم إلى إحدى المدن الإيطالية - سيراكوزا - ومنها إلى المغرب ثم الحجاز في شيبا اليوناني باليونان، تصادف المؤلف مدينة كوزموبوليتان ذات تاريخ عريق وسحر خاص، وتضم كوزموغرافيا يحضن شفاطات الشمو جميعها، تقول كات الرقية في الحوار العميق والتشاعر كات شفاطات متعددة تتعاطب المتأخر والفروق في أرق تعبيراتها، بلغات مختلفة

سعدنا الشعر والأدب، وبأساليب تعبير متنوعة وغنية عبرت الشعوب عن داخلها، تعرض مسرحية وهلام تحسية، لقصص شعبية وأغاني أعزاس وعروض بالية، وعبرت النساء البعثات عن يدهن من هذا الشوق والفن والخصوصية التي جعلت لهذا البلد مذاقاً خاصاً.

وفي سيراكوزا كانت المؤلف مدعوة بصفتها صحفية للتمسك في مؤثر عن حقوق الإنسان في وسائل الإعلام المصرية والعربية، وهي إلى جانب ما سجلته من ملاحظات ما نقلته من مناجيات مدار

في المؤثر عن رؤية الآخرين لحقوق الإنسان عندنا، ورويتنا نحن لحقوقهم في المعرفة والاتصال، فإنها لا تقوم العروسة لتحدثنا عن الناس والكان والأشياء، والعلاقات المتخالفة بين الجميع في هذه المدينة الإيطالية الحبيبة.

وهي المحرر تمسك لما ما دار في مرجحان الرباط العادي عشر، لذلك المخرج الذي يترشح في الشفاطات من الخصومية بالمغرب، مؤثرات أندلسية وعات حديته أيضاً، لكنها إلى ذلك، تحدثت عن الرباط المدينة، حاراتها وشوارعها وسماها المعاصرة، تدخل بنا إلى رقة السوية ورمع اللخ وشارع محمد الخامس، راحة العطارك والنشاي والصدل والقرصن والعلمة وقوش الحناء، قبل أن تسفل بنا إلى مدينة فاس سافها شديدة التميز.

رواية من الواقع العربي

اليساطير

هاشم رزق المصري

القاهرة، دار العين للنشر، ٢٠٠٧، ١٨٢ صفحة



مكتوب هاشم إسماعيل رزق المصري طبيب فلسطيني يعمل بالطب والأدب والسياسة وهي ثلاثة تكثررت كثيراً في الأدب والثقافة العربية. ولد الدكتور المصري في مدينة نابلس الفلسطينية أيام الاحتلال الإسرائيلي وقد اعتقل وأبعد من قبل السلطات الأردنية عام ١٩٨٥ بسبب مواقفه السياسية. ولقد تم إبعاده للمرة الثانية من المملكة العربية السعودية أيضاً بسبب نشاطه السياسي وهو يعمل ويقيم حالياً في استنغول.

اليساطير هي أحدث رواياته:

من وادي التفاح، من شارع عبدالناصر، تحركت الجماهير. تحمل الشمس ثمن الشهيد، تطلعت للشارع، ماجت والنش على الأكتف، في وسط الجماهير القاضية علال الشمس، جلت بالعلم في الألوان الأربعة، هاض بينهم، يحمل النش، يدها طويتان، أصابعه مضغوطة، صاوحا به:

الزكرة، معاً لا تقدر على حمله.

لم يهتم له يسمع، الأصابع الفضة والحقد والتصميم والشميرات الصغيرة فوق الشفة العليا ترتفع

سنتع، الركة هنا من أكبر مكرهم، عاودوا وصاوحوا به.

بالأساس خرجوا كانوا سويًا، جمال مهم بجانبهم في مقدمتهم، هاجموا دورية للصور، راغما بإحارة، احتزقت السيارة وثلاثة جنود، صرخته رصاصات العسكر، احتزقت صدره وفراق الحياة

الأصوات تملو من حوله، يصيحون أن يبتعد أن يترك النش، أن يترك جمالا، ظل ماسكاً للنش في يتركة، سار معه إلى مقبرة الشهداء، شهداء الجيش النظامي، شهداء عام ١٩٨٨

ثم تملك، لم تزل له دمة، صديقه، رفيقه، من كان بالأساس معه، فعاذهه الأبيكي، فاندفع يمسك الحقد يوهن الإرادة، وعاد إلى بيت جده، دخل الحمام فحس حاجته وقبض فجده، عندما فتح الباب كان أبوه في انتظاره، لم يسل، بمجرده أن رآه

لطمه على وجهه.

الترك الزهران، صاوح به، إننا لسنا لهذا الأمر مريد أن نعيش غادر البيت رأساً بدون أية كلمة مع جدي أو جدتي، جدتي أخذتني من يدي

فسلت لي وجهي وأجلستني على الكنية بجانبها لا تأبه له، لا يعرف كيف يتمصرف، والملك ستحضر بعد عدة أيام.

وكانت هنا لفهمتي، قلت لنفسي، دعوى سالت على خدي، جدتي أخذت راسي إلى صدرها وضمتني، تذكرت صديقي، سمحت عيني وخدي بطرف قميصي.

في الصباح جعلت الأفعان، فحيت للضرب، بعض الأصدقاء قد سبقني، ويدات انظرني اسي.

في أول يوم أجبت الطعنة في حضني، لم أجدت أسي بما كان يبسي وببسي أسي، تلاوتنا الشفاء سويًا، في اليوم الثاني عندما عدت من المدرسة أسي على الباب لتتظفر

تلتظفر في وجهي ويصلاً غليظة اللقاف والحيرة، مسحة حزن وتمكبر شلاً وجهها، يادم الأسر لم تقل شيئاً، أخذتني من يدي، أفضرت لي الطعام، بعد أن أنهيت طعامي، رفعت وجهها سألتني.

ما هو الوضوء؟ أريكم بعض الكلمات وخرج، وكعادته يكمل جملة في الطريق.

تظنرت إليها لم أقل شيئاً

أنت الوحيد الذي خرجت به من هذه الدنيا، انظر لا أخلتلك، قالت بحزن وغايت عني، دمعت عينها، الألم يعتمرها، تعود للأيام الماضية، تذكرها وتخاف على.

لا بد أن أتحدث أن أكلم، في بالذات لا أستطيع أن أعرب منها، تلاحتني بنظرها وانف سؤال وسؤال فطرته.

أبي لم أهتم كثيراً، لم أشعر بأن ملزم بأن أفسر له، كنت أجابه بالصمت منذ سنوات لم أره إلا قليلاً

أبي تكلم عن جنازة جمال، لقد كنت في الجنازة، ماذا في ذلك؟ قبل أن أكمل كلامي فاقطعتني.

ليس الجنازة فقط.

هكذا إذن، حدثها عما كان يردده دائماً - الزعرار والحجارة ولم يقبض شيئاً.

وقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية

لسكان عشش منطقة الشراية بالظاهرة، يوصفها نموذجاً لثقافة عشوائية، وسكني العشش تعبير مأساوي عن التحولات

الاقتصادية والاجتماعية التي تجري في العمران البشري، وهي تشمل من ناحية

ثانية أدنى الأصناف السكانية. وقد استخدم مصطلح مدن وأحياء الضعيف

في الصيد من دول العالم للإشارة إلى هذا النمط المتدهل من السكن في المناطق

العشوائية. وقد بدأت ظاهرة سكني العشش في مصر، هي إطار ما يسمى بإسكان الإيواء

المؤقت الرسمي في بدايات الستينيات، عندما تولت وزارة الإسكان بناء مشروع

ذاصر للإيواء العاجل في عدة محافظات، وتم إنشاء ٢٠٠٠ وحدة منها في القاهرة

ومعها على هيئة أكشاك، وكانت خدماتها الخاصة بالصرف الصحي والياه مجمعة

على كل موقع للاستعمال المشترك، وتركزت في وجه الضعفاء من إمارة والأميرية

وطوائن والأراضي المحيطة بالسكة الحديد، وعادة ما يلجأ سكان العشش إلى

إقامتها بالقرب من مواقع خدمات أساسية كالصرف الصحي ومياه الشرب، ويمثلون

بتواجدهم هذا ضغطاً على تلك المرافق، ما يجعل بنايتها هراة ويسبب مشاكل بيئية

كبيرة. وفي سياق القاهرة الكبرى على سبيل

المثال، فإن العشش تقام متاخمة لأراضي الإيواء المؤقت التي تشيهاها الحليات

لاستيعاب سكان المساكن القديمة الشى تهدمت، كي يستفيدوا من موات المياه

المشتركة المخصصة لهم، كما أنهم يستفيدون من الصلاات الكهربائية

لساكني العشش القدامى، أو يسرقون التيارات الكهربائية، وكذلك على الأراضي

الواقعة بطول مجاور السكة الحديدية، والمناطق الخالية الواقعة على ضفاف نهر

النيل، والأراضي الفضاء بجوار المناطق الضعيفة والأراضي المتاخمة للمناطق

الأثرية والصناعية المؤقت. وفيما يتعلق بمنطقة الشراية التي

فيها موقع الدراسة، فتاوقت الأراء بشأن بداياتها الأولى، لكن ثمة اتفاقاً على أنها

بدأت بعدد محدود من العشش لا يتجاوز ١٥ أسرة استقرت بالمنطقة، بعد ذلك الأسر

في التوافد لتباعاً، حتى أصبح نطاق العشش بالصورة التي وصل إليها الآن.

ومن أبرز المشكلات التي تعانيها العشش، الاعتقار إلى أدنى درجات

الخصوصية وانعدام الخدمات الأساسية ولا يلتفت المسؤولون إليها إلا في حالات

الكوارث، وتتوغل بها أشكال الجرائم والبلعجة على النحو الذي يمكن أن نجده

في عشوائيات مماثلة، هي إطار البحث الميداني، أبدي سكان العشش استعدادهم

لتركها على الفور إذا توافرت لهم أماكن إقامة بديلة وقصر عمل قريبة منها.

الدراسة ترصد أحوال سكان عشش الشراية صحياناً وإحصائياً وتعليمياً وأمنياً خصوصاً أن سكان العشوائيات في مصر

أما هي الحجار فرحلة الشوق الأدي

لجوار الكمية ومسجد سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، ملايس الإحرام البيضاء

والحمام الأمل يرفرفه يحس الحس وأواب الجنة مشرعة للتوابع الصادق

العائدين، لزراء الروح الأدي وظلمها الأدي هي أن معاً

٥٠

أنا وظفلي والطبيب

د إبراهيم شكرى

القاهرة دار الشروق



أنا وظفلي والطبيب حوار بين اثنين في أمر ثالث بينهما شأنه، هو الحوار أو

الحديث عبارة هي يعض المعلومات والتوجيهات، وأجابه هي تساؤلات تخص

حياة الطفل اليومية ورياحيته وأمراضه الشائعة، يستعمل هذا الكتاب على أربعة

أبواب ١. العام الأول من العمر يبدأ من أول يوم بعد الولادة.

٢. من العام الثاني حتى سن دخول المدرسة.

٣. أعراض وأمراض شائعة في فترة الطفولة.

٤. تشخيص وروضة

أنا وظفلي والطبيب كتاب ألفه أهم أطباء الأطفال في مصر والعالم العربي

الدكتور إبراهيم شكرى، أستاذ طب الأطفال بكلية الطب بجامعة القاهرة، هو

نتاج سنين من الخبرة العملية كتبه المؤلف خصيصاً للأم المصرية والعربية ليكون

مبتاه مرجع لها في كثير من الأمور التي تلتقي فيها طفلها والعناية به، وتشخيص وترتيبه السليم، وكيفية

التصرف أثناء حالاته المرضية

٥١

نوعية الحياة في منطقة عشوائية

إشراف محمود الكردى

القاهرة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناسية، ٢٠٠٧، ٢٨٩

صفحة



تهدف هذه الدراسة إلى رصد وتحليل

الآن، يمثلون ما يقرب من ثلث عدد السكان، أي ٢٥ مليون نسمة، وهو رقم ليس بالهين.

الصحة والتربية

حجاج أدول
القاهرة المؤلف، ٢٠٠٧، ١٢٦ صفحة



من واشتغلي بالذات، أطلق الأديب
 النوبي حجاج حسن أدول صبيحته المطالبة
 بحقوق النوبيين، وطالب العالم
 بحمايتهم بوصفهم أقلية مضطهدة،
 وقطاعاً من المصريين يعانى ظملاً تاريخياً
 منذ بدايات بداية الحجاز ثم التعليلات
 المتتالية التى بدأت فى ١٩٠٢ وانتهت مع
 إلغاء السيد العالي فى ١٩٦١.

يشهد أول ما يسميه بالفضيحة الجوية بالفضيحة المظلمة، أو بالملصقات السوداء. هم يرون أن المظاهرات بواسطة المظاهرات هي عملية ترأسها بالفضيحة السوداء، وهو الأمر الذي طالع الأزمات أيضاً. هذا هو طرد طرد المظاهرات والذين على خارجها، في تقويضهم من خلال صحفهم في مواجهة ضاماً لذلك التي استأجروا، وهو ما ارتضاه على احتياطهم وأيامهم الضام، وهو ما جعلهم معالمة الإنسانية التي منحتهم الأضام الطوعية، تلك التي والزمانية التي عاشوا معهم، هم تلك التي وبخودها بشكل مناسب على التي اليوم كما أنه يرى في عملية الإبتداء تشابه كبيراً مع عملية أبيض (اللون الأحمر التي جرت على أيدي الأوربيين القامرين الذين قتلوا مئات الآلاف من السكان الذين الأصليون تم بدلا منهم ونشئوا الولايات المتحدة بأكملها).

وسيجب هذا، بالطبع، إلى يراة الدول، فإنه يقتصر عدد من الطلاب على يرد الاعتبار إلى الدولة، النوية أوتها أن تصبح الحكومة المصرية الراعية التي ترأس الاستعلاما هي منطقة أراضي ألتانيا النوية قبل أن مواطنين مصريين آخرين، وأهم التكوين الكومسوري وأوروبا يتولى إدارة شؤون أبناء الدولة وتحقيق مطالبهم العادلة إلى أن يتم حل المسألة السياسية ضاماً فيتم إلغاء هذه الوزارة، وإعادة فتح ملف التوصلات للنوبيين، وتجهيز توصيات مناسية للتضحيات التي قدموها بديلا عن التوصلات الوخيفة التي حصلوا عليها من قبل، ونظرًا للتضحيات التي قدمها النوبيين، فإن على الحكومة أن تضمهم في موضع المواطنين الأولى بالرعاية، وأن تخصص لهم نصيباً من الوظائف في درجات

العليا. وأن تخصص نسبة من المعونات الأجنبية لتوطينهم، وأن يتم تدريس التاريخ التوحي هي المدارس. وأن تتم محاكمة جميع المسئولين الذين تسببوا في المأساة التوبة

هذه هي باختصار أحداث حجاج
أول التي أطلقها هي واتسطن، والتي يرى
فيها كثيرون من أبناء النوبة هي أحسن
العروض شططا ومغلا، وفي اسولها
عائلة جبهة انجيه، حتى ان بعضهم
يربط بين ما يقول حجاج أول والمخطط
الإسرائيلي لتحتيت مصر إلى دويلات
ثلاث: سنية وقبطية ولوية
هذه هي، بصحة، أول التي أعلن أنها
الغدا، سدان ما سيقم منها.

أفاق جديدة.. التناغم بين الثقافة
والدبلوماسية والسياسة

القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٧، ١٢٧ صفحة



مؤلف هذا الكتاب وهو سفير إيطالي في الساباس في القاهرة، والذي اعلمه بهنا قبل عدة أسابيع فقط، وهو إلى جانب نشاطه الدبلوماسي متخصص في الشؤون الاقتصادية والتجارية، وقد عمل قسماً قومياً للشركات الإيطالية في تونس، والمكركة الأساسية في النقيض تماماً لفكرة صراع الحضارات التي قام بها مصممون خياليون، في فكرة حول الشفاهات خنثى بين دول حوض المتوسط، ولقد واعد المؤلف إلى استعادة لبركان الثقافة والعنصرية والعلوم السياسية عبر هوية متوسطية تقوم على مجموعة من القيم والمصالح المشتركة، ويصعب ما يقول المؤلف بين الحكومات والجمعيات العلمية العمل على إعادة الأساسية إلى محور الأبحاث، لكن قد شرطاً على العودة، أولها وضع حد فاصل بين الخصائص بين الشعوب، والتدخل في الشؤون الداخلية لهم، ولهاها الحماية الصاعدة في الميدان العربي، ووقف الصراعات والعنف والحروب، باسم الكسبر المثير إلى ضرورة التخلي عن الإفراط في الإيديولوجية، التي يتبرها شعباً في القضاة السياسية عن ميدان عملها الكبيرة.

هذه أممية أكاديمية في التعددية في دور الجسر لعلاقات الشقة بين دول حوض البحر المتوسط، وصارحة شافاً للفضن التي تفرش شرطها على الحوار بين الشرق والغرب.

وتتصدرا حكاماً مسبقاً من عدم التوافق الديمقراطية مع الإسلام. وفي هذا الإطار فإن العلاقة الوثيقة بين الدول النافذة والجنوب المتوسط والشرق الأوسط لا تتسع لتجريب دولة المتوسط والشرق الأوسط. والبحر المتوسط بالمعنى الواسع للكلمة، هي المنطقة التي كانت منذ العصور الإسلامية الأولى ذات أهمية للعالم العربي. وفي وقت كانت أوروبا تدرج تحت حوض الجحيم والظلمة كما كان من إنسان البحر المتوسط لا يختلف عن نظيره في أي مكان في العالم المتقدم، لم تكن تدرج تحت ظروف قاسية لم يكن له فيها. ومن الجحور العربية والديمية. وهو ما يؤكد على أهمية أن تكون الإستراتيجية والقانون والثقافة بتحديد مجالات عملها في حال تحالف مشترك أو في إطار التفاهل القديم المقتضى. ولا نشارة الحكومات والاحتجاج المدني في وضع نقطة للامتنان. والاستقرار في البحر المتوسط الكبير. ويعطي المثلث الحال الثاني أهمية كبيرة. وفي هذا المجال، بل في مجال الثقافة في الهند. وخمسة المثلثات. فأحداث الأعداء والولايات التي تحتلها تعرف على مثلث وتشارك الأحداث التاريخية. فصرف النظر عن العقيدة والجنس، ولذا في استعادة الديمقراطية لأدوات الثقافة يمكن أن يكون وسيلة أساسية لتجنب التوترات وسوء التفاهم. مثل أن تتحول إلى اتحاد مدني.

الإنسان هو الحمل

القاهرة: دار سطور، ٢٠٠٧، ٢١٢ صفحة



البشرية المختلفة فيصعبه تأليف نص معين
والأولان والآخرات والتباينات، وهذه هي
حكمة الخالق سبحانه وتعالى، أن يكون
الشيء عموما وليس تفصيلا، لأن تفصيل
يؤدي طريق أنه يمتلك الحكمة
وأناهم هم الزفة الناجية دون سواهم، ولا
يأتي يمكن أن يكفر دون الحكمة أكثر من
هذا علم هذا، خصوصا إذا جرى الطرف
أنه يذهب أن يمتلك الحقيقة المطلقة
في فرضي صورتها على الأرضين.
ويورد المؤلف مقولة للشاعر
في سيرة، هي: سيرة، هي في مودع
التميز متسع للجميع، ولعلنا نضبط
الأرض أن لها الشاعر الإنجليزي شليس
التي نضبطها للجميع، الأضواء، هي
أفكارها في الإنسانية، هي، هي المكرة
الأسامية التي يدرسها الحكما، وهو لا
يأتي بالتفصيل في كل متعلم في وقتها

المعاصر وإنما يستقي أدلتها بالإحاطة في العصرين
 ومن رأى معنى ما يقوله أحداهما في العصرين
 القديم والوسيط، وقدمه في الفصل
 الأول من الكتاب برعناات فلسفية
 مستغنية لفكرة الأئمة - وخصوصاً في
 السوفسطائين اليونان، الذين يدرس
 تطور فكرة الرأسمالية لديهم، ثم يدرس
 الفكر المعاصر الإسلامي في العصر
 الوسيط ووقع الأئمة فيه، من خلال
 دراسات أستاذ كمبريدج الذي هو عبد الرحمن
 بن علي، ويخرج مندهس وسعيد أركون،
 ويقدم في الفصل الثالث نجاح تطبيقية
 نظرية ابن خلدون الأئمة وعملاً ليست
 تفكرنا وعملنا، باعتبار أن العمل ليس
 نهجاً نظرياً مجرداً، وإنما هو بحسب
 تعبيره المألوف للفرقة الإسلامية
 السليمة والأجداد بالقرن السابع على أرض
 الواقع، وإنما هو قدمه هذا الاستعميات
 باعتبارها معاليم على الطريق في هذا
 الإقرار، لذا فإنه يعتبر الفكر الصليبي
 في الأوزج جديد، والفكر الإسلامي الكلاسيكي
 إيمان أحمد، والمضائل في صفوف هؤلاء
 التحيز الجرمية فرائض الدين، ويشير
 إلى صدقات الحضارة القاطن الثلاثة،
 وإلى قواسم مشتركة ميزت فكرهم،
 ويخصص الفصل الأخير في البحث عن
 مميزات بناء الفلسفة الأئمة

أوهام مشروع الشرق الأوسط الكبير
محمد أحمد النابلسي

دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٧، ٢٣٨ صفحة



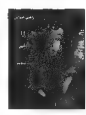
مشروع الشرق الأوسط الكبير ليس
وُلد السلفية، بل هو واحدٌ من الأفكار
التي تُزعم للبريطاني الأمريكي بوش الذي أعلن
في مارس ٢٠٠١ عن مبادرته للشرق
الأوسط الكبير وهو أكبر مشروع يتناحَر
الأعداء المحتملين للولايات المتحدة
الأمريكية: أوروبا في الغرب، والصين في
الشرق وروسيا شمالاً.

يقول إن هذا المشروع هو أب شرير
للعسكر الاستعماري منذ مهابيات الحرب
العالمية عشرًا. أما مبادئه التي في الحياة
عن جديد في هذا الوقت، فالتأويلات الثلاثية
التي رُغمها اليوم الأمريكي الجديد تثبت
الدافع العالمي الذي انتهى بانتصار أمريكي
كاسح، وغداً بات تام للعسكر الشرق
والغرب. إن الكتاب بعد مقولات الشرق
الأوسط الكبير ويعدّها هاماً. لا تأتي
الطابع البرجماتي للاستعمار الأمريكية
التي يتزعم عنها صفة الأيديولوجية،
ويجعلها عرضة لتقلب الزواج والاصحاب
والسياسات التي تتبدل يوماً بعد
آخر.

والكولسترول وأمراض الكلى، ويعالج
الطعام الذي يحتوي على كالسيوم
هشاشة العظام
وتؤكد أن السرطان يرتبط بزيادة
الآكل خصوصاً تناول السكر والدقيق
والدهون والبروتينات العالية. وقد بدأ
الانتشار الكثيف لمرض السرطان مع ظهور
الوجبات السريعة

الملك الذهبي

راهى حواس
 القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧،
 صفحة ١٦٥



زار الملايين الملك توت عنخ آمون في
 مكانه بـ «التحف المصري»، كما رآه ملايين
 منذ سنة عام ١٩٢١، حيث تارخ أول
 وثق له خارجاً من مصر: طائرًا يلدان
 مام وعلى مدى خمسة عشر عاماً، وهو

الذي حكم مصر عشر سنوات ويرجع
 البعض أنه ابن لاخاتون.
 ويتضمن الكتاب ستة من مقتنيات
 مقبرة توت عنخ آمون، حيث إنا كانت
 مخفية في بدوم المتحف المصري بالقاهرة.
 بعد أن خرجت من مقبرة الملك، وقد
 سجلت تلك القطع على يد مكتشفها
 هورارد كارتز، ونشرها في مجلد علمي
 يعرفه علماء المصريين، وهنا تظهر تلك
 القطع للمرة الأولى من خلال صور أحد
 المصريين.

ولا شك أن حياة الملك الصغير الذي
 مات دون أن يبلغ مرحلة الشباب، كانت
 لغزاً راوغ العلماء وعلى رأسهم مكتشفه
 هورارد كارتز.
 وبمناشئة الحديث عن الملك توت عنخ
 آمون، الذي كان يركب صجلته الحربية
 الذهبية ويقوم بالتقصيبي يشرح المؤلف
 كيف إن الهكسوس هم أول من أدخل
 العربات التي تجرها الخيول إلى مصر في
 القرن السابع عشر قبل الميلاد، لأغراض
 الحرب والصيد ومراكبة الكلبة، وكان أول
 المنصوص المصرية القديمة الذي ذكر عربة
 هو لوحة الملك خامس أحد ملوك طيبة
 الحارثية، الذين حاربوا الهكسوس وغالبوا
 ما كان فراعنة مصر يصومون في مساطر
 معارك، على صروح المعابد، متفريين على
 ساحة الحرب من خلال عرياتهم

ويذكر المؤلف أن كنوز توت عنخ آمون
 التي عثرت إلى مصر عام ١٩٢١ من رحلتها
 التي استبدت عام ١٩٢١ على مدى
 عشرين عاماً لم تعد تأسفر ثابته بعدما
 سقطت تماثيل، سلكت، الإلهة الذهبية
 الذهبية. في النابا - والتي كان يحبس
 القصورة التي يرقد فيها الملك توت عنخ
 آمون، فتمزق الكفت والراس وانكسرت
 الحية الملكية التي تزين رأسها.
 وكتب إرسال الفتح المصريون مقالات
 معترضين على إرسال القطع خارج مصر.
 والفتح البرلاني المصري وتم إقرار عدم سفر
 قطع توت عنخ آمون، لكن، حسمها جاء
 في كتاب راهى حواس، استطاعت سويسرا
 أن تفتح مصر ثانية بعد عشرين عاماً من
 توثق الملك من السر، وسافرت قطع توت
 عنخ آمون إلى العالم مرة أخرى.
 يذكر حواس أن بعض ملوك الدولة
 الحديثة مالوا لمفوقين، ويمكن الكشف
 عنهم في أي وقت والعثور على خبيثة
 ملكية لكشف لغز الملك
 ويرى حواسي أنه لا يوجد شيء اسمه
 لعبة الفراعنة، مشيراً إلى أن القدماء
 المصريين عندما يتخذوا لعبات على
 مقابرهم أملاً فقط، أن هذه الكلمات
 تحبس موتاهم ومعلم الكبار الذين
 ارتبط موتهم بلعبة كانوا غريزاً، وليس لهم
 أية علاقة بتثبيت القابر، وشخص واحد

فقط هو الذي ارتبط بالكشف ومات في
 ذلك الوقت، وكان هو اللورد كارنارفون
 وبعد خمسة وسبعين عاماً طلب عبارة
 «لعبة الفراعنة، كبحر العامة وممتحن
 هوليود والحقيقة» أنه لا توجد أي
 لعنة.

ويتضمن الكتاب قصص حب
 وقصص سرقة سرقة بعض قطع من
 مجموعة كنوز توت عنخ آمون وبميت
 بالماليين في العشرينيات من القرن
 الماضي، وهي موجودة الآن في أكثر من
 مكان باعتبارها عائلة هورارد كارتز، مكتشف
 مقبرة الملك الذهبي

إن قصة توت عنخ آمون شائقة
 وشائكة كحياته التي لم تدم طويلاً.. قصة
 تداول عليها عدد من رؤساء وزراء مصر
 ووزرائها ومستولوا الكبار بهدف حمية
 حق مصر من المستعمرين الإنجليز الذين
 كانوا يريدون سرقة كل ما اكتشفوه أو على
 الأقل تقسيمه مناصفة بينهم وبين
 الدولة المصرية.

ويذكر حواس أن مكتشفات مقبرة
 توت عنخ آمون إادت على خمسة آلاف
 قطعة فنية (!) وقد استغرق تنظيم
 الفيرة حوالي عشرين سنة (!) وتكون
 من أربع حجرات فقط

دوليات

مدى آخر

العدد الثالث، ربيع ٢٠٠٧



كان وجود أدباء وفنانين
 فلسطينيين خلف أسوار الدولة
 الإسرائيلية حاجزاً منع الجمهور
 تعرض من التعرف عليهم لسنوات
 قبل أن يكتب عنهم رجاء النقاش
 وغالبى شكري بعد عام ١٩٦٧. ومع
 أن القرن العربي انتبه لهؤلاء
 الأدباء في أول الأمر كأدباء مقاومة
 إلا أنه سرعان ما انتبه إلى الوهمية
 الاستثنائية للكثير منهم بعيداً عن
 الضمون السياسي لنتائج الأدبي.
 أصبحت أسماء مثل محمود درويش
 وإميل حبيبي من اعلام الشعر
 وأدباء العربى لقبيته إستواجههم

الأدبي، وكما كنا نحتاج إلى من يعرفنا
 بهؤلاء الأدباء كان من الصعب أحياناً
 على الأدباء والشعراء وبالأكثر النقاد
 من داخل فلسطين الإلمام بالتيارات
 الحديثة في الآداب والتموز العربية
 ومع الفضل الكبير لاك ذلك لجهود نقاد
 مثل النقاش وشكري إلى أن اليهود
 الفردي لا تكفى لدعم الحركة الأدبية
 والفنية الفلسطينية كما أن الإطلاع
 على النتاج الأدبي العربي والمشاركة في
 تشكيل التيارات الفنية والأدبية
 الحديثة.

لهذا كان تصدور مجلة مدى
 الكرم أهمية كبيرة حيث تصدر عن
 المركز العربى للدراسات الاجتماعية
 والتربوية في مدينة حيفا. ويقول
 التصريف المنشور في غلاف المجلة
 الداخلى إن المركز، معهد بحثى مستقل
 وغير ربحي تأسس عام ٢٠٠٠ في مدينة
 حيفا، وأنه تأسس «استناداً إلى إناعة»
 راسخة ضرورية وعود مركز أبحاث
 يديره فلسطينيون لغرض تشجيع
 مسالك جديدة في التفكير حول
 السياسة الاجتماعية والمعضلات

السياسية، والإسهام في تغيير وضع
 الفلسطينيين من أقلية مقموعة
 ومضطهدة إلى مجموعة قومية تحظى
 بمساواة فردية وجماعية مع الأكثرية
 اليهودية في الدولة. يهدف المركز كذلك
 إلى تشجيع الفكر والعمل الناضج إلى
 التمكن الذاتي في مجتمع غالباً ما
 يكون محزاً وغير فعال في تأمين
 احتياجه وإلى إسماع صوته،
 يتضمن هذا العدد مقالات في
 مجالات ثقافية وفنية وسياسية
 متعددة ويبدأ بمقالة لمعد الرحيم
 الشيخ استناد الدراسات الثقافية في
 جامعة بيرزيت يناقش فيه رد الفعل
 الفلسطيني على تصور صرح شارون
 الذي قد يوحى لبعضه أن عقاب إتهام
 على جرائم شارون ضد الشعب
 الفلسطيني، وبينما يبدأ الكاتب
 حياة شارون السياسية وأفعاله يناقش
 في نفس الوقت رد الفعل الفلسطيني
 اتجاه تدهور حالته من ناحية ثقافية
 وسوسولوجية. ويتضمن العدد أيضاً
 مقالاً لمجمل خضر الأستاذ المشارك
 في اللغة الإنجليزية بجامعة ستيرسون

ديلان بعلوريا يقرر فيه بين مرحلة
 ما بعد التطهورة وما بعد أوشفيتس
 انطلاقاً من الضمير الوثائقي
 «الفرس المفقود» الذي يتباح حياة
 امرأة فلسطينية شابة من إسرائيل
 ووضعها في المجتمع وكذلك وضعها
 كمواطنة من الدرجة الثانية في
 إسرائيل. وتقدم الدورية مساهمة كبيرة
 لأحد الفنون التي لا تلقي اهتماماً
 كبيراً في العادة هي الصناعات العربية
 وهو فن الصنعة. تركز المقالة على
 أعمال المشائ الفلسطيني جواد
 إبراهيم ويتضمن العدد ملداً من
 ثلاثة مقالات عن فكر الإمام الغزالي
 كتبها عبد الكريم البرغوثي وأحمد
 محمود إغبارة وعبد الكريم البرغوثي
 على مقالة إغبارة التي كانت يدورها
 تعلق على مقالة البرغوثي الأولى.
 يدل هذا الملف على اهتمام المصانير
 على تحرير مدى بإجابة حوار بين
 كتابها وبين النقاش الجدال حول
 القضايا المختلفة

The Hobbits بالنسبة لقراء Lord of the Rings حيث تمكنهم من تأمل عالم متكامل من الأبطال والمختارين، عالم من الشهادة والمخاطرة والأمل والمأساة، وتولى الرسام الال في رسم شخصيات هذا العمل كما كان قد قام من قبل بجمع الرسوم التي تخللت كتب تولكين السابقة كما أنه فاز بجائزة الأوسكار لسببونه في التصوير المرئي ثلاثية Lord of the Rings إلى فيلم والصورة التي رسمها إلى تؤكد أن الشخصيات لن تبدو غريبة بالنسبة لمن تابع أعمال تولكين السابقة ومع ذلك فلا تشفق الروايات المتعاقبة أبداً.

Einstein: His Life and Universe

(أينشتاين، حياته وكونه)

Walter Isaacson

Simon and Schuster: \$32.00.

704pp., 2007



لم يزل أي عالم الشهرة والشعبية التي ذابها أينشتاين. فجمهوره العادي يذكر اسمه كرمز للدكاء دون أن يكون على دراية ببحاراته العلمية بل إن عامة الناس يتصورونه بطله على أنه يستوعب نظريات أينشتاين. ومع ذلك فإن صورة أينشتاين الإنسان كانت أكثر شهرة بكثير من صورته كعالم، فإلّا فإنه كان نوعاً أو صديق ليس إلا فمشتعلات بسببه وهي المشتعلات التي جمعها والتر إيساكسون في كتابه الجديد عن أينشتاين ليرسم لنا أكثر صورة أينشتاين وضوحاً حتى اليوم. وصف الكتاب الشخصية وشخصيات التي تركها والتي كانت غير متاحة للجمهور طوال السنوات الماضية. استطاع الكتاب بموارته الشخصية ويصقل هذه المراتب أن يرسم صورة أكثر عدلاً لحياة أينشتاين التي تمت مهاجتها مراراً. فعلى سبيل المثال فال عمل أينشتاين كعالم في نشر مكتب براءات الاختراع السويسري سخرية أغلب الكتاب ولكن إيزاكسون يرى أن تلك الوظيفة والتي بدأ في نشر نظرياته خلال عمله بها مكتبه من الاستقلال عن المطالبات والاضطراب التي

الليلة التي تسبق زفاف ديانا وتشايلز الأسطوري تقول إن ديانا التي كانت مقيمة في كازرنس هاون تلك الليلة تناولت وجبة ضخمة جداً ثم تقابلها بالكمال حتى يظل مفسح فستات الزفاف متساياً لها ثم نزلت فيما بعد إلى الطابق الأسفل حيث ركبته دراجة مملوكة لأحد العاملين بالصور الملكي وقادتها في دوائر وهي تهتف، وهذا سائزج امبرويوز. وترى الكاتبة أن التي التصرف مطابق لشخصية ديانا التي ارتبطت بخدم منزل والدها أكثر بكثير من ارتباطها بأفراد عائلتها. كما أنها لم تلتق تعليمياً منتظماً مما بدأ واضحا في خطتها السوفيت لبعض الحروف وتعلمها الشديد بالروايات الهومانية والرخيصة. ويظل تساؤل حول فرض الكاتبة من تأليف هذا الكتاب بما هو معروف عنها من معيها للتقرب للعائلة المالكة.

The Children of Hurin

(أبناء هورين)

Toiken R.R.J

Houghton Mifflin: 313pp.,

\$25.99, 2007



نجح تولكين في خلق عالم مواز متكامل في مجموعته الأشهر Lord of the Rings The Hobbit التي كانت بمثابة تقديم لهذه المجموعة. كان عالم تولكين غنياً بالخيال لدرجة استحالة محاكاة العمل بزمان أو مكان معينين في الواقع وهو الأمر الذي دفع الكثير من القراء للاعتقاد أن تولكين كاتب من عصور سابقة. الحقيقة أن تولكين معاصر إلى حد ما، فقد ولد عام ١٨٩٢ وتوفي عامي ١٩٧٣ ولا زال عقيدة آدم تولكين وهو أيضاً مترجم أعماله للفنانية. ينح في حد ذاته في روائع وكتب غير منشورة من تأليف جده. قصير مرور ثلاثين عاماً على صدور كتابه الأخير The Silmarillion عام ١٩٧٧ يصدر The Children of Hurin الذي يضم آدم تولكين في مقال يقدم به للكتاب بعد أن الجزء الثالث من كتابات جده حول الأرض الوسطى، ويحكي أن والده كريسستوفر تولكين قد قام بجمع مقاطع تلك الرواية باعتماداً بالغ ويقول إنها ستمثل خطوة للرواية

تستوحى أيضاً فكرة الأجزاء في العمل الفني الأهم أنها تستوحى المحادثة الإنشائية الهوليبوديه المعروفة. بعض الإثارة، بعض الجنس، بعض من مظاهر الثراء والفن ونهايات سعيدة

The Diana Chronicles

(يوميات ديانا)

Tina Brown

Harper Collins: \$27.50,

784pp., 2007



مرت ذكرى وفاة الأميرة ديانا العاشرة هذا العام ولا تزال الصحف تحب التحدث عنها ولا يزال الجمهور يمسى لشراء أي منتجات تحمل اسمها أو صورها. كما أن الكتب التي تصدر عن حياتها ووفاتها لا تزال تصدر قوائم أكثر الكتب مبيعا مثل هذا الكتاب الذي كتبه رئيسة التحرير السابقة لجلسي فانش فيرير Vanity Fair التي تسمى الكاتبة هنا لتكشف أي معلومات جديدة عن علاقات ديانا المتعددة أو أسرار خاصة بمصرعها ولكنها تخصص الكتاب للنظر في علاقة ديانا بالعائلة المالكة البريطانية. وتقول الكاتبة إن وجود ديانا في حد ذاته كان مغزلاً ما حدث لشخصية البريطانية بعد إعادة تشايلز الثاني إلى العرش. وقد افتتحت ديانا بدورها في رأي الكاتبة باستقلال وضعها في العائلة المالكة واستخدام اهتمام الصحافة في صحتها. وتقول الكاتبة إن ديانا كانت، خطرة عندما تحس بأنها جرحته، حتى في طموحاتها. وقد وقعت عائلة زوجها عاجزة عن التصرف وهي تراها تراوة وسائل الإعلام وتتسللها بمسيرة أن تنظر إلى الأسفل قليلاً وتحرك رموشها في اللقطات التي عرفت بدياناً الجميلة. ولكن حقيقة الأمر في رأي الكاتبة كانت أن ديانا كانت معجبة بنفسها للدرجة التي عجزت معها عن فهم كيف يمكن لصديقها طبيب القلب الشهير أن يهتم بعمله في المستشفى أكثر من أن يهتم بالكتابة بإجراء مقالات مع ٢٥٠ شخصاً عرفوا دياناً بشكل شخصي منهم إحدى صديقات والدتها التي قالت إن والدته ديانا لم تكن راضية من زواجها المتعجل. وتصف الكاتبة مشهداً من

Drop Dead Beautiful

(موتى يا جميلة)

Jackie Collins

St. Martin's Press: \$24.95,

512pp., 2007



بنت جاكى كولينز شهرتها الواسعة وسببها التي تحطم أرقاماً قياسية على الرغبة الإنشائية القديمة في معرفة أسرار الآخرين، وهي نفسها التي تصنع الصحافة الشعبية وتجعل من السيرة الذاتية صنفاً ناجحاً من الأدب. ولا تشكر جاكى كولينز أنها تستوحى أبطال أعمالها من عالم هوليوود الذي تتواجد فيه كمثلة مسلسلات شهيرة من شقيقها جوان كولينز. وتترك كولينز شخصياتها مهمة صيدا، يدفع القارئ لتتبع بالاسم الحقيقي لكل شخصية يزيد من جانبية الرواية وبالتالي من مبيعاتها. وبعد توقف طويل تعود كولينز إلى قوائم أكثر الكتب مبيعا بسبب رواية Drop Dead Beautiful وشخصيات التي ظهرت في روايات سابقة للكاتبة. فالشخصية الأساسية في الرواية هي لى ساندالوجو ابنة زعيم المافيا الجميلة والناجحة في مهنتها كمندجة مبيعاتها وكمستثمرة في مجال العقارات. وتقوم لى التي قدمتها كولينز في رواية تحمل اسمها ببناء منتج كبير في لوس فيجيس كما أنها تحطط لا احتفال كبير بعيد ميلاد أبيها الخامس والتسعين دون أن تدرك أن عود عائلتها الطويل يوفّر حظاً لا يتناسب معهم. ولا يترك الخطون أن زوجته تخونه عن السبائى المسكى ومع عييل فدرالى يعمل في مجال الخدرات. وأغلغ الإثارة في الرواية من قصة ماركس إنلى لى وهي الساسة نشرة من عمرها وتخير أهلها أنها ذاهبة للقاء أصدقائها وما لا يعلمه والدتها التي هي الحقيقة في طريقها إلى مقابلة رجل تعرفت عليه عبر الإنترنت. وتظهر بعض الشخصيات والحيوط الدرامية الممتدة من روايات كولينز السابقة في أدوار ثانوية في هذه الرواية مثل العلاقة المتقطعة بين الكس، شريك لى في العمل وصديقته الشهيرة وعلاقة صديقة لى القربة فيونس وصديقه النجم السينمائي. إن جاكى كولينز لا تكتفى باستلهام عالم هوليوود في شخصيات رواياتها ولكن يبدو أنها

الإعلامية ومقالات مهمة في مجالات إعلامية مختلفة. وقد مدحت فاطمة الرئيسة الدولية التي تصدرها بالاشتراك مع كلية سانت انطوني في جامعة أوكسفورد وقالت إنها من أكثر مصادر الأخبار الإعلامية تجديدا في العالم العربي.

Mariam's Maze

(متاهة مريم)

Mansoura El Ezdin
AUC Press: \$17.95, 112pp.,
2007



صدر من الجامعة الأمريكية في القاهرة مؤرخا الترجمة الإنجليزية لرواية متاهة مريم للروائية والصحفية منصوره عز الدين. والرواية التي صدرت بالعربية منذ سنوات تختلف بشكل كبير عن أغلب روايات جيلها التي عادة ما تنقسم بالواقعية والناثية الشديدين. تتبع متاهة مريم حيرة الفتاة مريم التي تدرس في الجامعة وتحبش بعيدا عن بيت أهلها. تبدأ الرواية حين تستيقظ مريم مشوشة التفكير بخصوص الأحداث التي مرت بها ومدى قربها أو بعدها ولماذا في رحلة بحث تحاول التأكد فيها من هويتها ومن الزمن الذي استيقظت فيه. تبدأ البطلة تدريجيا في استرجاع أحداث حياتها وقلقاتها وتحاول الوصول إلى من تعرف من الأصدقاء والأهل في مناور طويل يشبه المتاهة ولكنها لا تتجيب في التأكد من أي شيء. وتستعرض الرواية حياة أسرة التاجي التي تنتمي لها مريم شخصياتها المتعددة غير النمطية وعلاقات مريم بهذه العائلة وديكتاتورها معهم عبر استخدام غير ملحن لمعوم القرنين. لا تقدم الرواية أجوبة سهلة جازمة ولا تغرق في الواقعية الثورية كما أنها لا تتعمق في الفنتازيا لتترك القارئ في حيرة حول حقيقة مريم ومصيرها. نفس الحيرة التي تتسائل في البطلة. تتجيب الكاتبة بمرعاة أن تسبقها للقرائن وكلاهما صحفية في جريدة أخبار الأدب ولها قصص قصيرة نشرت قبل متاهة مريم ولم تترجم للإنجليزية.

خطاب لتلقا من طالب يدعو فيه إلى وقف التقدم النووي. على الجانب الشخصي يظهر في مذكراته حبه وتقديره الشديد لزوجته نائس ريجان وتدنيته فيكتب في الفترة التالية مباشرة لحواله اغتياله أنه لم يستطيع اللجوء إلى الله في منجته دون أن يصلح للقاتل الذي يصمه بالنجاسة الضالة. وفي إشارة شديدة المباشرة لنوع الأداء الذي يتفقد عليه ريجان عادة يعترف في مذكراته بأنه اقتنع أعضاء اجتماع ما عقد في العام ١٩٨٣ يعمل ما يجب عمله وليس ما يصح سياسيا. ما يجب تكون من مميزات الكتاب أن التعليق على الأحداث قليل مما يجعل النص أكثر سلاسة ولكن ذلك من الممكن أن يجعل القارئ الذي لم يناصر تلك الأحداث يحجز عن فهم سياق بعض النقاط المهمة.

Transnational Broadcasting Studies

Media on the Frontlines: Arab Satellite TV in Iraq

(الاعلام على الجبهة، الفضائيات العربية)

Vol. 2 No1, \$19.95, 250pp



صدر مؤرخا العدد الثاني من دورية Studies والتي تصدر عن الجامعة الأمريكية في القاهرة وتغطي شؤون الصحافة الصورة. ومن المعروف أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة تملك قسما مهما لدراسات الصحافة الصورة باسم كمال ادوم. ويناقش هذا العدد أحدث تيارات وأساليب التقاطية الصحفية في القنوات الفضائية العربية والإسلامية. وتناولت الأعداد السابقة من هذه الدورية مواضيع جدلية مثل الحروب الثقافية التي تتمركز حول الموسيقى العربية الصورة وتأثير تلفزيون الواقع العربي على الديموقراطية في المنطقة. موضوع الخلاف في العدد الحالي هو تأثير القنوات الفضائية على المجتمع العراقي ويناقش فيها عددا من علماء السياسة والاجتماع والإعلام تأثير انتشار البث الفضائي الإخباري والترفيهي على المواطن العراقي. كما يتضمن العدد لقاءات مع العديد من الشخصيات

خسروا مسجدة والديك الرومي الأخير. ويقدّر التمتع والاستفادة التي نالتها العائلة إذا هناك شك أن تستطيع عائلة حيا في المدينة تكرار التجربة بسهولة ولا تقتضي المؤلفة بسرد التحريه بشكل روائي بل إنها تناقش العديد من القضايا الجادة في سياق الكتاب مثل الإفراط في استهلاك الطاقة الملازم للصناعات الحديثة للأغذية و دور المواصفات التي تحددها المتاجر الكبرى للأغذية في التفسير المتأخر وفي القضاء على التنوع الطبيعي في المنتجات الزراعية. يشترك مع المؤلفة الأساسية زوجها وهو عالم أحياء ويقدم المعلومات العلمية في الكتاب بينما تتولى ابنتها كاميل التي تدرس علم الأحياء أيضا في الجامعة كتابية مقال لكل شهر في التجربة مصحوب بوصفات بسيطة.

The Reagan Diaries

(مذكرات ريجان)

Ronald Reagan
HarperCollins: \$35.0,
784pp., 2007



لم يتعاف العالم حتى الآن من تأثير عصر ريجان. فالرئيس الذي تورخ وليته (هو وسارجيت ناتشر في بريطانيا) لعهد جديد من سيطرة المحافظين على المجتمعات الغربية. وقد كتب كثيرون من مختلف الاتجاهات حول نتائج هذا العهد وبهايزه ولكن المثير والجديد في هذا الكتاب أنه تجميع لمذكرات ريجان حول الاجتماعات المختلفة التي عقدها مع سياسيين وشخصيات أخرى مختلفة خلال فترة حكمه للولايات المتحدة ومع أن المذكرات سياسية وجافة بشكل مباشر إلا أن موم ريجان ومخاوفه تظهر فيها بشكل واضح خاصة خلال من تسرب أخبار معينة إلى الصحافة. وتظهر في تلك المذكرات الآراء الحقيقية التي كان يحملها لبعض الشخصيات العامة من ضمنها الفن ديزموند توتو الذي يصفه بالصاذج ويرى ريجان أن أسلونه في محاربة النظام العنصري في جنوب أفريقيا وهو «الديلموسية الجادة وليس المفاضة الاقتصادية». كما يبدو على آرائه المعارضة في تعليقه على

كان سبق تحتها من قبل المشركين على عمله في حالة ما إذا كان ضمن مؤسسة أكاديمية ويرى الكاتبة أن أكثر المعلومات المطلوبة استمرارا في إنشائها كانت أنه لم يكن يسبح في الرياضيات خلال سنوات دراسته وينشئ الكتاب هذه الشاملة الشهيرة مؤكدا على أن قدرة إنشائيان على تحليل الحادلات والمعاهيم الرياضية ساعدته على فهم أكثر معاهيم الرياضيات تعقيدا بالرغم من كراهيته للسلطة بما في ذلك التعليم النظامي وسلطة المعلمين

Animal, Vegetable, Miracle: A Year of Food Life

(حيوان، نبات، معجزة: عام في حياة الطعام)

Barbara Kingslover, Camille Kingslover, Steven L. Hopp
HarperCollins: \$26.95,
384pp., 2007



فأرما ما نجد كتاباً عن الحالة التي وصلت إليها صناعة الطعام والزراعة في هذا العصر بهتم بتقديم الدلائل بشرق اهتمامه بأن يبين لنا عصر الأساليب الحديثة. هذا الكتاب مختلف من هذه الناحية. كما أنه مختلف لأنه مؤلفته روائية وشاعرة وليس عالمة نباتات فهي بالتالي تقدم لنا تجربة حيائية في المقام الأول وإن كانت مدعومة بمعلومات وأسس علمية. إن تجربة المؤلفة يسكن اختصارها في أنها قد قررت أن تجرب لمدة سنة واحدة الفاعلة التي طالا دعا لها الصغار الغداء الطبيعي وهي أن ما نأكله يجب أن يأتي من محيطنا المباشر وفي موسمها الطبيعي. فلعدة عام عاشت الكاتبة وعائلتها التي اشتركت معها في تأليف الكتاب على المنتجات الزراعية التي زرعوها في حديقتهم بالأساس ثم على المنتجات المحلية الموسمية بما في ذلك اللحوم التي اختاروها من أسواق المزارعين. كما أن العائلة التي ألغت الكتاب عملت على حفظ الفائض من منتجاتها الزراعية بدءاً من شهر أبريل بأشكال تقطيدية أيضا فجمدوا وجفوا الخضروات وسحقوا مربات وسحق ومخللات عاشوا عليها في شهور الشتاء حتى مايو الثاني التي انتهت التجربة التي حين ذلك بدت في كل ما صنوه غير القليل من صلصة المعكرونة وبعض

أخطاء الترجمة وأخلاقيات البحث الأنثروبولوجي

اليزابيث سميث^(١)

النشور بالإنجليزية، أضافها كيميعة تمثيل النوبيين في الخطابات العامة. أقول: «تؤكد الخطابات المهمة فيما يخص الوحدة الوطنية، والتي تظهر يومياً في الصحف شبه الحكومية، على أن مصر لا يوجد بها عنصرية، أو اثنيات، أو أقليات»، وثمة محاولات تُبذل «للتفريق بين مصريين الأمم التي لديها، على سبيل المثال، تاريخ لتعصير مؤسساتية (الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا)، أو التي تواجه خطر حركات الانفصالية متمركزة حول الاثنية (المقاومة الكردية في أمم متعددة)، أو التي تواجه حروباً أهلية فعلية (السودان)». ويكلمنا أخرى، ما قولهن أن مصر لا تشابه مع جنوب أفريقيا أو أي مثال آخر من الأمثلة المذكورة فيما يخص التفرة العنصرية أو مشاكل الأقليات الاثنية. ومع ذلك، فهذا هو النحو الذي جاءت عليه ترجمة المجلة الأخيرة:

«في مثل تلك المناقشات تبرز مصر من بين الأمم - على سبيل المثال - مجسدة تاريخ التمييز العنصري الحقيقي (كالولايات المتحدة وجنوب أفريقيا) وعمر العرقية، والحركات الانفصالية (مثل المقاومة الكردية في الولايات المتحدة) أو العنصرية مثل الحرب الأهلية في السودان». الفرق بين الأصل والترجمة واضح: بينما أقول إن تلك النقاشات تقارن مصر بتلك الحالات الأخرى، توضح كيف أن مصر مختلفة، تحظى الترجمة انطباعاً خاطئاً بأنني اعتقد أن موقف النوبيين بمصر يشابه جنوب أفريقيا العنصرية، أو تاريخ الفصل العنصري في الولايات المتحدة، أو الحركة الوطنية الكردية، أو الحرب الأهلية في السودان. هذه الأقوال تثير السخرية، ولا تعبر لا عن الحقيقة ولا عن رأيي كباحثة. في الفترة التالية بمسفة ٢٠١١، الأصل الإنجليزي، إذك، على نحو مباشر: «يوضح تالم، لا يمثل اللون في مصر أساساً لهويات جمعية من قبيل

تكمس هذه الرسالة (والتي حرصت «وجهات نظر» على نشرها كاملة) مشكلة دقة الترجمة وحرقيتها في علنا العربي عموماً، وربما في مصر خصوصاً. وكانت «وجهات نظر» قد ناقشت هذه المشكلة في أكثر من مقال (سبتمبر ٢٠٠٤، نوفمبر ٢٠٠٦ - ديسمبر ٢٠٠٦).

وأياً ما كان الأمر، فالمسألة تقتضي اعتذاراً - أو بالأحرى - اعتذارين لقارئ هذه المجلة التي لا يتوقع منها غير الدقة. ولكنية المقال الأصلي التي - احتراماً منها لعلها وقلمها ولهذه المجلة - حرصت على تدقيق كل لفظ وحرف.

المصر

الأمثلة في السياق الأوسع لدور النوبيين في المجتمع المصري اعتماداً على الخلفية التاريخية والبحث الانثروبولوجي.



تضمن أخطاء الترجمة استخدام مفردات غير صحيحة (نمت ترجمة التسمير ٧١٥-٧١٥ في «شافية»)، والترجمة غير الصحيحة للتواريخ (نمت ترجمة «الستينيات» ١٩٦٠)، في المقال بأكمله، واختلاف أجزاء من جمل كاملة حين لا تفهم المترجمة المقصود بالنسبة للإنجليزي. غير أن أكثر الأخطاء إثارة للقلق هي ثلاثة أمثلة لجمل في صيغة النفي بالأصل الإنجليزي، وقد قامت المترجمة إمرأ باستبعاد أداة النفي في الترجمة العربية، أو شوهت الترجمة لإعطاء معنى عكس ما تحمله الجملة الإنجليزية. سوف أعطى مثالين لتوضيح مدى جدية هذه النوعية من الأخطاء:

في صفحة ٤٠١ من أصل المقال

١- فوجئت عند وصولي للقاهرة في شهر يونيو بمعرفة أن مجلة «وجهات نظر» قد قامت في عدد مايو ٢٠٠٧، بترجمة ونشر مقال ضمن كتاب أصدرته دار النشر التابعة للجامعة الأمريكية بالقاهرة^(٢). وحين قرأت الترجمة، انزعجت بشدة بسبب كم وطبيعة الأخطاء التي تضمنتها. لم يستشرني أحد فيما يخص دقة الترجمة، ولم تنجح لي فرصة مراجعتها قبل نشرها. وقد أدت هذه الأخطاء إلى:

٢- نشر مقال على نحو الطوي على أخطاء عديدة في المصطلحات، والتاريخ، والحقائق الأساسية، ٣- تهديد مكانتي ومصاداتي بشكل شخصي وكباحة أكاديمية بين من كتب عنهم. والأهم من ذلك، فقد أدى غياب وعي المترجمة بمنهج البحث الأنثروبولوجي إلى الكشف عن هويات المشاركين في البحث الذين غيرت أسمائهم قصدًا.

هدف في هذا التعليق ليس سرد وتصحيح كل أخطاء الترجمة، ذلك أنها أكثر من أن تعد، لكن توضيح كيف تم تشويه رأيي، وكيف تم انتهاك أخلاقيات البحث الأنثروبولوجي.

يعتمد الفصل المنشور في كتاب «القاهرة الكومبوليتانية» على بحث بدائه في عام ١٩٩٧ حول كيفية تمثيل النوبيين في الحياة العامة، وذلك في مجالات السياسة، والمناظرة، ووسائل الإعلام، وفي أنشطة الجمعيات النوبية. في ذلك الفصل، ناقش أربعة مواقف حياتية متكررة قابلتها في بحثي الميداني، وفيها يتم الجدال بشأن مفاهيم العرق، واللون، والهوية.

(١) اليزابيث سميث أستاذة معاصرة لاندروبولوجيا في جامعة فيرمونت، وحصلت على شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من جامعة نيويورك في عام ٢٠٠١. وقد عملت وزرست في مصر لما يقارب السبعة أعوام منذ ١٩٩٢. ودرست اللغة العربية لأكثر من ١٠ سنوات.

المشالان الأولان يتناولان رد فعل النوبيين في القاهرة على تمثيل النوبيين في الجرائد والتلفزيون. اتناول بالبحث مثالاً في أنه استخدام كلمة «البرابرة» في مقال صحفي، ومثالاً آخر تم فيه استخدام موسيقى نوبية في دراما تليفزيونية تاريخية في مجال تناول شخصية عبده. في المائتين الآخرين، أصغر فعل النساء النوبيات في أسوان على تمثيلهن في التلفزيون، وفي متحف النوبة، وفي مناقشات مع نظرائهن من بقية المصريين والمصريات. التسميات المشتركة بين هذه الأمثلة هي أن النوبيين يشعرون بحب عميق نحو مصر، وانتمائهم الوطني لها، لكن في نفس الوقت يشعرون غائباً عن وطنهم جغرافياً بأفريقيا جنوب الصحراء، وبجالة بدائية، ويعتبر الكثيرون كون بشرتهم الداكنة خاصية جسدية سلبية. وقد أوضحت أن ردود أفعالهم على هذه التصورات تختلف باختلاف خلفياتهم، وطقبتهم، وجنسهم من ذكر وأنثى، وأماكن إقامتهم. وهدف من ذلك المقال كان، كما الحال في بقية عملي، محاولة وضع تلك

ترحب «وجّهات نظر» بما يرد لها من رسائل تعليقاً على ما ينشر بها من موضوعات ومقالات، وتحرص على نشرها مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلها مثل المقالات ذاتها، لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها.

لللّهجيتين كانت اللغة الأم لمن كانوا يشردون على دروس تعليم اللغة النوبية، فلم يكن أي منهم يستطيع الكتابة بالأحرف النوبية القديمة، لأن نظام الكتابة ذلك لم يتم استخدامه على مدى ما لا يقل عن ٦٠٠ عام، كما أوضحت قبلًا. كان ينبغي أن يكون ذلك أمراً بديهياً بما أنهم كانوا يتلقون دروساً في تعلم الأحرف النوبية (لم تكن «حفلات» كما ترجمت الترجمة كلمة «دروس»). تشويه رأيي الشخصية كان أمراً مثبِّراً للانزعاج، وله تبعاته على بضعة شخصية وأكاديمية، كما أن نشر معلومات غير صحيحة - باسمي - عن النوبة والنوبيين في مصر أمر آخر يبعث على الانزعاج. ومع ذلك، فإن سوء فهم البحث الأنثروبولوجي له تبعات أشمل وأكثر جدية.

يعطى هامش الترجمة رقم ٤ تعريفاً غير صحيح للمنهج الرئيس الذي تعتمد الأنثروبولوجيا الثقافية، وهو «الأنثروبولوجيا، ومن أجل التوضيح، فالأنثروبولوجيا هي، طبقاً لموقع «الجمعبية» الأنثروبولوجيا الأمريكية»:

«دراسة الباحث لسلوك الإنسان في المجال الطبيعي الذي يعيش فيه الناس، وعلى وجه التحديد، تشير الأنثروبولوجيا إلى وصف الأنظمة الثقافية أو جانب من جوانب الثقافة بناءً على البحث الميداني الذي يتمسك فيه الباحث في نشاطات الحياة اليومية الدائرة في الجماعة البشرية المحددة لغرض وصف السياق الاجتماعي، والعلاقات، والعمليات ذات الصلة بالموضوع تحت الدراسة».

فالأنثروبولوجيا اليوم لم تعد، كما تقول الترجمة، «واحدة من العلوم الإنسانية الذي يميل - حصرياً - إلى دراسة المجتمعات البدائية».

في مسعاها لتحديد معنى الأنثروبولوجيا، عادت الترجمة لتعريف قاموس يصف البحث الأنثروبولوجي في فرنسا فيما قبل الحرب العالمية الثانية، خلال عصر



الإسلام. وقد وقع ذلك منذ العام ٦٠٠ أو العام ٨٠٠ على وجه التقريب، وليس عام ١٩٨٠ كما تقول الترجمة. والنوبيون في القاهرة الذين كانوا يحضرون دروساً لتعلم قراءة وكتابة الأحرف النوبية في العام ٢٠٠١ لم يكونوا، يعرفون اللغتين النوبيتين (الكنوز/ الفسكا) قراءة وكتابة، كما تقول الترجمة.



في الواقع، القليل من المتحدثين بالنوبية يعرفون اللهجيتين، بل إنهم يتحدثون إحداها. ورغم أن إحدى

القواعد والتاريخي بين النوبيين وغير النوبيين.

في الأصل الإنجليزي، أُشير إلى حقيقة أنه بالرغم من أن اللغة النوبية لها كل خصائص اللغات الإنسانية من قبيل الأجرومية والقدرة على التفكير المجرد، يتم اعتبارها، عن خطأ، في مكانة أدنى من قبل متحدثيها والآخرين لأنها لغة شفوية لا تكتب منذ دخول النوبة في الإسلام، وليس لمجرد وجود لهجتين، كما تقول الترجمة. واللغة النوبية لم تعد لغة مكتوبة منذ القرن الـ ١٣ أو القرن الـ ١٥ الميلادي، حين اختلت الأحرف العربية مكان نظيرتها النوبية بعد دخول النوبة في

«أسود» أو «بيض» أو أي لون آخر. الأكثر أهمية هو الطبقة، والإقليم، والدين، والعائلة..

ذلك أنه من الواضح لي، من خلال سنوات من البحث والإقامة في مصر، وبالاتفاق مع نتائج دراسات باحثين آخرين، أن المكانة والهوية الاجتماعية في مصر لا يتم تقييمها لا قانونياً ولا اجتماعياً على أساس لون البشرة أو الانتماء لجماعة عرقية مفترضة فقط، فالهوية الاجتماعية تتأثر أكثر بالعوامل الاقتصادية والجغرافية. ولأي دين أو عائلة ينتمي الفرد، ولا توجد جماعات تحدد هويتها بوضوح على أنها «ناس سود» أو «بيض» في مصر.

وعلاوة على ذلك، فإنني أوضح في بقية المقال كيف يفكر الناس فعلاً ويتكلمون عن لون البشرة معطية عدة أمثلة، ومقدمة تحليلي القائم على هذه الأمثلة، وعلى السياق التاريخي. ورغم ذلك، فإن العبارات المحورية السابقة قد تمت ترجمتها على نحو خاطئ: «للمزيد من التوضيح، لون البشرة المصرية يمثل أساس الكشف عن الهوية الشخصية الجماعية مثل «الأسود» - «البيض» أو أي لون آخر. والأكثر أهمية الطبقة الاجتماعية، الإقليم، الدين ثم الأصول العائلية العرقية. (ص ٢٤) لاحظ هنا كيف تترجم الترجمة أن لون البشرة هو أهم العوامل، وهو عكس ما أقوله تماماً في الأصل الإنجليزي.

بعض مشكلات الترجمة الأخرى نتاج ظاهرة أوسع أوثق لها في المقال، وهي أن معظم المصريين ليس لديهم أبسط المعلومات عن تاريخ منطقة النوبة، وثقافتها، وخصوصاً اللغة النوبية. فبسبب عدم معرفة الترجمة، تمت ترجمة الجزء المتعلق باللغة النوبية على نحو خاطئ. في صفحة ٣٦، تقول الترجمة: «ولأنهم يتكلمون لغتي الكنوز والفسكا لذلك فالهتان لا قيمة لهما من حيث التداول

تعطى الترجمة انطباعاً خاطئاً بأنني أعتقد أن موقف النوبيين بمصر يشابه جنوب أفريقيا العنصرية، أو تاريخ الفصل العنصري في الولايات المتحدة



البحث القائم على بناء علاقات تعود لعام ١٩٩٢، وكباحثة، أعتمد على حسن نوايا الأشخاص الذين قبلوا أن أدخل حياتهم، ومؤسساتهم، ويوتهم معتمدين على أثنى، على الأقل، سامثلهم تمثيلاً دقيقاً، ومع أن الكثيرين منهم قد يختلفون مع أرائى أو تحليلاتى، فإن من فهم توقع أن أقوم بكل ما فى وسعى لحماية خصوصياتهم وصونهم من أى ضرر قد ينتج عن نشر أرائهم ومقولاتهم الخاصة.

إنها المفارقة جديرة بالملاحظة أن الحال المترجم يتناول كيف أن الأمور ذات الصلة بأولوية يتم المبالغة فيها أو تدوينها أو إساءة فهمها في وسائل الإعلام المصرية. وتشويه نصى عبر تلك الترجمة هو نتاج نفس تلك الظاهرة الشائعة، الجهل بما يخص النوبيين، تصويرهم على نحو نملى، وغياب الدقة في التحضير المتعجل لتمثيلات النوبيين في المجال العام. وهذا هو بالضبط ما عانت منه ترجمة نصى المتعجلة، وغير الدقيقة. ■

(١) نشر المقال الأصلي بعنوان، «الكان، والطبقة، والعرق في مفه، «البرابرة»، الفضاءات المدنية النوبية وهويات الإعلام».

Place, Class and Race in the Barabra Café: Nubian Urban Spaces and Media Identities

كفصل في كتاب، Cairo Cosmopolitan: Politics, Culture, and Urban Space in the New Middle East, eds. Paul Amer and Diane Singerman, Cairo: American University in Cairo Press, 2006.

أما الترجمة فقد نشرت بعنوان، «مأس- كانجا- ملك- بخير- أحران نوبية»، مجلة «وجهات نظر»، العدد المائى، مايو ٢٠٠٧.

(٢) موقع «الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية»

http://www.aaanet.org/stms/urb.htm

(٣) موقع «الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية»

http://www.aaanet.org/committees/ethics/ethcode.htm

في هامش بالنص الأصلي من الكتاب المطبوع:

«أستخدم في هذا الفصل مزجياً من الأسماء الحقيقية والأسماء المستعارة. أستخدم الأسماء الحقيقية للشخصيات العامة وموظفى الأعمال المطبوعة التى أستشهد بها، لكننى أستخدم أسماء مستعارة حين أناقش نشاط نفس هؤلاء الأشخاص فى أنشطة الجمعيات النوبية، أو حين أورد مقتطفات من مقابلات شخصية أجريتها معهم. الأشخاص الذين اختاروا استخدام أسمائهم الحقيقية، سواء هنا أو فى مطبوعات سابقة من تأليفى أو تأليف آخرين، يتم تعريفهم بناء على ذلك» (٤١٣).

لقد قامت الترجمة بترجمة ذلك الهامش، وهو أمر عرفت له لأن النص المترجم تم نشره أيضاً فى منتدى من المنتديات الأنترنت، لكن لسبب ما اختارت المجلة عدم نشره. وقامت المجلة بدلاً من ذلك بنشر هوامش الترجمة التى قامت فيها بالكشف عن أسماء الأشخاص التى قمت أنا بتغييرها أو حذفها احتراماً لخصوصيتهم. هو أمر الذى يظل محيراً لى هو أن كانت الترجمة قد ترجمت تلك الفقرة عن الأسماء المستعارة، من المؤكد أنها فهمت أن بعض الأسماء حقيقية ويضاهي مستعار. ولأن طرفاً ثالثاً قد أخبرها بالاسم الحقيقى لأى شخص فى النص، يمكن هناك حاجة لتصريح بتلك الأسماء فى النص المترجم، ولم يكن من الملائم أن تقوم المجلة بنشر ذلك.



ذلك الخرق للخصوصية والأخلاقيات البحث الأنثروبولوجى، من قبل المترجم، والطرف الناشئ، والمجلة له تداعيات خطيرة. ذلك أن هذا النص هو نتاج عشر سنوات من البحث في نفس الموضوع، ذلك

بعض الخصائص أو التفاصيل الاجتماعية المتصلة بحياتهم، كى وعلى سبيل المثال، فقد وصفت زينة (وهذا ليس اسمها الحقيقى) فى الأصل الإنجليزي بأنها «طالبة فى أسيوط، لأنه لم يكن من الضرورى تحديد الجامعة التى تدرس بها. لكن، لسبب ما، ترجمت الترجمة ذلك الجزء كما يلى: «تدرس زينة فى جامعة جنوب الوادى» (٢٨) والسبب الذى من أجله، لم يتركها النص صراحة، كما أشارت المترجمة فى هامش ١٣ ص ٤١، هو أننى كنت مهتمة بحماية زينة الحقيقية، ولذلك لم أود التصريح باسم الجامعة التى تدرس بها.

كون الترجمة قد حاولت تخمين، وتضمين الترجمة، ما اعتقدت أنها التفاصيل، «الحقيقية»، لنصى، (وهو ما فعلته فى هوامشها) التى أتت غالباً إما غير دقيقة أو غير ذات صلة) هو أمر يدعو للاستياء، لكن الأكثر إثارة للاستياء هو أننى أود صراحة فى النص الأصلي السبب الذى يجعلنى أستخدم الأسماء المستعارة، ومع ذلك، وهو الأمر الدش والمساء حقاً، فقد أوردت الترجمة الأسماء الحقيقية للعديد من المشاركين فى البحث، فى هوامشها، قالت الترجمة أن شخصاً آخر أخبرها بالهويات الحقيقية للأشخاص الذين غيرت أنا أسمائهم، وأوردت تلك الأسماء لأسباب غير مفهومة تماماً بالنسبة لى.

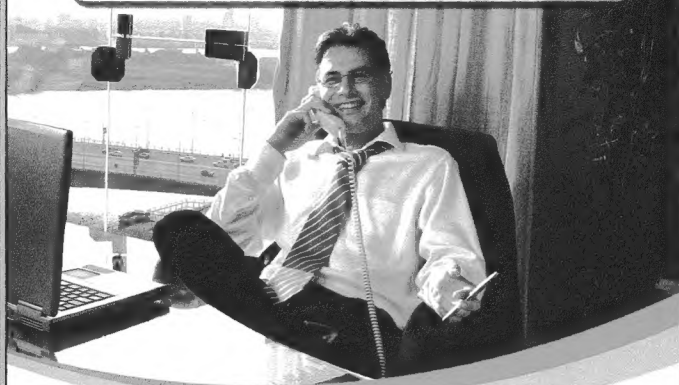
لماذا يسود الباحثون الأنثروبولوجيون الأسماء الحقيقية للأشخاص المشاركين فى البحث أحياناً، تم يستخدمون، فى أحيان أخرى، أسماء مستعارة لحماية هوياتهم الحقيقية؟ بعض المشاركين يطلبون منى استخدام أسمائهم الحقيقية، بعض الآخر شخصيات عامة ومعروفة جيداً وكتابات منشورة ومتاحة. خلاف هذه الحالات، فإن ما أتبعه هو استخدام أسماء مستعارة. وقد أوضح ذلك

الاستعمار الأوروبى حين سادت النزعة العلمية لفهم ما تم اعتباره، فى الدول المستعمرة، ثقافات بدائية. خلال الخمسين أو الستين عاماً التى أعقبت ذلك، وفى أعقاب الحركات الوطنية الثورية وتفكيك الاستعمار، تغير علم الأنثروبولوجيا ذاته. ذلك أن البحث الأنثروبولوجى يتم إجراؤه، فى الوقت الحاضر، فى المجتمعات المعاصرة حول العالم، ليس فقط فى مصر والبلاد النامية، لكن أيضاً فى الولايات المتحدة وأوروبا، فى أماكن حضرية وريفية، فى المدن الكبيرة والقرى الصغيرة. هذا المترجمه قد اعتمد هذا التعريف القديم يعطى انطباعاً خاطئاً بأن دراسى مؤسسة على اعتبار النوبيين، أو حتى مصر بشكل عام، «مجتمعات بدائية»، ذلك فى الوقت الذى ترفض فيه الأنثروبولوجيا الحديثة مصطلح «بدائى» لأنه مصطلح استعماري، أو مكان له أو لتطبيقاته فى عصر المعاصرة أو فى أى مكان آخر اليوم.



الانخماص فى الحياة اليومية للناس وللؤسسات، وهو ما فعلت لى بنشى الأنثروبولوجى فى القاهرة وأوسون، يتطلب بناء علاقات اجتماعية تقوم على الثقة فى كباحة وكإنسانة. وأحدى المستويات الأخلاقية التى تقع على عاتق علماء الأنثروبولوجيا هى فعل أقصى ما فى وسعهم لحماية الأشخاص موضوع الدراسة من أى تأثيرات سلبية قد ترتب على البحث، أو عبارة أخرى، «التأكد من أن بحثهم لا يعرض سلامة، أو كرامة، أو خصوصية الأشخاص الذين يعملون، أو يجرون أبحاثهم، أو يجرون أى أنشطة مهنية معهم»^(١) وأحدى الوسائل الشائعة لتعل ذلك هى حماية هويات المشاركين فى الدراسات المنشورة عن طريق استخدام أسماء مستعارة، وتغيير

ترن الرقم المختصر للشركات



لو تليفونك دائماً مشغول...

وعايز عميلك يلاقيك على طول...

اشترك في الرقم المختصر...

(١٦XXX) و (١٩XXX)

رقم واحد سهل ومميز لكل فروعك



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

لمزيد من المعلومات اتصل بـ ١١١ بسعر المكالمات العادية

مع المصرية للاتصالات.. صوتك أحلى

أحدث إصدارات

دار الشروق



القاهرة: ١ ميدان طلعت حرب - وسط البلد ت: ٣٩١٢٨٠ - ٣٩٣٠٦٤٣
مدينة نصر: ٨ سبويه العصري - رابطة العدوية ت: ٤٠٣٣٩٩
الجيزة: ميني فرست مول - ٣٥ شارع الجزيرة أمام حديقة الحيوان ت: ٥٧٣٥٠٣٥ - ٥٧٣٥١٨٧
الاسكندرية: سان ستيفانو مول ت: ٠١٠/١٦٣٣٨٥٠٢/٤٦٩٠٣٧٠

www.shorouk.com e-mail: bookstores@shorouk.com